مُختَصَر تَذكِرَة القُرطُبِي

المُسمّاة

التّذكرة بأحوال المَوتى وَأُمور الآخرة

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي

المتوفى ٦٧١ هـ

تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

اعتنى به وخرّج أحاديثه

عبد الغني محمد علي الفاسي





المسمّاة

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الأنصاري الخزرجي القرطبي
المتوفى ٦٧١ هـ

تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني
المتوفى ٩٧٣ هـ

اعتنى به وخرّج أحاديثه

عبد الغني محمد علي الفاسي



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المصنف
الإمام الشعراني[1]
(٨٩٨ ـ ٩٧٣ هـ = ١٤٩٣ ـ ١٥٦٥ م)

هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين.

ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة.

له تصانيف، منها «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» و«أدب القضاة» و«إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين» و«الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية» و«البحر المورود في المواثيق والعهود» و«البدر المنير» في الحديث، و«بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق»، و«تنبيه المغترين في آداب الدين» و«تنبيه المفترين في القرن العاشر، على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» و«الجواهر والدرر الكبرى» و«الجواهر والدرر الوسطى» و«حقوق أخوة الإسلام» مواعظ، و«الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة» رسالة، و«درر الغوّاص» من فتاوى الشيخ علي الخوّاص، و«ذيل لواقح الأنوار» جزء صغير، و«القواعد الكشفية» في الصفات الإلٰهية، و«الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر» و«كشف الغمة عن جميع الأمة» و«لطائف المنن» يعرف بالمنن الكبرى، و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» مجلدان، يعرف بطبقات الشعراني الكبرى، و«لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» و«مختصر تذكرة السويدي» في الطب، رسالة، و«مختصر تذكرة القرطبي» مواعظ، وهو الكتاب الذي بين أيدينا، و«إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء، إلى شروط صحبة الأمراء» رسالة، و«مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين» و«مشارق الأنوار» و«المنح السنية» شرح وصية المتبولي، و«منح المنة في التلبس بالسنة» و«الميزان الكبرى» و«اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر».

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٠، ١٨١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٦]

(قرآن كريم)

الحمد لله العليّ الأعلى، الوليّ المولى، الذي خلق وأحيا، وحكم على خلقه بالموت والفناء، والبَعْث إلى دار الجزاء، والفصل إلى دار القضاء ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: الآية ١٥]. أحمده حَمْدَ مَن صبر على مرِّ القضا، وأشكره شكر مَن رضي بقضاء ربّه فكان له منه الرِّضا، وأشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد عرف أنه إلى ربه صائر وراجع، ومُحاسَب على كل عمل هو فيه مُخادِع، وأشهد أن سيِّدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله الذي أنزل عليه في كتابه المكنون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٠] اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم عليه وعلى سائر الأنبياء والمُرسَلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، كلما ذَكَرَك الذَّاكِرون وكلما غفل عن ذِكرِكَ وذكرهم الغافلون.

وبعد: فهذا كتاب اختصرت فيه كتاب التذكرة: للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي رضي الله تعالى عنه، بمعنى أني أحذف منه ما لا يُذكِّر بالموت والحساب من غريب ألفاظ وإعراب، مما هو مذكور في كتب اللغة والنحو فإن كتب الرقائق لا ينبغي أن يكون فيها شيء من ذلك، وكثيرًا ما يكون القارىء يقرأ في كتب الرقائق والحاضِرون يبكون، فيحضر نحويٌّ فيقول هذه الكلمة معطوفة على أيّ شيء فيحصل اللغط فيزول ذلك الخشوع والحزن لوقته ويذهب بالاعتبار، فهذا كان سبب اختصاري لهذا الكتاب، ولحذف ما كان فيه خارجًا عن ذِكر الموت وأهواله كما يدلّ على ذلك تسمية الكتاب بـ: **(التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)**.

فرحم الله تعالى مَن اعتبر بما سمعه منه وتذكَّر أُمور الموت وما بعده وأحدَثَ التوبة النَّصوح فلعله يموت على ذلك «**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**» والحمد لله ربّ العالمين. ولنشرع في مقصود الكتاب فنقول وبالله التوفيق:

باب ما جاء في النهي عن تمنِّي المسلم الموت والدعاء به لمصيبة تنزل في المال والجسد أو في الأهل والولد

روى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَتَمَنَّينَّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به وإن كان لا بدّ متمنيًا فليقل: اللَّهمَّ أحيِني ما كانت الحياة خيرًا لي وتَوَفَّني ما كانت الوفاة خيرًا لي**»[1]. ورُوِيَ عن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنينَّ أحدكم الموت إما مُحسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب**»[2] أي يتوب ويترك الذنوبت ويطلب رِضا الله عنه قبل موته.

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: وقد جعل الله الموت من أعظم المصائب، وقد سمَّاه الله تعالى مصيبة في قوله تعالى: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦]، وذلك لأنه تبدّل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار، وهو المصيبة العظمى والرَّزِيَّة الكبرى، وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذِكره وقلّة التفكّر فيه وترك العمل، وقد أجمعوا على أن الموت وحده عبرة لمَن اعتبر وفكرة لمَن تفكّر، وفي الحديث «**لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا**»[3].

ورُوِيَ أن أعرابيًّا كان يسير على جمل فخرَّ الجمل ميتًا فنزل الأعرابي عنه، وجعل يدور به ويتفكّر فيه ويقول له: ما لك لا تقوم؟ ما لك لا تنبعث؟ هذه أعضاؤك كاملة وجوارحك سالمة. ما شأنك؟ ما الذي كان يحملك؟ ما الذي كان يبعثك؟ ما الذي صرعك؟ ما الذي عن الحركة شَغَلَك؟ ثم تركه وانصرف عنه متفكِّرًا في شأنه ومتعجّبًا من أمره

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر، حديث ١٠.
(٢) أخرجه مسلم في الذكر، حديث ١٣.
(٣) أخرجه القرطبي في تفسيره ٦/٣٥٢.

وأنشد: [الطويل]

جاءته من قِبَل الإلٰه إشارة فَهَوَى صريعًا لليدين وللفم
ورمى بمحكم درعه وبرمحه وامتد ملقًى كالفنيك المعظَّم
لا يستجيب لصارخٍ إن يَدْعُه أو قام لا يرجى لخَطْبٍ معظّم
ذهبت بَسالته ومرَّ مرامه لمَّا رأى خيل المَنِيَّة ترتمي
يا ويله من فارس ما باله ذهبت مروءته ولم يتكلم
هذي يداه وهذه أعضاؤه ما فيه من عضوٍ غَدَا متثلِّم
هيهات ما خيل الردى محتاجة للمشرفي ولا البنان المفدم
هي مُحْكَم أمر الإلٰه وحكمه والله يقضي بالقضاء المُحكَم
يا حسرة لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه وكأننا في حالنا لم نعلم

وروى الحكيم الترمذي رحمه الله أن آدم عليه السلام لمّا مات له ولد قال: يا حوّاء قد مات ابنك، قالت: وما الموت؟ قال: يصير الشخص لا يأكل ولا يشرب ولا يقوم ولا يقعد، فرنت له حواء عليها السلام عند ذلك، فقال: عليك الرنة وعلى بناتك وأنا وبَنِيَّ منها بُرَآء.

ورُوِيَ أن مَلَك الموت جاء إلى إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ليقبض روحه، فقال إبراهيم لمَلَك الموت: هل رأيت خليلًا يقبض روح خليله؟ فعَرَجَ مَلَك الموت إلى ربّه سبحانه وتعالى فقال قل له: فهل رأيت خليلًا يكره لقاء خليله؟ فرجع إليه فقال: فاقبض روحي الآن. وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له فمَن لم يصدقني فليقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٨]. وقال حسّان بن الأسود: إنما كان الموت خيرًا للمؤمن لأن فيه وصول الحبيب إلى الحبيب والله أعلم.

باب ذكر جواز تمنِّي المسلم الموت والدعاء به إذا خاف ذهاب شيء من دينه

قال الله تعالى مُخبِرًا عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام لمّا نال الرسالة والمُلْك ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠١]، وقالت مريم عليها

السلام: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم: الآية ٢٣]. وروى الإمام مالك رضي الله تعالى عنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه**»(١). وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللَّهمَّ إني أسألك فِعْل الخيرات وترك المُنكَرات وحُبّ المساكين، وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»(٢). وروى مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يدعو: اللَّهمَّ قد ضعفت قوّتي وكبر سِنّي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصِّر فما تجاوز ذلك حتى قبضه الله تعالى(٣).

وكان أبو عبد الله الغفاري إذا رأى قومًا يفرّون من الطاعون يقول: يا طاعون خذني إليك، يكرر ذلك ثلاثًا. ويقول لمَن عتبه على ذلك: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بادروا بالموت سِتًّا: إمْرَة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدَّيْن، وقطيعة الرَّحِم، وقومًا يتخذون القرآن مزامير يقدِّمون الرجل ليُغَنِّيهم بالقرآن وإن كان أقلّهم فقهًا**»(٤)، والحمد لله ربّ العالمين.

باب استحباب الإكثار من ذِكْر الموت وما جاء في الاستعداد له

روى النسائي وابن ماجه وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثِروا من ذِكْر هاذِم اللَّذَّات**»(٥) ـ يعني الموت ـ كما جاء في رواية مرفوعًا. وروى مالك وابن ماجه أن رجلًا من الأنصار قال: يا رسول الله أيُّ المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلُقًا**»، قال: أيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذِكرًا وأحسنهم لِما بعده استعدادًا أولئك الأكياس**»(٦). وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثِروا من ذِكر هاذِم**

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ٢٢، ٢٥، ومسلم في الفتن حديث ٥٣، ومالك في الجنائز حديث ٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي حديث ٣٢٣٣، ٣٢٣٥، وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٤.

(٣) أخرجه مالك في الحدود، حديث ١٠.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٤.

(٥) أخرجه النسائي في الجنائز باب ٣، وابن ماجه في الزهد باب ٣١.

(٦) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٣١، والدارمي في المقدمة باب ٥٦.

اللذَّات فإنه يمحّص الذنوب ويزهد في الدنيا»[(١)]. وكان ﷺ يقول: «**كفى بالموت واعِظًا**»[(٢)]. وفي الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله هل يُحشَر مع الشهداء أحد؟ قال: «**نعم مَن تذكَّر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة**»[(٣)].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يُنشد:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإلٰه ويفنى المال والولد
لم تُغْنِ عن هَرِمٍ يومًا خزائنه ... والخلد حاوله عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والجن والإنس فيما بينها يَرِدوا
أين الملوك التي كانت لعزّتها ... من كلّ أوب إليها وافِد يَرِد
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بدَّ من ورده يومًا كما وردوا

اعلموا أيها الإخوان أن ذِكْر الموت يُورِث استشعار الانزعاج وطلب الخروج من هذه الدار الفانية والتوجّه في كل لحظة إلى الدار الباقية. وقالوا: لا ينفك الإنسان في هذه الدار عن حالتين: ضيق وسَعَة، ونعمة ونقمة، فيحتاج إلى ذكر الموت ليخفِّف عنه بعض ما هو فيه من صعوبة الشدّة وغفلة النعمة. وقالوا في ذكر الموت قصر الأمل وانتظار الأجَل، وقالوا: ليس للموت نفس معلوم ولا مرض معلوم ولا زمن معلوم، ولهذا استعدّ له الأكياس وصاروا على أُهْبَة. وبلغنا أن رجلًا كان ينادي طول الليل على سور المدينة: الرحيل الرحيل، فلما توفي فَقَدَ أمير المدينة صوته فسأل فقالوا له: قد مات، فأنشد يقول:

ما زال يلهج بالرحيل وذِكْره ... حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه مستيقظًا متشمِّرًا ... ذا أُهْبَة لم تلهه الآمال

وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله يعاتب نفسه ويقول لها: ويحك يا نفس ما الذي يصلّي عنك بعد الموت؟ ما الذي يصوم عنك بعد الموت؟ وهكذا، ثم

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٦.
(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٨، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤/٢٤٠.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللّفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

يقول: أيها الناس، ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم بقية عمركم؟ فمَن كان الموت موعده والقبر بيته والثَّرَى فراشه والدود مؤنسه وخوف الفزع الأكبر يُزعجه كيف يلتذّ بمنام؟ ثم يبكي حتى يخرّ مَغشيًا عليه؛ وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يجمع الفقهاء ويتذاكرون الموت وأهوال يوم القيامة وسوء الحساب والمرور على الصِّراط ويبكي أحدهم حتى كأن بين يديه جنازة، وكان سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه إذا ذكر الموت لا ينتفع أحد به أيامًا عديدة ولا يأكل ولا يشرب، وكان إذا سُئِل عن شيء يقول: لا أدري، وكان علي ابن الفضيل بن عياض إذا ذُكِرة الموت تكاد تنقطع مفاصله من الاضطراب. وكان يوسف بن أسباط إذا شيَّع جنازة يكاد يموت فيرجعون به في النعش إلى داره. وكان محمد اللفاف رضي الله تعالى عنه يقول: مَن أكثَرَ ذِكر الموت أُكرِم بثلاث أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة النفس، والنشاط في العبادة. ومَن نسي الموت عُوقِب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، والشَّرَه في الدنيا، والتكاسل عن الطاعة. فبالله عليكم أيها الإخوان تفكَّروا في الموت وسَكْرَته ومرارة كأسه وصعوبته، فإنه مُقرِّح للقلوب ومُبْكٍ للعيون ومُفرِّق للجماعات وهاذِم للَّذَّات وقاطِع للاقتيات، وتفكَّروا في يوم مَصرعكم وانتقالكم من بيوتكم وقصوركم وخروجكم من سَعَة الدُّور إلى ضيق القبور وخيانة الصاحب والرفيق وهَجْر الأخ والصديق ونقلكم من فوق فرشكم أو غطائكم الناعم ووضعكم على التراب الخشن والمدر اليابس ثم يرجعون عنكم إلى أكلهم وشربهم وضحكهم وشهواتهم كأنهم لم يعرفوكم، وكان بعض الزُّهَّاد يقول: يا جامع المال ويا مجتهدًا في البُنيان ليس لك من مالِك إلا الأكفان والذهاب، ولا من دُورِك إلا الخراب، فهل أنقذَكَ ما جمعته من المال من شيء من الأهوال؟! كلا بل تركته لمَن لا يحمدك وقَدِمْتَ بأوْزارك على مَن لا يعذرك، وأنشدوا في ذلك:

يصيبك مما تجمع الدهر كله ردآن تُلوَى فيهما وحَنوط

وقال آخر:

انظر لمَن مَلَكَ الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكَفَن

وفي الحديث مرفوعًا «**الكَيِّس مَن دان نفسه وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني**»(١). وكان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقول: لا تكونوا من قوم أهلكتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة. ويقول أحدهم إني لأُحسِن الظن بربِّي وقد كذب، فإنه لو أحسن الظن بربّه لأحسَنَ العمل على الطريقة المستقيمة كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢٣] الآية، وكان بقية بن الوليد رضي الله تعالى عنه يكتب إلى إخوانه ويقول لهم: إيّاكم والغرور فتؤمّلون البقاء وطول العمر وتعملون السيئات وتتمنون على الله الأماني، ومَن فعل مثل ذلك فكأنه يضرب في حديد بارد، فاعلموا ذلك أيها الأخوان وقوموا لله الواحد الديَّان فإنه قريب الإحسان حتى تتورَّم منكم الأقدام والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أمور تذكّر الموت والآخرة وتزهّد في الدنيا

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ زار قبر أُمه فبكى وأبكى مَن حوله، وقال: «**استأذنت ربِّي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذِنَ لي، فزوروا القبور فإنها تذكِّر الموت**»(٢). وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكِّر الآخرة**»(٣). ورُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه مرَّ على مقبرة فلما أشْرَفَ عليهم قال: يا أهل القبور أخبرونا عنكم أو نخبركم؛ أما خبر ما قبلنا فالمال قد انقسم، والنساء قد تزوَّجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: ألا والله لو أنهم استطاعوا لقالوا: لم نرَ زادًا خيرًا من التقوى، ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

يا عجبًا للناس لو فكّروا ... وحاسبوا أنفسهم وأبصروا

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٥، وابن ماجه في الزهد باب ٣١، وأحمد في المسند ٤/ ١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ١٠٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٤٧، ٤٨، والنسائي في الجنائز باب ١٠١.

واعتبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غدًا إذا ضمّهم المحشر
لتعلمنَّ الناس أن التقى والبرّ كان خير ما يدّخر
عجبت للإنسان في فخره وهو غدًا في قبره يُقبَر
ما بال مَن أوّله نطفة وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضي وما يقدر

واعلموا أيها الإخوان أن القلب القاسي يلين إن شاء الله تعالى بأمور: منها زيارة القبور، وحضور مجالس الوعظ من العلماء والصالحين، وسماع أخبار مَن مضى من العباد والزهّاد. ومنها ذكر الموت الذي هو هاذم اللذّات: أي قاطعها ومُفَرِّق الجماعات بعد رغد عيشها ومُيَتِّم البنين والبنات بعد عزّهم بوالديهم، وقد بلغنا أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: يا أُمّاه ما دواء القلب القاسي؟ فقالت لها: دواؤه أن تُكثِري من ذِكر الموت، ففعلت ذلك فرقَّ قلبها فشكرت فضل عائشة على ذلك. ومن فوائد ذكر الموت أيضًا ردع الإنسان عن ارتكاب المعاصي وترك الفرح بالدنيا وتهوين المصائب فيها وتأمّل يا أخي أن مَن ثبت عليه ما يُوجِب القَوَد ثم سحب إلى القتل لا يصير له داعية إلى فعل شيء من المعاصي ولا نظر إلى شيء من زينة الدنيا وشهواتها وتهون عليه كل مصيبة بخلاف مَن كان طويل الأمَل فيها فإنه يكون بالضدّ من ذلك، ومنها: أي من الأمور المُذهِبَة لقساوة القلب مشاهدة المُحتَضِرين فإن النظر إلى سَكَراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدّة كربهم أعظم عبرة فإن الإنسان عن قريب يقع له مثل ذلك، ومَن لم يتّعظ بالموتى فلا تنفعه موعظة، وقد رُوِيَ أن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه دخل على مريض يعوده فوجده يعالج سَكَرات الموت فنظر إلى كربه وشدّة ما نزل به ثم رجع إلى أهله مُتَغَيِّر اللون فقدّموا إليه طعامًا فقالوا له: ألا تأكل من هذا الطعام؟ فقال لهم: كلوا أنتم طعامكم فإني رأيت ما شَغَلَني عن مثل ذلك. وبلغنا أنه رأى شخصًا يأكل رغيفًا بين القبور، فقال له: أما كان في مشاهدتك لهذه القبور عبرة تمنعك من شهوة الأكل. قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: وينبغي لِمَن يزور القبور

أن يكون جوعان فإن الشبع يحجب العبد عن الاعتبار بالموتى وأن يكون غير عازِم على فِعل شيء من المعاصي فإن العازِم في حضرة الشياطين فلا يصحّ منه اعتبار وأن يكون زاهِدًا في الدنيا فإن الراغِب فيها مَن لازمه قساوة القلب، ولذلك عدم غالب الناس الاتّعاظ برؤية القبور وربما زار أحدهم أولياء القرافتين مثلًا ولم يحصل عنده بكاء ولا رِقة لأن غالب الناس صاروا يجعلون ذلك وسيلة إلى الاجتماع ببعضهم بعضًا كالمواضع التي يتنزّهون فيها من الأنهار والبساتين فزُر يا أخي القبور وأنت مُتَفكِّر فيما إله مصيرك كما كان عليه السَّلَف الصالح وسلِّم عليهم وأنت حاضِر القلب خاشع بقولك: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون قاصدًا بالمشيئة سرعة اللحوق بهم لأن الموت مُحَقَّق لا يدخله مشيئة عادة، وإياك والمشي على قبور المسلمين بنعل أو بهيمة لا سيما إن بالَت أو راثَت فإن ثواب زيارتك كلها قد لا يساوي بول دابتك على مسلم واحد. فإذا وقف الزائر على قبر يزوره فليعتبِر به كيف صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب وعدم ردّ الجواب، وصار يتمنى أنه يرجع إلى الدنيا فيعمل صالحًا فلا يُجاب وإن كان قبر سلطان أو أمير فينظر إلى حصول ذلك الذّلّ بعد العزّ بعد أن قاد الجيوش والعساكر وتأنّس بالأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، ثم أتاه الموت بغتة على غير ميعاد فلم يتركه يتهيّأ للزّاد وإن كانت المقبرة مما دُفِنَ فيها إخوانه وأصحابه فليتأمل إلى ما كانوا فيه من بلوغ الآمال وجمع الأموال وبناء الدُّور وغرس البساتين وصحة الأجسام وصحة الأجسام ولذيذ الطعام وينظر كيف انقطعت آمالهم ولم تُغْنِ عنهم دُورِهم وأموالهم، وكيف محا التراب محاسِن وجوههم، وكيف تفرَّقت في الأرض أعضاؤهم وسائر أجزائهم، وكيف ترمَّلَت من بعدهم نساؤهم وتيتَّمت أطفالهم وذلّوا بعد ما كانوا فيه من العزّ في حياتهم وليحذر من الاغترار بالصحة وطول الأمل، فقد رأينا أصحابنا كلهم أتاهم الموت على غير ميعاد ولم يكن في أمل أحد منهم أن يموت تلك الأيام فعن قريب يقع لأحدنا ما وقع لهم ويندم أحدنا حيث لا ينفعه الندم.

وكان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقول: إذا وقف أحدكم على المقابر فليتأمل في حال أهلها وكيف سالَت عيونهم على خدودهم وأكل الثَّرى

ألسنتهم بعد أن كان أحدهم يصول على الناس ببلاغته وفصاحته، وكيف انتثرت أسنانه في التراب. قال بعض العارفين: وإذا كان أحد من الموتى مُسرِفًا على نفسه وزاره أحد لا ينصرف من قبره حتى يشفع فيه عند الله عزَّ وجلَّ، ويجد أمارات القبور كما زار ﷺ قبر أُمه وأبيه، وسأل الله تعالى أن يُحييهما له حتى يُؤمِنا به، ففعل ذلك لكونهما ماتا في أيام الفترة،فكان في ذلك كمالهما وكأنهما أدركا زمن رسالته ﷺ وآمَنَا به، وكذلك ذكر سلمة بن سعيد الجعفي رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى أحيا للنبي ﷺ عمّه أبا طالب وآمن به وكراماته ﷺ ومعجزاته أكثر من ذلك. وقد صنَّف شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في ذلك عدّة مؤلَّفات وذكر اثني عشر حافظًا قال كلٌّ منهم وهو اعتقادنا الذي نَلقَى الله تعالى به إن شاء الله تعالى والحمد لله ربّ العالمين.

باب المؤمن يموت بعَرَق الجبين

روى ابن ماجه وغيره عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**»[1]. وقال الترمذي: إنه حديث حسن. وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن سلمان الفارسيّ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارقبوا للميت عند موته ثلاثة: إن رشحت جبينه، وذَرَفَت عيناه، وانتشر مِنخَراه، فهي رحمة من الله تعالى قد نزلت به؛ وإن غطَّ غطيط البقر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حلَّ به**»[2]. وكان عبيد الله يقول: إن المؤمن ربما بقيت عليه خطايا من خطاياه فيُجازى بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه. وقال غيره: إنما يعرق جبينه حياء من الله عزَّ وجلَّ حين يغفر له ويسامحه فيخجل عند ذلك فيعرق، وما من وليّ ولا صدِّيق ولا برّ إلا وهو يستحي من ربّه عزَّ وجلَّ إذا قَدِم عليه ورأى إساءته وإحسان ربّه إليه مع تلك الإساءة في جناب ربّه عزَّ وجلّ. وكان عبد الله بن مسعود يقول: قد يكون عرق جبين المؤمن من بقية تبقى عليه من الذنوب فيُجازَى

---

(١) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ١٠، وابن ماجه في الجنائز باب ١٠.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٧٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢١٧٨.

بها عند الموت، أي يشدد ويمحص بها عند ذنوبه ليفارق الدنيا على الشدة ويطلب الخروج منها إلى حضرة ربّه عزَّ وجلّ. قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقد تظهر العلامات الثلاث التي قد ذكرناها، وقد تظهر عليه واحدة أو اثنتان. قال: وقد شاهدنا عرق الجبين وحده وذلك بحسب تفاوت الأعمال والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء إن للموت سَكَرات وفي تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان إليه

روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يُدخِل يده المباركة فيها ويمسح بها وجهه ويقول: «**لا إلـه إلَّا الله إن للموت لَسَكَرات**»، ثم نصب ﷺ يده وجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبِض ﷺ ومالت يده. وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول: ما أغبط أحدًا يهون موته بعد الذي رأيت من شدّه موت رسول الله ﷺ[1]، أخرجه الترمذي. وفي البخاري عنها قالت: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقني وذاقني فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله ﷺ[2]، والحاقنة: المطمئن بين الترقوة والحلق. والذاقنة: نقرة الذقن، وقيل غير ذلك.

وروى ابن أبي شيبة في مسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كانت فيهم أعاجيب**»، ثم أنشأ رسول الله ﷺ يحدّثنا قال: «**خرجت طائفة منهم**» ـ يعني بني إسرائيل ـ «**فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا: لو صلّينا ركعتين وسألنا الله عزَّ وجلَّ أن يُخرِجَ لنا بعض الأموات فيخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا، فبينما هم كذلك إذ طلع رأس رجل من قبر أسود اللون حاسِرًا بين عينه أثر السجود**

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨٣، والنسائي في الجنائز باب ٦، وأحمد في المسند ٦/ ٦٤، ٧٧.

فقال: يا هؤلاء ما أردتم؟ لقد مُتّ من مائة سنة وما سَكَنَت عني حرارة الموت إلى الآن، فادعوا الله أن يردّني كما كنت». وفي الحديث مرفوعًا «**إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: عليك السلام، تفارقني وأُفارقك إلى يوم القيامة**»[١]. ورُوِيَ أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: يا خليلي كيف وجدت الموت؟ قال: كسفود محمًّى جُعِلَ في صوف رطيب مبلول ثم جُذِب. قال: أما إنّا قد هوَّنّاه عليك. ورُوِيَ أن موسى عليه الصلاة والسلام لمّا صارت روحه إلى الله عزّ وجلّ قال له ربّه: يا موسى كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور الحيّ يُقلَى على المِقلاة لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير. وفي رواية قال: وجدت نفسي كشاة تُسلَخ بيد القَصَّاب، وفي الحديث «**إنّ الموت أشدّ من ضرب السيوف ونشر المناشير وقَرْض المقاريض**»[٢]. وفي رواية للحافظ أبي نعيم مرفوعًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لَمُعاينة مَلَك الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف**». وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحَواريين: ادعوا الله تعالى أن يُهوِّن عليكم سَكَرَات الموت. وفي حديث أبي حميد الطويل مرفوعًا «**إنّ الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت**»[٣]. وفي الحديث «**إن مَلَك الموت عليه السلام إذا تولّى الله تعالى قبض روحه بعد موت جميع الخلائق يقول: وعزّتك وجلالك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم الآن ما قبضت نفس مؤمن**»[٤]. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الموت وشدّته فقال: «**إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها شيء من الصوف**»[٥]. ولمّا حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه إنك كنت تقول: يا ليتني كنت ألقى رجلًا عاقِلًا لبيبًا عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد وأنت يا أبت ذلك الرجل

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٦٣.

(٢) أخرجه ازبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٧١، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٤٧٨.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٢٧١.

(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يديّ.

(٥) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٢١٧٤.

فصِف لي الموت، فقال: والله يا بنيّ كأن جسمي في جبّ من نار، وكأني أتنفس من خرم إبرة، وكأن روحي غصن شوك يُجذَب من قدمي إلى دماغي، ثم أنشد يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بَدَا لي   في قِلال الجبار أرعى الوُعُولا

وفي الحديث مرفوعًا «**لو أن ألم شعرة واحدة من الميت وُضِع على أهل السمٰوات والأرض لماتوا جميعًا**»[1]. وأنشد بعضهم يقول:

أذكر الموت ولا أرهبه   إن قلبي لغليظ كالحجر
أطلب الدنيا كأني خالد   وورائي الموت يقفو للأثر
وكفى بالموت فاعلم واعظًا   لمن الموت عليه قد قُدِر
والمنايا حوله ترصده   ليس يُنجي المرء منهنّ المفرّ

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقول: بلغني والله أعلم أن مَلَك الموت ينظر في وجه كل آدمي كل يوم ثلاثمائة نظرة وستًّا وستين نظرة. وبلغني أيضًا أن مَلَك الموت ينظر في كل بيت تحت أديم السماء سبعمائة مرة. وبلغني أن مَلَك الموت رأسه في السماء ورِجلاه في الأرض، وأن الدنيا كلها في يد مَلَك الموت كالقصعة بين يدي أحدكم يأكل منها. وبلغني أن مَلَك الموت يكون قائمًا وسط الدنيا فينظر إلى الدنيا كلها برّها وبحرها وجبالها وهي بين يديه كالبيضة بين رِجلَي أحدكم. وبغلني أن لمَلَك الموت أعوانًا والله أعلم بهم ليس منهم مَلَك إلّا لو أذِنَ له الحقّ جلّ وعلا أن يلتَقِم السمٰوات والأرض في لقمة لفعل. وبلغني أن مَلَك الموت تفزع منه الملائكة أشد من فزع أحدكم من السَّبع الضاري. وبلغني أن حَمَلَة العرش إذا قَرُبَ مَلَك الموت منهم يذوبون حتى يصير أحدهم مثل الشعيرة من الفزع منه. وبلغني أن مَلَك الموت ينزع روح ابن آدم من تحت عضوه وظفره وشعره ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا وهو عليه أشدّ من ألف ضربة بالسيف وطعنة بالسنان. وبلغني أنه لو وُضِع وجع شعرة واحدة من الميت على أهل السمٰوات والأرض لماتوا وذابوا حتى إذا بلغت الروح الحلقوم تولى قبضها مَلَك الموت. وبلغني أن مَلَك

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها في حريرة بيضاء ومِسْك أذفر، وإذا قبض روح الكافر جعلها في خرقة سوداء في فخّار من نار أشدّ نتنًا من الجيفة، انتهى. فمثِّل نفسك يا أخي وقد حلَّت بك السَّكَرات ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، ومن قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه ونسي جيرانه لا يكلِّم إخوانه وهو يسمع الخطاب ولا يقدر على ردّ الجواب. وقد دخلت بنت على أبيها وهو محتضر فأنشدت تقول:

حبيبي أبي مَن لليتامى تركتهم ... كأفراغ زغب في بعيد من الوكر

وكذلك مَثِّل نفسك يا أخي وقد أُخِذت من فراشك إلى لوح مُغتَسلك وجرّدوك من أثوابك، وقدَّموا لك كفَنَك ثم غسَّلوك وألبَسوك الأكفان وبكى عليك الأهل والجيران وفَقَدْتَ الأصحاب والإخوان، وقال الغاسِل: أين زوجة فلان تودّعه وتحلِّله الآن، ودخلت في خبر كان عند فلان وأنشدوا:

ألا أيها المغرور ما لك تلعب ... تؤمّل آمالًا وموتك أقرب

وتعلم أن الحرص بحر مُعبَّد ... سفينته الدنيا فإياك تعطب

وتعلم أن الموت يأتيك مُسرِعًا ... تذوق شرابًا طعمه ليس يعذب

كأنك توصي واليتامى تراهم ... وأُمّهم الثكلى تنوح وتندب

تعضّ يديها ثم تلطم وجهها ... تراها رجال بعد ما هي تحجب

وجاؤوك بالأكفان نحوك يقصدوا ... يصبّوا عليك الماء والعين تسكب

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: وإنما شدّد الله على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والأولياء طلوع روحهم زيادة في رِفعَة درجاتهم وإنما شدّد على غيرهم من المسلمين كفَّارة لهم أو عقوبة على ذنوبهم كما سبق به علم الله عزَّ وجلَّ وإلا فالحق سبحانه وتعالى كان قادرًا أن يعطيهم تلك الدرجات من غير ابتلاء والله أعلم. فقد علمتم أيها الإخوان أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أمرّ وأبشع، وأنه الحادث الهاذم للذَّات والأقطع للرَّاحات والأجلب للكريهات والمُفرِّق للأعصاب والأعضاء. وقد حُكِيَ عن الرشيد رحمه الله أنه لمّا اشتدّ مرضه أحضر طبيبًا طوسيًا واضحًا فارسيًّا فأمر أن يعرض عليه بوله مع أبوال كثيرة لمرضى وأصِحَّاء فجعل

يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال: قولوا لصاحب هذا البول يوصي فإنه قد انحلّت قواه وتداعت بنيته فيئس الرشيد من نفسه وأنشد يقول:

إن الطبيب له علم يدلّ به ما دام في أجَل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مهلته حار الطبيب وخانته العقاقير

ثم دعا بأكفان فتخيَّر له منها كَفَنًا وأمر أن يحفروا له قبر أمام فراشه. وقال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: الآيتان ٢٨، ٢٩] فمات من ليلته. فرحم الله تعالى مَن اعتبر بمَن قد مات على غفلة فكأنه بنفسه وقد جاءه الموت كذلك ثم أدخلوه حفرة مُظلِمة كثيرة الهوامّ والديدان وتمكَّن منك الإعدام واختلطت بالرّغام وصرت ترابًا تطؤه النِّعال والأقدام وربما عملوا منك إناء فخار وبنى بك أحد جدار دار أو طلوا بك ماءً نجسًا أو موقودًا بالنار. فقد بلغنا عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أُتِي بإناء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر فيه وقال: كم فيك من طرف كحيل وخد أسيل. وحُكِيَ أن رجلين تنازعا في أرض وتخاصَما عليها فأنطَقَ الله تعالى لَبِنَة من حائط تلك الأرض وقالت: يا هذان إني كنت ملكًا من الملوك مَلَكْتُ الدنيا ألف عام وبنيت ألف مدينة وتزوَّجت ألف بكر ثم مُتُّ وصرت ترابًا فبقيت كذا كذا ألف سنة ثم أخذني فاخوري فعمل مني إناء فاستعملوني حتى تكسرت ثم بقيت ترابًا ألف سنة ثم أخذني رجل فضربني لَبِنَة فجعلني في هذه الحائط فَفِيمَ تنازعكما وفِيمَ تخاصمكما والحكايات في ذلك كثيرة. فاعلموا ذلك أيها الإخوان والحمد لله ربّ العالمين.

باب الموت كفّارة لكل مسلم

روى أبو نعيم بسند حسن صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الموت كفَّارة لكل مسلم**»[1]. قال العلماء: وإنما كان الموت كفَّارة لكل مسلم لِما يلقاه في مرضه وفي قبره من الألم بقرينة قوله ﷺ في حديث مسلم: «**ما من مسلم يصيبه أذًى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله بها**

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢/ ٢٣١، وحلية الأولياء ٣/ ١٢١.

سيئاته كما تحطّ الشجرة اليابسة ورقها»[(١)]. روى مالك في الموطأ مرفوعًا «**مَن يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه**»[(٢)]. وفي الحديث أيضًا «**يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي لا أُخرِج عبدًا من الدنيا وأُريد أن أرحمه حتى أُوفِّيه بكل خطيئة كان عملها سقمًا في جسده أو مصيبة في أهله وولده أو ضيقًا في معيشته وإقتارًا في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذّرّ فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أُمّه**»[(٣)]. قال العلماء: وهذا بخلاف المسلم الذي لا يحبّه الله عزَّ وجلَّ بقرينة حديث «**يقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي لا أُخرِج عبدًا من الدنيا أُريد أن أُعذِّبه حتى أُوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده وسعة في رزقه ورَغَدًا في عيشه وأَمْنًا في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذّرّ فإن بقي شيء هوَّنت عليه الموت حتى يقبض إليَّ وليس له حسنة واحدة يتقي بها النار**»[(٤)]. وفي مثل هذا المعنى ما خرَّجه أبو داود بسند صحيح مرفوعًا «**موت الفجأة أَخْذَة أسف**»[(٥)]. وفي رواية للترمذي «**موت الفجأة راحة للمؤمن وأَخْذَة أسف للكافر**»[(٦)]. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن داود عليه الصلاة والسلام مات فجأة يوم السبت، وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدَّد الله عليه سَكَرات الموت وشدائده حتى يبلغ بذلك درجته من الجنة، وأما الكافر إذا عمل معروفًا في الدنيا فيهوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار. وروى أبو نعيم مرفوعًا «**نفس المؤمن تُخرج ريحًا وإن نفس الكافر تسيل كما يسيل نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدّد بها عليه عند الموت ليكفِّر بها عنه، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت**»[(٧)]، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى باب ٣، ١٦، ومسلم في البرّ حديث ٤٥.

(٢) أخرجه مالك في العين حديث ٧.

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٧، ٤/ ٤٩٧.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) أخرجه أبو داود في الجنائز باب ١٠، وأحمد في المسند ٣/ ٤٢٤.

(٦) أخرجه الترمذي حديث ٩٧٩، والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٢٦٢.

(٧) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ٨٤٠.

باب لا يموتنَّ أحد إلا وهو يُحسِن الظنّ بالله عزَّ وجلَّ، وفي الخوف من الله عزَّ وجلّ

روى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة: «**لا يموتنَّ أحد إلا وهو يُحسِن الظن بالله تعالى**»(١). وأخرجه البخاري أيضًا وزاد في رواية لابن أبي الدنيا «**فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تعالى:** ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصّلت: الآية ٢٣]». وروى ابن ماجه «**أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟**» فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**»(٢). وروى الحكيم الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول ربكم عزَّ وجلّ: لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمَن خافني في الدنيا أمَّنته في الآخرة، ومَن أَمَنني في الدنيا أَخَفْته في الآخرة**»(٣). ورُوِيَ مرفوعًا فيما يُذكَر في مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى قال: لا يلقاني عبد من عبيدي إلا حاسبته على أعماله وناقشته فيها إلا ما كان من الوَرِعين فإني أستحييهم وأُجِلّهم وأُكرِمهم وأدخِلهم الجنة بغير حساب، فمَن استحيا من الله تعالى في هذه الدنيا مما يصنع استحيا الله تعالى منه يوم القيامة في حسابه ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين**»(٤). قال العلماء رضي الله عنهم: وصورة حُسْن الظنّ بالله تعالى أن يُظَنّ به أنه تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له جميع ذنوبه وأن ذلك على الله يسير وإنما استحبّوا ذلك عند وجود أمارات الموت وإن كان حُسْن الظنّ مطلوبًا في كلّ وقت لقوله ﷺ: «**لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يُحسِن الظنّ بربّه عزّ وجلّ**»(٥)، فكان ذلك آكد من

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٨١، ٨٢، وأبو داود في الجنائز باب ١٣، وابن ماجه في الزهد باب ١٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٢٦١.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٨/١٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٨٧/١٠.

(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٥) تقدّم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

غيره ليموت على ذلك فيجني ثمرته يوم القيامة. وقد يحصل للعبد حُسْن الظنّ بربّه وهو سالِم من المرض ثم يقع في سوء الظنّ بالله تعالى في مرضه ويموت على ذلك فيجني ثمرته من عدم رحمة الله تعالى له وعدم التجاوز عنه وعدم المغفرة لذنوبه، نسأل الله تعالى العافية لنا ولجميع المسلمين آمين. فينبغي لكل مَن حضر مريضًا أشْرَفَ على الموت أن يُذَكِّره بحُسْن الظن بالله تعالى ليموت على ذلك ويدخل به في حضرة قوله تعالى [في الحديث القدسي]: «**أنا عند ظنّ عبدي بي**». وفي رواية «**أنا عند ظنّ عبدي بي فليُظَنّ بي خيرًا**». وفي رواية «**فليظنّ بي ما شاء**»[(١)] ـ يعني على وجه التهديد للعبد ـ. وفي رواية «**لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يُحسِن الظنّ بربّه عزَّ وجلّ فإن حُسْن الظن بالله تعالى من الجنة**»[(٢)]. وفي رواية «**مَن مات منكم وهو يُحسِن الظن بالله تعالى دخل الجنة مدلّلًا**»[(٣)]. وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إلٰه غيره لا يُحسِن أحدُ الظنّ بالله تعالى إلا أعطاه الله تعالى ظنّه وذلك أن الخير بيده، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إذا رأيتم الرجل قد حضره الموت فبشّروه ليلقى ربّه وهو يُحسِن الظنّ به، وإذا كان صحيحًا فخوّفوه. وكان الفُضَيل بن عِياض رضي الله عنه يقول: الخوف أفضل من الرَّجاء إذا كان العبد صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف. وكان المعتمر يقول: لمّا حضر أبي الوفاة قال: يا ولدي حدِّثني بشيء من الرّخص لعلّي ألقى الله وأنا أُحسِن الظنّ به. وكان إبراهيم التيمي رضي الله عنه يقول: كانوا يستحبّون أن يذكروا للعبد محاسن عمله إذا حضره الموت حتى يحُسْن ظنّه بربّه عزَّ وجلّ. وكان ثابت البناني رضي الله عنه يقول: كان بجوارنا شاب به زهوّ فلما حضرته الوفاة انكبّت عليه أُمه وهي تقول: يا بنيَّ كنت أُحذِّرك مصرعك هذا، قال: يا أُمّاه إن لي ربًّا كثير المعروف، وإني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه. قال ثابت: فرحمه الله بحُسْن ظنّه به في حالته تلك. وكان عمر بن ذرّ رضي الله عنه كثير الخوف من الله تعالى فلما حضرته الوفاة كان كثير الرَّجاء في الله عزَّ

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ٣٥، والذكر باب ٢، ١٩، والترمذي في الزهد باب ٥١، والدعوات باب ١٣١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٨.

(٢) تقدَّم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

وجلّ فدخل عليه أبو حنيفة وابن أبي داود يومًا فلما دعا عند الانصراف قال: يا ربّ أتعذّبنا وفي أجوافنا التوحيد؟! لا أراك تفعل، ثم قال: اللّهمَّ اغفر لمَن لم يزل على مثل حال السَّحَرَة في الساعات التي قد غفرت لهم فيها فإنهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٢١]، فقال له أبو حنيفة رضي الله عنه: القصص بعدك حرام فرحمة الله عليك. ورُوِيَ أن يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام كان إذا لقي عيسى ابن مريم عليه السلام عبس في وجهه، وكان عيسى ابن مريم عليه السلام إذا لَقِيَ يحيىٰ تبسَّم في وجهه فقال له عيسى: تلقاني عابسًا كأنك آيِس - يعني من رحمة الله تعالى -، فقال له يحيىٰ: تلقاني ضاحكًا كأنك آمَن - يعني من عذاب الله - فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبّكما إليَّ أحسنكما ظنًّا بي، ذكره الطبري. وكان زيد بن أسلم رضي الله عنه يقول: يؤتَى بالرجل يوم القيامة فيُقال: انطلقوا به إلى النار، فيقول: يا ربّ أين صلاتي وصيامي؟! فيقول الله عزَّ وجلّ: اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تُقنِط عبادي من رحمتي، والحمد لله ربّ العالمين.

باب تلقين الميت لا إلـه إلا الله

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقِّنوا موتاكم لا إلـه إلا الله فإنه ما من عبد يُختَم له بها عند موته إلا كانت زادَه إلى الجنة**»(١). وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: احضَروا موتاكم وذكِّروهم لا إلـه إلَّا الله فإنهم يرون ما لا ترون. وفي رواية لأبي نعيم مرفوعًا: احضَروا موتاكم ولقِّنوهم لا إلـه إلَّا الله وبَشِّروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحيَّر عند ذلك المصرَع وإن الشيطان أقرب ما يكون إلى ابن آدم عند ذلك الصَّرع، والذي نفسي بيده لا تخرج نفسُ عبد مؤمن من الدنيا حتى يتألّم لها كلّ عضو منه على حياله. فإذا حضر أحدكم أيها الإخوان أخاه وهو مُحتَضِر فليقل لا إلـه إلّا الله ليكون ذلك وسيلة إلى نطق ذلك المُحتَضِر بها فيكون آخر كلامه لا إلـه إلّا الله فيُختَم له بالسعادة ويدخل في عموم قوله ﷺ: «**مَن كان آخر كلامه لا إلـه إلَّا الله دخل**

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ١، ٢.

الجنة»[١]، فقد علِمتُم أيّها الإخوان أن قولكم عند المُحتَضِر لا إلٰه إلَّا الله فيه تنبيه على ما يدفع به الشيطان فإنه يتعرَّض للمُحتَضِر ليُفسِد عليه عقيدته، وإذا قالها المُحتَضِر مرَّة لا تُعاد عليه إلا أن يتكلم غيرها، وكان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول: لقِّنوا الميت لا إلٰه إلَّا الله فإذا هو قالها فدعوه. قال العلماء: وذلك لأنه يخاف عليه إذا ألحّوا عليه أن يتبرَّم ويعجز ويثقّلها الشيطان على لسانه فيكون ذلك سببًا لسوء الخاتمة. وقال الحسين بن عيسى: لمّا حضرت ابن المبارك الوفاة قال: قل لي لا إلٰه إلَّا الله ولا تُعِدْها عليَّ إلَّا أن أتكلّم بعدها بكلام ثانٍ، وذلك لأن المقصود من التلقين أن يموت ابن آدم وليس في قلبه إلا الله عزَّ وجلّ، والمدار على القلب وعمل القلب هو الذي يُنظَر فيه وتكون به النجاة. وأما حركة للسان فإنما هي ترجمة عمّا في القلب وإلّا فلا فائدة فيه، وكان بعض السَّلَف يكتفي بذِكر حديث التلقين عند الرجل العالِم والله تعالى أعلم.

باب مَن حضر الميت فلا يلغو ويتكلم بخير، وكيف الدعاء للميت إذا مات وتغميضه

روى مسلم عن أُم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة تؤمِّن على ما تقولون»**، قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات، قال: **«قولي اللَّهمَّ اغفر لي وله وأعقِبني منه عقبى حسنة»**، قالت ففعلت ذلك فأعقبني الله مَن هو خير لي منه رسول الله ﷺ[٢]. وعن أُمّ سلمة رضي الله عنها أيضًا قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه النبي ﷺ ثم قال: **«إن الروح إذا قبض تبعه البصر»**، فضجَّ ناس من أهله فقال: **«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون»**، ثم قال: **«اللَّهمَّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهتدين، واخلُفْه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربّ العالمين وافسح له في قبره ونوّر**

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ١، وأبو داو في الجنائز باب ١٦.

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٦.

له فيه»(١)، انتهى. ومن هنا استحبّ العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل العلم ليذكِّروه بالتوبة والشهادتين ويدعوا له ولمَن يخلفه فينتفعوا بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب منه وما يقال عند التغميض

روى ابن ماجه عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حضرتم موتاكم فأغمِضوا البصر فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرًا فإن الملائكة تؤمِّن على ما قال أهل الميت**»(٢). وكانت أم سلمة رضي الله تعالى عنها تقول: إذا حضرتم عند المحتضر فقولوا: السلام على المُرسَلين والحمد لله ربّ العالمين. وكان بكر بن عبد الله المزني التابعي رضي الله عنه يقول: إذا غمضتم الميت فقولوا: بسم الله وعلى ملّة رسول الله ﷺ وسبِّحوا، ثم تلا سفيان وكان حاضِرًا ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: الآية ٥]. وقال بعضهم: سمعت أبا ميسرة الزاهدي يقول: غمضت جعفرًا المعلِّم وكان عابِدًا حالة الموت، فلما مات رأيته في المنام وقال لي: ما كان عليَّ تغميضك لي قبل أن أموت والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في أن الشيطان يحضر الميت عند موته، وما يخاف من سوء الخاتمة، نسأل الله العافية

رُوِيَ أن العبد إذا كان في الموت قعد عنده شيطانان واحد عن يمينه وآخر عن شماله، فالذي عن يمينه على صفة أبيه يقول: يا بني إني كنت عليك شفيقًا ولك مُحِبًّا ولكن مُتْ على دين النصارى وهو خير الأديان، والذي على شماله على صورة أُمه يقول: إنه كان بطني لك وِعاء وثديي لك سقاء وفخذي لك وِطاء ولكن مُتْ على دين اليهود وهو خير الأديان، ذكره أبو الحسن الفاسي المالكي وذكر معناه أبو حامد الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة، قال: وعند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تُعرَض عليه الفِتَن، وذلك أن إبليس قد

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٧، ٩، وابن ماجه في الجنائز باب ٦.
(٢) انظر الحاشية السابقة.

أَقْعَدَ أعوانه إلى هذا الإنسان خاصّة، واستعملهم عليه ووكّلهم به فيأتون المرء وهو في تلك الحالة الشديدة والهَوْل الأفظع الذي تتزلزل فيه عقول العُقَلاء فيتمثَّلون له في صورة مَن سَلَف من الأحياء النَّاصحين المُحِبِّين له في دار الدنيا كالأب والأُم والأخ والأُخت والحَمِيم والصديق فيقول له: أنت تموت يا فلان ونحن سبقناك في هذا الشأن فمُت يهوديًا فهو الدين المقبول عند الله، فإن انصرف عنهم وأبى جاءه قوم آخرون وقالوا له: مُت نصرانيًا فإنه دين المسيح وبه نسخ الله تعالى دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملّة فيزيغ الله تعالى مَن يريد زيغه وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨] - يعني في الدنيا - أي لا تُزِغ قلوبنا عند الموت بعد إذ هديتنا قبل ذلك زمانًا طويلًا، فإذا أراد الله تعالى بعبده خيرًا وهداية وتثبيتًا جاءته الرحمة مع جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشّحوب عن وجهه فهناك يتبسَّم الميت لا مَحالة للبُشرى التي جاءته من الله عزَّ وجلّ. ورُوِيَ أن جبريل عليه السلام يقول له: يا فلان أما تعرفني أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مُت على المِلّة الحنيفية والشريعة الخليلية فلا شيء أحبّ للإنسان منها ولا أفرح بذلك وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: الآيتان ٦٣، ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨]، ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتي.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد لمّا حضرت وفاة الإمام أحمد وبيدي خرقة لأشدّ بها لَحيَيه وكان يعرق ثم يفيق فيقول: لا بعدًا لا بعدًا حتى قال ذلك مرارًا، فقلت له: يا أبت، أيّ شيء بذلك أردت؟ فقال: الشيطان واقف بحذائي عاضّ على أنامله يقول: يا أحمد فتنتي، وأنا أقول له: لا بعدًا لا بعدًا حتى أموت.

ولمّا حضرت الوفاة الإمام أبا جعفر القرطبي رضي الله عنه قالوا له: قل: لا إله إلا الله، فكان يقول، فلما أفاق ذكروا ذلك له فقال: أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي يقول أحدهما مت يهوديًا فإنه خير الأديان، ويقول الآخر مت نصرانيًا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا تقولا هذا لي، وقد كتبته بيدي في كتاب الترمذي والنسائي عن النبي ﷺ: «**إن الشيطان يأتي أحدكم قبل موته فيقول له: مُت يهوديًا، مُت نصرانيًا، فكان الجواب لهما بقولي: لا**»، وليس الجواب لكم أنتم. قال القرطبي: ووقع مثل ذلك للصالحين كثيرًا، فيكون

الجواب بقول أحدهم: لا للشيطان، لا لمَن يلقِّنه الشهادة. وكان مجاهد رضي الله عنه يقول: ما من مؤمن يموت إلا وتُعرَض عليه أهل مجالسته الذين كان يجلس إليهم إن كانوا أهل لهو فأهل لهو، وإن كانوا أهل ذِكر فأهل ذِكر. وقال الربيع بن سبرة حضرت موت رجل بالشام فقيل له: يا فلان قل: لا إلٰه إلاّ الله، فقال: اشرب واسقني، وقيل لرجل آخر ببلاد الأهواز، قل: لا إلٰه إلا الله، فجعل يقول: يا زده وازده، تفسيره عشرة إحدى عشرة ثنتا عشرة، وكان هذا الرجل من أهل القلم والديوان فغلب عليه الحساب والميزان. وحُكِيَ أن رجلاً كان عليه خراج يعطيه يوم الاثنين ويوم الخميس، فلما احتضر قالوا له: يا فلان قل: لا إلٰه إلاّ الله، فقال: الاثنين والخميس فلم يزل يقول ذلك حتى مات. وقيل لرجل آخر بالبصرة: يا فلان قل: لا إلٰه إلاّ الله، فجعل يقول:

يا رُبَّ قائلةٍ يومًا وقد سألت أين الطريق إلى حمام منجاب

وكان ذلك الرجل استدلّت منه امرأة على الحمام فدلّها على منزله فهامَ بها عشقًا، فلذلك قال: هذا البيت عند موته لغَلَبَة عِشقها عليه. وذكر الإمام أبو محمد عبد الحقّ في كتاب العافية أن لهذا الكلام قصة طويلة، ملخصها أن رجلًا كان واقفًا بإزاء داره. وكان بابه مزخرفًا يشبه باب الحمام فمرّت به امرأة ذات حُسْن وجمال وهي تقول:

أين الطريق إلى حمام منجاب

فقال لها: هذا حمام منجاب، وأشار إلى داره، فدخلت الدار ودخل خلفها، فلما رأت نفسها معه في داره وأنه نصب عليها أظهرَت له الفرح والسرور في اجتماعها معه في تلك الخلوة، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقرّ به أعيننا، فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين واطمأنت نفسه لها فخرج وتركها في الدار ولم يغلق الباب، فلما أتاها بما طلبت لم يجدها في الدار فخرج هائمًا في حُبّها وأكْثَرَ من ذِكْرها في الطرق والأزقّة، فبينما هو يُنشِد هذا البيت يومًا وإذا بجارية قد أجابته من طاقة، ولعلها تلك المرأة وهي تقول:

هلَّا جعلت لها لـمّا خَلَوْتَ بها حِرزًا على الدار أو قِفلًا على الباب

فازداد هيمانه واشتدّ هيجانه ولم يزل كذلك حتى حضرته الوفاة فقال ما قال، نعوذ بالله من الفتن والمِحَن.

وحكى القرطبي أن بعض السماسرة ممَّن غلب عليهم الاشتغال بالدنيا لمّا حضرته الوفاة جعل يعقد أصابعه ويحسب. وكذلك حُكِيَ أن بعضهم لمّا حضرته الوفاة قيل له قل: لا إلـه إلّا الله، فقال: علفتم الحمارة. وكذلك قيل لبعضهم قل: لا إلـه إلّا الله وكان سوقيًا فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة إلا ربع. وقيل لآخر قل: لا إلـه إلا الله، فقال: ناوليني قدحي. وقيل لآخر وكان يَزِن كاملًا وقد حضرته الوفاة قل: لا إلـه إلّا الله، فقال: أدعوا الله تعالى أن يهوِّن عليَّ النطق بها فإن لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها لعدم مسحي كفَّة الميزان من كَلٍّ قليل، وعدم تفقّدي الوسخ الذي يجتمع فيها من هبوب الرّياح. وقيل لآخر قل: لا إلـه إلّا الله لمّا احتضر، فقال: لا أستطيع، فقيل: وما يمنعك من ذلك؟ فقال: نظرت يومًا إلى محاسِن امرأة وقفت عليَّ تشتري لها منديلًا. وقيل لآخر حين احتضر قل: لا إلـه إلّا الله، فقال: لا أقدر على النطق بها لأني كنت أُوذي جيراني بلساني.

وقيل لبعضهم قل: لا إلـه إلّا الله، فقال: لا أقدر عليها، فقيل له: فماذا كنت تصنع؟ قال: كنت إذا خلوت بامرأة يميل قلبي إلى تقبيلها لو رضيت. وقيل لآخر قل: لا إلـه إلّا الله، فقال: لا أقدر، فقيل له: فماذا كنت تصنع؟ فقال: كنت أستحي من الخلق إذا عصيت أكثر ما كنت أستحي من الله تعالى. وقيل لآخر قل: لا إلـه إلَّا الله، فقال: لا أستطيع، فقيل له: ما كنت تصنع؟ قال: وقعت في الزِّنا مرة في عمري. وقيل لآخر قل: لا إلـه إلَّا الله، فقال: لا أقدر، فقيل له: ما كنت تفعل؟ فقال: مرضت زوجتي مرة فوقعت على عبدي، انتهى.

والحكايات في ذلك كثيرة نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وحاسِبوا أنفسكم قبل أن تُعرَضوا على الملك الدَّيَّان فلا مفرّ عن ذلك ولا فوت إلا لمَن رغب في طاعة الله بالزَّاد والقُوت وإياكم أن تتعاطوا شيئًا من المعاصي فربما انعقد لسان أحدكم عن الشهادة عند الموت والحمد لله ربّ العالمين.

باب منه وفيما جاء في سوء الخاتمة وأن الأعمال بالخواتيم

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يُختَم له بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يُختَم له عمله بعمل أهل الجنة**»(١). وفي البخاري مرفوعًا «**إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم**»(٢).

قال العلماء رضي الله عنهم: سوء الخاتمة لا يكون إلا لمَن كان مُصِرًّا على المعاصي في الباطن وله إقدام على الكبائر مخادعة لله عزَّ وجلَّ، أما مَن كان على قدم الاستقامة في الظاهر ولم يصرّ على معصية في الباطن فما سمعنا ولا علمنا أن مثل هذا يُختَم له بسوء أبدًا ولله الحمد على ذلك بخلاف مَن غلب عليه حبّ المعاصي والوقوع فيها من غير توبة فربما نزل عليه الموت قبل التوبة فيصدمه الشيطان عند تلك الصدمة ويخطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله تعالى فيظهر شقاؤه للناس عند موته، وقد يكون العبد مستقيمًا طول عمره ثم يغيِّر ويُبدِّل إذا قَرُبَ أجَلُهُ ويخرج عن طريق الاستقامة فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كما وقع لإبليس، فقد ورد أنه عَبَدَ الله مع الملائكة ثمانين ألف سنة. وكذلك بلعام بن باعوراء الذي أعطاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض واتّباعه هواه؛ وكذلك برصيصا العابد الذي روى أن الله قال في حقه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: الآية ١٦]، وملخّص قصته: أنه كان إذا لمس مُصابًا بالجنون أو بالصَّرَع برىء فحصل لابنة الملك خَبَل في عقلها فأرسلوها إليه لتبيت تحت صومعته في البرّيّة فأتاه إبليس وقال له: ازْنِ بها فإنها غائبة عن حِسّها، فلما فعل ذلك قال له إبليس: يخاف أن تكون شعرت بذلك فتهتك بين الناس فاذبحها وادفنها في ذلك الكوم الرمل،

---

(١) أخرجه مسلم في القدر حديث ١١.

(٢) أخرجه البخاري في القدر باب ٥، والرقاق باب ٣٣.

فإذا جاء جماعة الملك لطلبها فقل لهم إنها بَرِئَت وذهبت فإنهم يصدّقونك، ففعل ما أشار به عليه إبليس، ثم إن إبليس ذهب إلى الملك في صورة عابِد وقال له: إن برصيصا قد فسق في ابنتك وخشي أن تكون شعرت بذلك فتُعلِمكم إذا أفاقت فقتلها ودفنها في كوم الرمل قريبًا من صومعته وسيقول لكم إنها بَرِئَت وذهبت إليكم فلا تصدّقوه. فأرسل الملك جماعته فرأى ما قاله صحيحًا، فأمر بصلب برصيصا، فأتاه إبليس وهو مصلوب وقال له اسجد لي بجهتك وأنا أُخلِّصك كما أوقعتك، فأومأ بالسجود فكفر وذهب إبليس ولم يخلِّصه ومات على كُفره، انتهى.

وحُكِيَ أنه كان بمصر العتيق رجل صالح يؤذِّن، وبجوار المسجد بنت نصراني فرآها يومًا من السطح ففُتِن بها فواعَدها في وقت ففتحت له الباب، فقال: قد شَغَلْتِ قلبي عن أمور الدنيا والآخرة، فقالت له فما تريد؟ فقال: أُريد أن أتزوّجك، فقالت: إن والدي لا يرضى إلا إن دخلت في ديني، فدخل في دينها ثم رَقِيَ سطح بيتها لينظر المدينة فسقط من السطح فمات نصرانيًّا فلا هو نال مقصوده ولا هو مات مسلمًا نسأل الله العافية.

وروى البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت: نراك يا رسول الله تحلف وتقول: **«لا ومُقَلِّب القلوب»** فهل تخشى؟ فقال: **«يا عائشة وما يُؤَمِّنني وقلوب العِباد بين أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلِّبَ قلبَ عبدٍ قَلَبَه»**[1].

وروى النسائي عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أُمّ الكبائر، وأنه كان رجل ممَّن كان قبلكم يعبد الله فعلقت به امرأة غَوِيَّة فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: سيدتي تدعوك للشهادة، فانطلق مع الجارية فجعلت كلما دخل بابًا أغلقته حتى أَفْضَت إلى امرأة وَضِيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت له: والله إني ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ أو تشرب من هذا الخمر كأسًا أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من الخمر فإنه أهون عليَّ، فَسَقَتْه كأسًا، فقال: زيديني، فلم تَزَل تسقيه حتى تمكن منه الخمر

(١) أخرجه البخاري في القدر باب ١٤.

فوقع عليها وقتل الغلام. فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلّا ويوشك أن يُخرِج أحدهما صاحبه.

ويُروَى أن رجلًا من المسلمين أُسِر فكان يخدم راهبين وكان يحفظ القرآن فكان إذا تلا القرآن رقَّ قلبهما وبكيا ثم أسلما وتنصّر الرجل المسلم فقالا له: ارجع إلى دينك الأول فهو خير فلم يرجع ومات نصرانيًا نسأل الله تعالى حُسْن الخاتمة وأنشدوا:

تحيَّرت الأفهام في ذا الورى ... بالختم من أمر العليم الحكيم

فمن سعيد وشقيّ ومن ... مُثْرٍ من المال وعارٍ عديم

ومن عزيز رأسه في السما ... ومن ذليل وجهه في التخوم

كلٌّ على منهاجه سالِك ... ذلك تقدير العزيز العليم

وقال الربيع: سُئِل الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه عن القدر فأنشأ يقول:

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنّ

على ذا مَنَنْت وهذا خذلت ... وهذا أهَنْتَ وذا لم تهن

فمنهم شقيّ ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

ورُوِيَ في الحديث أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لمَلَك الموت: أما لك رسول تقدّمه بين يديك لتكون الناس على حذر منك؟ فقال: نعم والله لي رُسُل كثيرة من العِلَل والأمراض والشَّيب والهرم ونقص السمع والبصر فإذا لم يتفكَّر مَن نزل به ذلك في الموت ولم يتُب ولم يحصل الزّاد ناديته عند قبض روحه ألَم أُقدِّم إليك رسولًا بعد رسول ونذيرًا بعد نذير؟! فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير.

وفي الحديث أيضًا «**ما من يوم تطلع شمسه إلا ومَلَك الموت ينادي: يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزَّاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شديدة، يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد، يا أبناء الستين قد نسيتم العقاب وسوء**

الحساب»[١]، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، ذكره ابن الجوزي رحمه الله تعالى ورحمنا به آمين.

وروى البخاري مرفوعًا: «**أعذر الله إلى امرىء أخّر أجله حتى بلغ ستّين سنة**»[٢]، أي: مدّ له حبل الحلم والصبر على لهوه ولعبه، ولا يصلح لمن بلغ ستّين سنة أن يلهو أو يلعب. وكان الطبري رضي الله عنه يقول: النذير في هذه الآية هو الشَّيْب. ورُوِيَ أنّ الله تعالى ينظر في وجه الشيخ كلّ يوم خمسين مرّة، فيقول: «**يا ابن آدم كَبُر سنّك ووَهُن عظمك واقترب أجلك، فاسْتَحِ منّي كما أستحي منك، فإنّي أستحي أن أُعذّب ذا شيبة**»[٣]، وأنشدوا:

رأيت الشَّيْب في نُذُر المنايا ... يذكّرني بعمر لي قصير
تقول النفس غيِّر لون هذا ... عساك تطيب في عمرٍ يسير
فقلت لها: المشيب نذير عمري ... ولست مسوّدًا وجه النّذير

وأنشدوا أيضًا:

كم تعالى وقد علاك المشيب ... وتعامى دهرًا وأنت اللّبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير ... ومنايا الحمام منك قريب
يا مقيمًا قد حان منك رحيل ... بعد ذاك الرَّحيل يومٌ عصيب
إنَّ للموت سكرة مِنْ ضناها ... لا يُداويك إن عقلت طبيب
ليس في ساعةٍ من الدهر إلّا ... لِمَنايا عليك فيها وُثوب

واعلموا يا إخواني رحمكم الله أنّ مِنْ نذير الموت الحمّى - أي المرض - قال ﷺ: «**الحمّى نذير الموت**»[٤]، أي: تشعر بقدوم رسول الموت وسرعة مجيئه. وقال العلماء: موت الأهل والأقارب وغيرهم من الأحباب والأصحاب

---

(١) أخرجه بنحوه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩، ٤/ ١١٩.
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٥.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٤) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٣٩، بلفظ: «الحمّى بريد الموت».

أبلغ في النذير في كلّ وقتٍ وزمان. وأنشدوا:

أرى اللّيالي والأيّام تجذبني بحبل عمري إلى قبري وتُدْنيني
وكم تُريني من ميت وذاك أنا وكم تحدّث غيري وهي تعنيني

وأنشدوا أيضًا:

الموت في كلّ حين ينشر الكَفَنا ونحن في غفلةٍ عمّا يُراد بنا
لا تطمئنّ إلى الدُّنيا وزينتها وإن توشّحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبّة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا سَكَنا
سقاهم الموت كأسًا غير صافيةٍ فصيَّرتهم لأطباق الثَّرى رهنا

ورُوِيَ أنّ ملك الموت دخل على داود عليه الصّلاة والسّلام، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: مَنْ لا يهاب الملوك، ولا تُمنع منه الحصون، ولا يَقْبل الرّشا، قال: فإذن أنت ملك الموت، ولم أستعدَّ للقائك بعد. فقال: يا داود، أين فلان جارك؟ أين فلان قريبك؟ أين فلان صاحبك؟ قال: ماتوا. فقال: أمَا كان في هؤلاء عبرة لمن يستعدّ.

وكان مجاهد يقول: مَنْ بلغ الأربعين فقد آنَ له أنْ يعرف مقدار نِعَم الله تعالى عليه وعلى والديه، وأن يبالغ في الشكر؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: الآية ١٥]. وكان الإمام مالك رحمه الله يقول: أدركت الناس وأهل العلم من بلدنا، وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يبلغ أحدهم أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة اعتزل النّاس وتفرَّغ للعبادة.

حُكِي أنّ بعض العلماء الأكابر كان له مجلس في بستانه لا يدخل فيه إلاّ أصحابه وإخوانه فقط، فبينما هو جالس يومًا إذ رأى رجلًا يتخلّل الشجر حتى جاء وجلس إلى جنبه، فتكدّر الجماعة منه وهمّوا بالبوّاب فقال له العالم: هل لك من حاجة؟ فقال: نعم رجل ثبت عليه حقّ، فزعم أنّ له مدافعاً يدفع عنه ما عليه، فقال: يقوم له الحاكم بقدر ما يرى، فقال السائل: قد ضرب له الحاكم أجلًا، فلم يأتِ بمنفعة ولا ترك اللّدود والمدافعة، فقال: يقضى عليه، فقال: إن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة؛ فأطرق العالم رأسه وتحدّر جبينه عرقاً وذهب السائل وأفاق العالم من سكرته، فسأل عن السائل؟

فقال البوّاب: ما دخل إليكم أحد ولا خرج من عندكم أحد، فقال العالم لأصحابه: انصرفوا عنّي ودعوني أتهيّأ للموت، فما كان يُرى بعد ذلك إلّا في مجالس الذِّكر والوعظ إلى أنْ مات إلى رحمة الله تعالى.

ورُوِيَ أنّ بعض الملوك خرج من ملكه بغتة، فقيل له في ذلك؟ فقال: رأيت شعرتين قد ابيضّتا من لحيتي فنتفتهما فطلعتا ثانيًا، فنتفتهما فطلعتا ثالثًا، ثم تأمّلت فيهما فقلت: هذان رسولان من ربّي أن اترك الدّنيا وتعالى إليّ، فقلت: سمعًا وطاعةً؛ فلم يزل سائحًا في الأرض يعبد الله تعالى حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا، آمين. وأنشدوا:

وزائرة للشَّيْب لاحت بمفرقي ... فأدركتها بالنَّتْف خوفًا من الحتف
فقالت على ضعفي استطلت وإنَّما ... رُويدك حتى يلحق الجيش من خلف

ورُوِيَ أنّ أوَّل من شاب السيّد إبراهيم الخليل عليه الصّلاة والسّلام لمَّا رجع من تقريب قربان ولده إلى ربِّه، فشابت من لحيته شعرة واحدة فأُعجب بها وكرهت ذلك سارة، وقالت له: أزِلْها، فأبَى فنزل عليه ملك فقال: السّلام عليك يا إبراهيم، ولم يكن اسمه قبل ذلك إلا إبريم، فزاد الملك في اسمه الألف والهاء في لغة السّريانية للتعظيم والتفخيم، فاشتدّ فرح إبراهيم بذلك، ثمّ أصبح وقد شابت لحيته كلّها.

وفي الحديث مرفوعًا: «**مَنْ شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة**»[1]، وفي الحديث أيضًا: «**إنّ الله تعالى يستحي أن يعذِّب ذا شيبة**»[2]. وأنشد بعض الأعراب لمّا رأى الشَّيْب في لحيته:

يا وَيح مَنْ فقد الشباب وغيّرت ... منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو عمارة وجهه بخضابه ... ومصير كل عمارة لخراب
إنّي وجدتهما أجلّ رزيَّة ... فَقْد الشباب وفرقة الأحباب

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد باب ٩، والنسائي في الجهاد باب ٢٦.

(٢) أخرجه بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٦٤٤.

ولمّا طلع الشَّيب في رأس الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنشد:

خَبَتْ نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظْلَم ليلي إذْ أضاء شهابها
أيا بومة قد عشّشت فوق هامتي ... على الرَّغم منّي حين طار غرابها
رأيت خراب العمر منّي فزرتني ... ومأواك مِنْ كلِّ الدِّيار خرابها
أأنعم عيشًا بعد ما حلّ عارضي ... طلائع شَيْب ليس يُغْني خضابها
وعزّة عمر المَرْء قبل مشيبهِ ... وقد فنَيْت نفس تولّى شبابها
إذ اصفرَّ لون المَرْء وابْيَضَّ شعره ... تنغّص من أيّامه مُستطابها
فدَعْ عنك سوآت الأُمور فإنّها ... حرامٌ على نفس التّقى ارتكابها
وأدِّ زكاة الجاه واعلم بأنّها ... كمثل زكاة المال تمّ نصابها
وأحْسِنْ إلى الأحرار تَمْلُك رقابهم ... فخَيْر تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشينّ في منكب الأرض فاخرًا ... فعمّا قليل يحتويك ترابها
ومَنْ يذق الدُّنيا فإنّي طعمتها ... وَسِيقَ إلينا عَذْبها وعَذَابها
فلم أرَها إلّا غرورًا وباطلًا ... كما لاحَ في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همّهنّ اجْتِذابها
فإنْ تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فَطُوبى لنفسٍ أوطنت قعر دارها ... مغلقة الأبواب مرخيّ حجابها

انتهى.

فاعلموا ذلك أيّها الإخوان، فما بعد الشَّيْب من عذر، والحمد لله ربّ العالمين.

باب متى تنقطع معرفة العبد للناس، وفي التوبة وبيانها، ومَنْ هو التائب؟

روى ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري، قال: سألت رسول الله ﷺ: متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ فقال: «**إذا عاين**»[(١)]. قال العلماء: إذا عاين ملك الموت أو الملائكة، وهو معنى حديث الترمذيّ مرفوعًا: «**إنّ الله يقبل توبة**

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٥.

العبد ما لم يُغَرْغِر»[(١)]، أي عند بلوغ الروح الحلقوم، وعند ذلك يعاين ما يصير إليه من رحمة أو عذاب، فلا ينفعه حينئذ توبة ولا إيمان، كما هو مقرّر في كتب الشريعة. فعُلِمَ أن التوبة مبسوطة للعبد حتى يُعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح، وذلك إذا قطع وتين الشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة وعندها حضور الموت، فيجب على كلِّ عبدٍ التوبة من كلِّ ذنب قبل الغرغرة والمُعاينة. وأنشدوا:

قدِّم لنفسك توبة تَحْظَى بها ... قبل الممات وقبل حبس الألسن
واسْبق بها قُوت النفوس فإنّها ... ذخر وغنم للّبيب المُحْسن

وفي الحديث مرفوعًا: «**قال الشيطان: وعزّتك وجلالك لا أُفارق ابن آدم ما دام الروح في جسده، فقال الله تعالى: فبعزّتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تغرغر نفسه**»[(٢)]، فتوبوا بنا أيّها الإخوان ما دمنا في زمن المهلة والإمكان وتوبتنا قد تحتاج إلى استغفار لعدم الصدق، فقد كان الحسن البصريّ رضي الله عنه يقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار. قال الإمام القرطبي رحمه الله: فإذا كان هذا في زمانه، فكيف بزماننا الذي يُرَى الإنسان فيه مُكِبًّا على المعاصي وظلم العباد لا يهتدي للتوبة، ومع ذلك في يده سبحة زاعمًا أنه يستغفر من ذنوبه بها وقلبه غافل عن الاعتبار. ومن هنا كان الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إذا رأى رجلًا يُسْرع في السَّبحة بالاستغفار، يقول له: هذه توبة الكذّابين وتوبتك تحتاج إلى توبة.

وقال المحقّقون: لا يقدر على التوبة النّصوح إلّا الأفراد من الناس لعزّتها، فأكثروا من الاستغفار، ومن الاستغفار عن استغفاركم لعدم صدقكم وارجوا من فضل ربّكم قبول توبتكم إذا حصل لكم نبذة ندم؛ لحديث: «**الندم توبة**»[(٣)]. وروى البخاري ومسلم مرفوعًا: «**إنّ العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه**»[(٤)]. وروى أبو حاتم في مسنده الصحيح مرفوعًا: «**ما من عبدٍ يؤدّي**

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٩٨.
(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٣٠، وأحمد في المسند ٣٧٦/١، ٤٢٣، ٤٣٣.
(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ٣٤، ومسلم في التوبة حديث ٥٦، وأحمد في المسند ١٩٦/٦.

الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلّا فتحت له ثمانية أبواب حتى إنّها لتصفّق»[(١)]، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النّساء: الآية ٣١] الآية. وسُئِل الإمام مالك رحمه الله: هل لقاتل النفس من توبة؟ فقال: هذا باب فتحه الله لا أغلقه، والحمد لله ربّ العالمين.

باب لا تخرج روح عبد مؤمن ولا كافر حتى يبشّر

رُوِيَ عن محمد بن كعب القرظي التابعي الجليل رضي الله تعالى عنه، أنّه كان يقول: إذا اجتمعت روح المؤمن في فِيهِ تريد الخروج جاءه ملك الموت، فقال له: السّلام عليك يا وليّ الله، إنّ الله تعالى يُقْرئك السلام، ثم تلا هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النّحل: الآية ٣٢]، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إذا جاء مَلَك الموت يقبض روح المؤمن، قال له: ربّك يُقرئك السلام، وكان البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٤] هو تسليم ملك الموت على الميت حين يقبض روحه، فلا يقبض روحه حتى يعطيه الأمان من العذاب بالسلام عليه.

وكان مجاهد رضي الله تعالى عنه يقول: إنّ المؤمن ليبشّر عند طلوع روحه بصلاح ولده من بعده لتقرّ بذلك عينه. وروى ابن ماجه بسند صحيح ثابت مرفوعًا: «**تحضر الملائكة ـ يعني عند طلوع روح العبد ـ فإن كان صالحًا قالوا: اخرجي أيّتها النفس المطمئنّة التي كانت في الجسد الطيّب، اخرجي حميدة وأبشري بروحٍ وريحان وربّ راضٍ غير غضبان، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء، فتفتح لها أبواب السمٰوات إلى أن تقف بين يدي الله عزّ وجلّ، وإذا كان الرجل السّوء يقال لها: اخرجي أيّتها النفس الخبيثة الّتي كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يُقال لها ذلك حتى تخرج، ثمّ يُعرج بها إلى السماء فيُستفتح لها، فيقال: مَنْ هذا؟ فيقال: فلان، فيُقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة**

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره ٥/١٥٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٨٧.

الّتي كانت في الجسد الخبيث ارجعي، فلا تفتح لها أبواب السماء، فتُرسل من السماء ـ أي تسقط ـ ثمّ تصير إلى القبر»[١]. وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: «**إذا خرجت روح العبد تلقّاها ملكان يصعدان بها، وتقول: أهل السماء روح طيّبة جاءت من قِبل الأرض صلّى الله عليك وعلى جسدٍ كنت فيه، فيُنطلق بها إلى ربّها، ثمّ يقال: انطلقوا بها إلى آخر الأجل، وإنّ الكافر إذا خرجت روحه تقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، ويُقال: انطلقوا بها إلى آخر الأجل**»، ورواه البخاري وقال فيه: «**فردّ رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه**»[٢]، أي يرى أصحابه كيف تتّقى الملائكة ريح تلك الروح بوضع شيء على الأنف لئلّا تتضرّر بذلك.

وفي البخاري ومسلم مرفوعًا: «**مَنْ أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، فقالت عائشة: أمّا الموت، فكلّنا نكرهه! فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه، فأحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه، وإنّ الكافر إذا حضره الموت بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه، فكره لقاء الله فكره الله لقاءه**»[٣]، وفي رواية: «**إذا شخص البصر وخرج الصدر واقشعرّ الجلد وتشحّبت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا قيّض له قبل موته ملكًا يسدّده ويوفقه، حتى يقول الناس: مات فلان خيرًا ممّا كان، فإذا حضر ورأى ثوابه تهوّعت نفسه ـ أي فَرِحت واستبشرت ـ فذلك حين أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبدٍ شرًّا قيّض له قبل موته بعام شيطانًا فأضلَّه وفتنه حتى يقول الناس: مات فلان شرًّا ممّا كان، فإذا حضر ورأى ما نزل به من العذاب انخلعت نفسه، فذلك حين يكره لقاء الله ويكره الله لقاءه**».

وروى الترمذيّ مرفوعًا، وقال: هو حسن صحيح: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله، فقيل: كيف استعمله يا رسول الله؟ قال: يوفّقه لعملٍ صالح قبل**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٣١.
(٢) أخرجه بنحوه أحمد في المسند ٤/ ١٤.
(٣) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٤١، ومسلم في الذكر حديث ١٤، ١٦، ١٧، ١٨.

الموت»(١)، وفي رواية: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا عسله، قالوا: يا رسول الله وما عسله؟ قال: يفتح له عملًا صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله**»(٢).
وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: الآية ٨٩]: الروح هو الرَّحمة، والرّيحان تتلّقاه به الملائكة عند الموت. وروى ابن ماجه عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعائشة في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٩٩]: «**إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا له: نُرجعك إلى الدُّنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان، فيقول: قدِّماني إلى الله عزّ وجلّ. وأمّا الكافر، فيُقال له: نُرجعك إلى الدّنيا فيقول: أرجعون** ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ **[المؤمنون: الآية ١٠٠]**»(٣) الآية.

وروى البزار مرفوعًا: «**إنّ المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر وريحان ـ أي جملة منه ـ فتسلّ روحه كما تسلّ الشعرة من العجين، ويقال: أيّتها النفس المطمئنّة اخرجي راضيةً مرضيًا عنك إلى روح الله وكرامته ـ أي رحمته وإحسانه ـ فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان، ثم طُوِيت عليه الحريرة وذهب بها إلى عليّين، وإنّ الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه نزعًا شديدًا، ويقال: أيّتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة، فيُطوى عليه المسح ثم يذهب به إلى سجِّين**»(٤)، نسأل الله حُسن الخاتمة والموت على الإسلام لنا وللحاضرين وجميع المسلمين، آمين.

باب ما جاء في تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض وعرض الأعمال

روى عبد الله بن المبارك عن أبي أيّوب الأنصاري المدفون خارج المدينة القسطنطينية، أنّه كان يقول: إذا قُبِضت روح المؤمن تلقّاها أهل الرحمة من

---

(١) أخرجه الترمذي في القدر باب ٨.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٠٠.
(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٥.
(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٠١، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٦٧.

عباد الله كما تتلقّون البشير في دار الدُّنيا فيُقبلون عليه، فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان في كَرْب شديد. قال: فيقولون له: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوّجت أم لا؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات، فيقول لهم: قد هلك، فيقولون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٦]، ذُهِب به إلى أُمّه الهاوية فبئست الأُمّ وبئست المربّية. قال: فتُعرض عليهم أعماله، فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: اللّهمّ هذه نعمتك على عبدك فأتمّها، وإن رأوا شرًّا قالوا: اللّهمّ ارجع بعبدك. وكان أبو الدّرداء يقول: إنّ أعمالكم تُعْرض على موتاكم فيفرحون ويشكرون أو يحزنون. وكان أبو الدرداء يقول: اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أعمل عملًا تحزن به أمواتي. وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول: إنّ الأَموات لتأتيهم أخبار الأحياء، فما من أحدٍ له حميم إلّا ويأتيه خبر أقاربه، فإن كان خيرًا سرّ به وفَرِح، وإنْ كان شرًّا عبس له وحَزِن، حتى إنّهم يسألون عن الرجل قد مات، فيقول: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ما جاءنا ولا مرّ بنا سُلِك به إلى أُمّه الهاوية، فبئست الأُمّ وبئست المربّية.

وكان وهب بن منبه رضي الله عنه يقول: إنّ لله دارًا في السماء السابعة يُقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقّته الأرواح ويسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم من سفره عليهم، رواه أبو نعيم.

وروى الحكيم الترمذيّ مرفوعًا: «**إنّ أعمالكم تُعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى، فإنْ كان خيرًا استبشروا، وإنْ كان غير ذلك قالوا: اللّهمّ لا تُمِتهم حتى تهديهم كما هديتنا**». ورُوِيَ مرفوعًا: «**تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تبارك وتعالى، وتُعْرض على الأبناء والآباء والأُمّهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا، فاتّقوا الله ولا تُؤْذوا موتاكم**»[1]. ورُوِيَ: أنّ الأَموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلّهم: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوّج فلان؟ أو تزوّجت فلانة؟ ونحو

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/٣٢٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/٢٠٥.

ذلك، وقد قيل في حديث: «**الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائْتلف، وما تَناكر منها اختلف**». إنّه هذا التلاقي، وقيل: تلاقي أرواح النيّام والموتى، وقيل غير ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب في الأرواح وإلى أين تصير حين تخرج من الجسد

روى الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه: «**إنّ الملائكة ترفع الأرواح حتى تُوقفها بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا كان من أهل السعادة قال: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنّة، فيسيرون بها في الجنّة على قدر ما يغسل الميّت، فإذا غُسّل وكُفّن رُدَّت وأُدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حُمِل على النعش فإنّه يسمع كلام مَنْ تكلَّم بخير أو تكلَّم بشرّ، فإذا وصل إلى المصلَّى وصُلِّيَ عليه ودُفِن رُدَّت فيه الروح وقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتّانان فيسألانه**»[١]... الخ ما ورد وسيأتي.

وكان عمرو بن دينار رضي الله عنه يقول: ما من ميت إلّا وروحه في يد ملك ينظر في جسده كيف يُكَفَّن وكيف يُغسل وكيف يُمْشى به ويُجلس في قبره. زاد في رواية: أنّه يقال له وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك - يعني بخير أو بشرّ -. وذكر الإمام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة: أنّ الملك إذا قبض النفس السعيدة تناولها ملكان حَسَنا الوجه عليهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيّبة ولفّوها في حريرة من حرير الجنّة، وهي على قدر النحلة مثل شخص الإنسان، ولم يفقد من عقله ولا من علمه المُكتسب في دار الدنيا شيء، فيعرجون به في الهواء، فلا يزال يمرّ بالأُمم السالفة والقرون الخالية؛ كأمثال الجراد المنتشر حتى يأتي إلى سماء الدنيا، فيقرع الأمين الباب فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا صلصائيل، وهذا فلان بأحسن أسمائه وأحبّها إليه، فيقولون: نِعْم الرجل كان محافظًا وكانت عقيدته جازمة غير شاكٍّ في شيء منها، ثم ينتهي إلى السماء الثانية، فيُقال له: مَنْ أنت؟ فيقول مثل مقالته الأُولى، فيقولون: أهلًا وسهلًا كان محافظًا على صلاته بجميع فرائضها، ثم ينتهي إلى السماء الثالثة فيُقرع الباب فيقال: مَنْ أنت؟ فيقول مثل مقالته الثانية

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

والأُولى، فيقولون: نِعْم الرجل فلان، كان يراعي حقّ الله تعالى في ماله ولم يتمسّك من بشيء، ثم ينتهي إلى السماء الرابعة فيقرع الباب فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول كما قال في الثالثة وما قبلها، فيقال: أهلًا بفلان كان يصوم فيُحسن الصوم ويحفظه مِنْ أدران الرّفث وحرام الطعام، ثم ينتهي إلى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول كما قال في السمٰوات قبلها، فيقولون: أهلًا وسهلًا بفلان أدّى حجّه الواجب لله تعالى من غير سمعة ولا رياء، ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الباب، فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول كما قيل في السمٰوات قبلها، فيقال له: مرحبًا بالرجل الصالح والنّفس الطيّبة، كان كثير البرّ بوالديه، ثم يمرّ حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقال له: مَنْ أنت؟ فيقول كما مرّ، فيقال: مرحبًا بفلان، كان كثير الاستغفار في الأسحار ويتصدّق في السرِّ ويكفل الأيتام، ثم يمرّ حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فيقول كما قال قبل ذلك، فيقال: أهلًا وسهلًا بالعبد الصالح والنّفس الطيبة، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويُكرم المساكين، ثم يمرّ بملإٍ كثير من الملائكة كلّهم يبشّرونه بالخير ويُصافحونه حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى، فيقرع الباب فيقال كما مرّ - يعني من أنت؟ - فيقول مثل ما قال قبل ذلك، فيقال: أهلًا وسهلًا بالرجل كان عمله خالصًا لوجه الله عزّ وجلّ، فيمرّ في بحرٍ من نور، ثم في بحرٍ من ظلمة، ثم في بحرٍ من نار، ثم في بحرٍ من ماء، ثم في بحرٍ من ثلج، ثم في بحرٍ من برد طول كل بحرٍ منها ألف عام، ثم يخترق الحجب المضروبة حول عرش الرحمٰن وهي ثمانون ألف سرادق، لكل سرادق ثمانون ألف شرفة، على كلّ شرفة ثمانون ألف قمر يهلّل الله تعالى ويسبّحه، لو برز منها قمرٌ واحد إلى سماء الدنيا لأدهش العقول، فحينئذ ينادي من الحضرة القدسيّة من وراء تلك السرادقات: ما هذه النفس التي جئتم بها؟ فيُقال: فلان ابن فلان، فيقول الجليل جلّ جلاله: قرّبوه، فنِعْم العبد؛ فإذا ناجاه بين يديه الكريمتين ناقشه وعاقبه على جميع أعماله، حتى إذا ظنّ أنه قد هلك عفا عنه، انتهى.

وقد حُكِي عن يحيىٰ بن أكثم أنه رُؤِيَ في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال: يا شيخ السوء فعلت كذا وكذا؟

فقلت: يا ربّ ما بهذا حدّثت عنك، فقال: فَبِم حدّثت عني يا يحيىٰ؟ فقلت: حدّثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبيّ ﷺ عن جبريل عنك سبحانك تباركت وتعاليت أنّك قلت: «**إني لأستحي أن أُعذّب ذا شيبة شابت في الإسلام**»، فقال: صدقت وصدق معمر وصدق الزهريّ وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمّد وصدق جبريل، قد غفرت لك.

ورُؤِيَ محمد بن نباتة في المَنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه الكريمتين وقال لي: أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه؟ قلت: سبحانك إني كنت أصِفُك، فقال: قل كما كنت تقول في دار الدنيا، قلت: أبادهم الذي خلقهم، وأسكتهم الذي أنطقهم، وسيُوجدهم كما أعدمهم، وسيجمعهم كما فرّقهم. قال: صدقت، اذهب فقد غفرت لك.

ورُؤِيَ منصور بن عمار في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: بماذا جئتني يا منصور؟ قلت: بثلاثمائة وستّين ختمة للقرآن، فقال: ما قبلت منها واحدة، قلت: بثمانية وثلاثين حجّة، قال: ما قبلت منها شيئًا، قال: بماذا جئتني يا منصور؟ قلت: بك، فقال: الآن أجبتني، اذهب فقد غفرت لك، انتهى.

قال الإمام القرطبي: ومن الناس مَنْ إذا انتهى إلى الكرسيّ سمع النداء ردّوه، ومنهم من يُرَدّ من الحجب، وإنما يصل لحضرة الله تعالى عارفوه.

قال الإمام الغزالي: وأمّا الكافر إذا حضره الموت أخذت نفسه عنفًا، وقال لها الملك: اخرجي أيّتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث، فإذا له صراخ كصراخ الحمير، فإذا قبضها عزرائيل عليه السلام ناولها زبانية قباح الوجوه، سود الثياب، مُنْتِنُو الرائحة، بأيديهم مسوح من شعر فيتلقّونها بعنف، فيستحيل شخصًا إنسانيًا على قدر الجرادة؛ لأن الكافر في الآخرة أعظم جرمًا من المؤمن، فلذلك كانت روحه أكبر، وسيأتي في الصحيح أنّ ضرس الكافر في النار كجبل أُحد، فيُعْرج به حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، فيقرع الأمين الباب فيُقال: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا الملك المُوكل بزبانية العذاب المُسمّى بدقيائيل، فيُقال: مَنْ معك؟ فيقول: فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه في دار الدنيا،

فيقال: لا أهلًا ولا سهلًا ولا مرحبًا ولا تفتح له أبواب السماء؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]، فإذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه من يده، فتهوي به الريح في مكان سحيق، فإذا انتهى إلى الأرض أخذته الزبانية وسارت به إلى سجِّين، وهي على صخرة عظيمة تأوي إليها أرواح الفجّار.

قال الغزالي: وأمّا النصارى الذين ماتوا على دين المسيح، فيردّون من الكرسي إلى قبورهم ويشاهد أحدهم غسله وتكفينه ودفنه. قال: وأمّا أهل الشِّرك، فلا يشاهدون شيئًا من ذلك؛ لأنه قد هُوِيَ بهم. وأمّا المنافق، فمثل الكافر، فيردّ مطرودًا وممقوتًا إلى حفرته. قال: وأمّا المقصّرون من المؤمنين، فتختلف أنواعهم؛ فمنهم مَنْ كان يسرق في صلاته فينقص من أفعالها وأقوالها، فتلفّ صلاته كما يلفّ الثوب الخلق ويُضرب بها وجهه، ثم تعرج وتقول له: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني، ومنهم من تردّ زكاته لكونه يزكّي ليُقال عنه فلان يتصدّق، وهكذا القول في الصوم والحجّ وغير ذلك من سائر القُرُبات، نسأل الله العافية. ورُوِيَ أن الروح إذا رُدَّت إلى الجسد ووجدت الميت قد أخذ في غسله أو وجدته قد غسل قعدت عند رأسه، ثم إذا أُدرج في أكفانه صارت الروح ملصقة بالصدر من خارجه، ولها خِوار وعجيج، فإذا أُدخل القبر وأُهيل عليه التراب ناداه القبر بلسانٍ فصيح، وقال: كم كنت تفرح على ظهري، فاليوم تحزن في بطني، وكم كنت تأكل الألوان على ظهري فاليوم تأكلك الدّيدان في بطني، ويُكْثر عليه من هذه الألفاظ الموبّخة له حتى يُسَوّى عليه التراب، ثم يناديه ملك يقال له رومان، وهو أوّل مَنْ يلقى الميت في قبره إذا دخل قبره، إلى آخر ما ورد. وهذه الأُمور وإنْ لم ترد في الصحيح، فمثلها لا يقال من قِبَل الرأي، نسأل الله أن يَمُنَّ علينا بالموت على الإسلام، آمين والحمد لله ربّ العالمين.

باب كيفية التوفّي للموتى واختلاف أحوالهم في ذلك

اعلم يا أخي أن التوفّي تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة يضاف إلى أعوانه من الملائكة، وتارة يُضاف إلى الله تعالى في نحو قوله

تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢]، وهو المتوفّى على الحقيقة. وكان الكلبيّ رضي الله عنه يقول: يقبض ملك الموت الروح من الجسد، ثم يسلِّمها إلى ملائكة الرحمة إنْ كان مؤمنًا، وإلى ملائكة العذاب إنْ كان كافرًا، كما سيأتي ذلك في الأحاديث مبيّنًا إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث: «**إن ملك الموت ليهبّ بالأرواح كما يهبّ أحدكم لفلوه وفصيله**»، أي: يصيح بها لتقف له ويدعوها إليه ليقبضها ويتوفّاها.

وفي الحديث أيضًا: «**إنّ ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة تُكتب له ليلة النصف من شعبان**». وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إنّ الله ليقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلِّمها إلى أربابها ليلة القدر، وفي هذا جمعٌ بين القولين، فإنّ مِنَ العلماء مَنْ يقول: إنّ المراد باللّيلة التي فيها يفرق كل أمرٍ حكيم هي ليلة النصف من شعبان، ومنهم من قال: ليلة القدر، إذا انقضى عمر لك الشخص الذي حانَ قبض روجه سقطت ورقته من سدرة المُنتهى التي فيها اسمه في الصحيفة، فيعرف أنه قد فرغ أجله وانقطع أكله.

وفي الحديث أيضًا: «**إنّ ملك الموت تحت العرش تسقط عليه صحائف مَنْ يموت**»، وهي ـ أي الصحائف ـ تحت ورق سدرة المنتهى؛ فإذا نظر ملك الموت الإنسان قد نفد أجله وانقطع رزقه ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرباته وأدركته غمراته. وفي حديث الإسراء أنّ النبيّ ﷺ قال: «**مررتُ على ملكٍ جالس على كرسيٍّ وإذا جميع الدنيا ومَنْ فيها بين ركبتيه وبيده لوح مكتوب ينظر فيه لا يلتفتُ عنه يمينًا ولا شمالًا، فقلت: يا أخي جبريل، مَنْ هذا؟ فقال: هذا ملك الموت، فقلت: يا ملك الموت، كيف تقدر على قبض أرواح جميع مَنْ في الأرض برّها وبحرها؟ فقال: ألا ترى أن الدّنيا كلها بين ركبتيّ وجميع الخلائق بين عينيّ ويداي يبلغان ما بين المشرق والمغرب! فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرت إليه عرفت أعواني من الملائكة أنه مقبوض وبطشوا به يعالجون نزع روحه، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك، ولم يخف عليّ شيء من أمره، فمددت يدي إليه فأنزعها من جسده**».

وفي الحديث أيضًا: «**أنه ينزل على الميت أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يمينه، وملك يجذبها من يساره**»، ذكره الإمام الغزالي. وربما ثقل لسان الميت وهم يجذبون روحه من أطراف البنان ورؤوس الأصابع والنفس مع ذلك تسلّ انسلال القذاة من السقاء إنْ كانت سعيدة. وأمّا إنْ كانت الروح روح فاجر - أو قال كافر - فتسلّ روحه كالسفود المحمّى من الصوف المبلول، كما ورد في الحديث، وقد تقدّم هذا. والميت يظنّ أن بطنه مُلِئت شوكًا، ويحسّ أن نفسه تخرج من خرم إبرة، وكأنّ السماء قد انطبقت على الأرض وهو مضغوط بينهما؛ فإذا وصلت الروح إلى القلب مات اللّسان عن النطق، وجُمِعت النفس في صدره. ثم عند ذلك تختلف أحوال الموتى، فمنهم مَنْ يطعنه الملك بحربة مسمومة قد سُقِيت سمًّا من نار وتصير على صورة إنسان ثم يناولها الزبانية، ومنهم من تُجذب نفسه رويدًا رويدًا حتى تنحصر في الحنجرة، فلا يبقى في الحنجرة إلّا شعبة متّصلة بالقلب، وحينئذٍ يطعنها الملك بتلك الحربة. وقد روى الحافظ أبو نعيم عن خالد بن معدان أنّ لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، فإذا انقضى أجل عبدٍ من الدنيا ضُرِبَ رأسه بتلك الحربة، وقال له: الآن ترى عسكر الأموات.

وسُئِل مالك بن أنس رضي الله عنه: هل يقبض ملك الموت أرواح البراغيث؟ فأطرق مالك طويلًا ثم رفع رأسه، فقال: ألها نفس؟ قالوا له: نعم، قال: فإنّ ملك الموت يقبض أرواحها. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢]، رواه أبو بكر الخطيب رحمه الله، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر

اعلم يا أخي أنّ مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على قلب العبد منه من الرَّوْع والفزع حال لا يعبّر عنه لعِظَم هَوْله وفظاعة رؤيته، ولا يعلم حقيقة ذلك الأمر إلّا مَنْ كشف الله تعالى عن بصيرته، وغاية ما وصل إليه

أمثالنا أنها أمثال تُضْرَب وحكايات تُرْوى، وكان عكرمة رضي الله عنه يقول: رأيت في بعض صحف شيث عليه السلام أنّ أباه آدم عليه السّلام قال: يا ربّ أرني ملك الموت حتى أنظر إليه، فأوحى الله إليه إن له صفات لا تقدر عليها، وسأنزله عليك في الصورة التي ينزل على الأنبياء والصالحين فيها، فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت في صورة كبشٍ أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح، منها جناح جاوز السمٰوات، وجناح جاوز الأرض، وجناح جاوز أقصى المشرق، وجناح جاوز أقصى المغرب، وإذا بين يديه الأرض وما اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض والجنّ والإنس والدوابّ وما أحاط بها من الأجزاء، ولو أنها كلّها وُضِعت في نقرة محجره كانت كخردلة في أرض فلاة، وله عيون لا يفتحها إلّا ي مواضع فتحها وأجنحة لا ينشرها إلا في مواضع نشرها، وأجنحة للبشرى ينشرها للمطيعين، وأجنحة للكافرين وفيها سفافيد وكلاليب ومقاريض، فصُعِقَ آدم عليه السّلام صعقة لبث فيها من تلك الساعة إلى مثلها من اليوم السابع ثمّ أفاق، فكان من عرقه الزعفران من التغيّر، ذكر ذلك الواعظ بن ظفر المكيّ رحمه الله.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: سأل إبراهيم الخليل ملك الموت عليهما السلام أن يُرِيَه كيف يقبض روح الكافر، فقال له: اصرف وجهك عني، فصرف وجهه عنه ثم التفت، فإذا هو في صورة إنسان أسود رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما كنت راءٍ من الصُّور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال: والله لو لم يلق الكافر سوى نظره إلى شخصك لكفاه ذلك رعبًا وخشيةً وخوفًا، ثم قبض روحه بعد أن رجع إلى صورته الحسنة.

قال العلماء رضي الله عنهم: ولا يتعجّب من رؤية ملك الموت على صور مختلفة باختلاف الناس، فإن ذلك مثل ما يتغيّر الإنسان من الصحّة والمرض والصغر والكبر والشباب والهرم أو مثل صفاء اللون بملازمة دخول الحمام وشحوبة اللّون وتغيّر الوجه بلفح الهواجر في السفر، غير أنّ هذه اصِّفات تقع للملائكة في اليوم الواحد والساعة الواحدة مرارًا، وقد بلغنا أنّ جبريل عليه السّلام يتعاظم بقدرة الله تعالى في وقت حتى لو أذن له أن يقتلع

الأرض بما فيها لاقتلعها، ثم إنّه يتصاغر في أوقات لعظمة الله تعالى حتى يصير كالعصفور خوفًا من الله عزّ وجلّ. اللّهمّ الطف بنا والمسلمين، آمين.

باب ما جاء في أن ملك الموت هو القابض لأرواح الخلق، وأنه يقف على كلّ بيت في كل يوم خمس مرات، وعلى كل ذي روح في كل ساعة، وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه يقول: إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجّة، فمنهم الصاكّة وجهها بيديها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الدّاعية بويلها، فيقول ملك الموت: مِمّ هذا الجزع؟ فوالله ما نقّصت لأحدٍ منكم عمرًا، ولا أذهبت لأحدٍ منكم رزقًا، ولا ظلمت أحدًا منكم شيئًا، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليّ بغير حقّ فأمري إلى الله تعالى؛ لأني عبدٌ مأمورٌ تحت القهر، وإن كانت شكايتكم من ربِّكم، فأنتم به كفرة، وإنّ لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أُبقي منكم أحدًا.

وفي الحديث: **«ما من بيت إلّا وملك الموت يقف كل يوم على بابه خمس مرات، فإذا وجد الإنسان قد نفد أكله وانقطع أجله أُلقي عليه غمرات الموت، فغشيته كرباته وغمراته؛ فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والباكية بشجوها، والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت: ويلكم! مِمَّ الفزع ومِمَّ الجزع؟ ما أذهبت لأحدٍ منكم رزقًا ولا قرّبت له أجلًا»** الحديث. قال النبيّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه وما هو عليه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم، ثم إذا حُمِل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش، وهي تنادي: يا أهلي يا أولادي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حلِّه ومن غير حلِّه، فالمهنأة لكم والتبعة عليَّ، فاحذروا مثل ما حلّ بي»**[1].

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٥٦٩.

ورُوِيَ عن جعفر بن محمد عن أبيه، أنّه قال: «**نظر رسول الله ﷺ ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمّد طِبْ نفسًا وقرَّ عينًا، فإنّي بكل مؤمن رفيق**». ثمّ قال: «**وما من أهل بيت من مدر ولا شعر في برٍّ ولا بحر إلّا وأنا أتصفّحهم في كل يوم خمس مرّات، حتى إني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمّد لو أنّي أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها**».

وذكر الإمام الماوردي أنه يتصفّحهم عند مواقيت الصلوات الخمس. قال الإمام القرطبي رضي الله تعالى عنه: وفي هذا الحديث ما يدلّ على أنّ ملك الموت هذا هو المُوكَل بقبض كل ذي روح، وأنّ تصرّفه كلّه بأمر الله عزّ وجلّ في خلقه واختراعه، ولكن ذكر ابن عطيّة أنّ في الحديث: «**إنّ الله تعالى يقبض أرواح البهائم دون ملك الموت**»[1]، قال: وكذلك الأمر في بني آدم، إلا أنّ لهم نوع شرف بشركة ملك الموت أو الملائكة معه في قبض أرواحهم، فخلق الله تعالى ملك الموت وجعل على يديه قبض الأرواح وإسلالها من الأجساد وإخراجها منها، وخلق جندًا يكون معه يعملون عمله بأمره.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفَال: الآية ٥٠]، وقال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ٦١]، فهو تعالى خالق الموجود من سائر المخلوقات وفاعل لكل فعل، وقد ذكرنا فيما تقدَّم أنّ ملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون، والله تعالى يُزهق الأرواح.

وفي هذا جمع بين الآيات والأخبار، لكن لمّا كان ملك الموت يتولّى ذلك بالواسطة والمباشرة أُضيف ذلك التوفّي إليه، كما أُضيف الخلق إلى عيسى عليه الصّلاة والسّلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ [المَائدة: الآية ١١٠] الآية، وإلى الملك في نحو حديث مسلم مرفوعًا: «**إذا مرّ بالنطفة ثلاث وأربعون ليلة بعث الله تعالى لها ملكًا فصوّرها وخلق سمعها**

(١) أخرجه السهمي في تاريخ جرجان ص ٧١.

وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم يقول: يا ربّ أذكر أم أنثى»[١] الحديث. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: الآية ١٦]، **فقد علمت صحة إضافة الخلق والتصوير إلى الخلق بإذن الله، وصحة إضافة التوفّي إلى ملك الموت، وإنْ كان الله تعالى هو الخالق والمصوّر والقابض للأرواح حقيقة، والله تعالى أعلم.**

وفي الحديث: «**أنّ ملك الموت وملك الحياة تناظرا، فقال ملك الموت: أنا أُميت الأحياء، وقال ملك الحياة: أنا أُحيي الموتى؛ فأوحى الله تعالى إليهما: كونا على عملكما وما سخّرتكما له، فأنا المُمِيت المحيي ولا مميت ولا مُحيي سواي»**[٢] ذكره في كتاب الإحياء.

وروى الحافظ أبو نعيم عن ثابت البنانيّ رضي الله تعالى عنه أنّه قال: اللّيل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلّا وملك الموت قائم عليها، فإن أمر بقبضها قبضها وإلّا ذهب، وهذا عامّ في كل ذي روح. وفي الحديث: «**أن ملك الموت ينظر في وجوه العباد كلّ يوم سبعين مرّة، فإذا ضحك العبد الذي بعث إليه قال: يا عجبًا لابن آدم بعثت إليه لأقبض روحه، وهو مع ذلك يضحك»**[٣]، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في سبب قبض ملك الموت أرواح الخلائق

روى الزهريّ وغيره: «**أنّ الله تعالى أرسل جبريل ليأتي له من تربة الأرض بشيء، فأتاها ليأخذ، فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها، فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها، فأرسل عزرائيل فاستعاذت منه، فلم يُعِذها وأخذ منها»**. فرُوِيَ أنّ الربَّ جلَّ وعلا قال لعزرائيل: «**أما استعاذت منك الأرض؟ قال: نعم، قال تعالى: هلّا رحمتها كما رحمها صاحباك؟ قال: يا ربّ طاعتك أوجَبْ عليَّ من رحمتي لها، فقال الله عزّ وجلّ: اذهب فأنت ملك الموت سلّطتك على قبض أرواحهم، فبكى فقال: ما يُبكيك؟ فقال: يا ربّ إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين، وإنك لم تخلق خلقًا أكره إليهم من الموت،**

---

(١) أخرجه مسلم في القدر حديث ٣. (٢) أخرجه الفتني في تذكرة الموضوعات ٢١٣.
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٢٨٢.

فإذا عرفوني أبغضوني وشتموني، قال الله تعالى: إني سأجعل للموت عللًا وأسباباً وأوجاعًا، فلا يكادون يذكرونك معها» الحديث.

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: «**رُفِعَت طينة آدم عليه الصّلاة والسلام من ستّة أرضين وأكثرها من الأرض السادسة، وليس منها شيء من الأرض السابعة؛ لأن فيها نار جهنم، فلما أتى ملك الموت بتربة آدم عليه الصّلاة والسّلام قال: أمَا استعاذت بي منك**» الحديث كما مرّ.

وفي الحديث أيضًا: «**أنّ الأرض قالت: لما أخذ منها تربة آدم عليه السّلام: يا ربّ خلقت السمٰوات فلم تنقص منها شيئًا وخلقتني فنقصتني، فقال لها الربّ جلّ وعلا: وعزّتي وجلالي لأُعيدنَّهم إليك برّهم وفاجرهم، فقالت: وعزّتك لأنتقمنّ ممّن عصاك. قال: ثمّ دعا بمياه الأرض مالحها وعذبها وحلوها ومرّها، فطفا بها تربة آدم، فأقام أربعين سنة لم ينفخ فيه الروح، وكانت الملائكة تمرّ به فيقفون ينظرون إليه، ويقول بعضهم لبعض: إنّ ربَّنا لم يخلق خلقًا أحسن من هذا، ثم مرّ به إبليس اللّعين فضرب بيده عليه فسمع صلصلة، وهو صلصال كالفخار، فقال إبليس: لئن فضِّل هذا عليّ لم أُطِعْه، وإن فُضِّلت عليه أهلكته، هذا من طين وأنا من نار**»[1]. وقيل: إنّ الذي أُتِيَ بتربة الأرض إبليس، وأنّ الله تعالى بعثه بعد جبريل وميكائيل، فاستعاذت بالله تعالى منه، فقال: إني أعوذ بالله منك، ثم أخذ منها وصعد إلى حضرة ربّه، فقال الربّ جلّ وعلا: ألم تَسْتَعِذْ بي منك؟ قال: بلى يا ربّ، قال: فوعزّتي وجلالي لأخلقنّ مما جئت به خلقًا يسوءك، والله أعلم.

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر وما جاء في تزاور الأموات في قبورهم واستحسان الكفن

روى مسلم وابن ماجه مرفوعًا: «**إنّ الروح إذا قبض تبعه البصر**»[2]، وفي رواية لمسلم: «**إن الإنسان إذا مات شخص بصره**»، وفي الصحيح: «**إن الميت أوّل ما يشقّ بصره لرؤية المعراج، وهو سلّم بين السماء والأرض، وهو من**

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٧، وابن ماجه في الجنائز باب ٦.

زمرّدة خضراء ما رُؤِيَ أحسن منها قط، فذلك حين يمدّ بصره إليه». روى مسلم مرفوعاً: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كفن أحدكم أخاه، فليُحْسن كفنه**». وروى أبو حاتم الحافظ مرفوعًا: «**أحسنوا أكفان موتاكم، فإنّهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم**»، أي يشكرون الله تعالى على حسن أكفانهم. وكان عبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه يقول: أحبّ أن يكفّن الشخص في أثوابه التي كان يصلّي فيها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب الإسراع بالجنازة وكلامها

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أسرعوا بالجنازة، فإنْ تَكُ صالحة فخير تقدِّمونها إليه، وإنْ تَكُ سوى ذلك فشرّ تضعونه عن رقابكم**»[(١)]. وفي رواية للبخاري: «**إذا وُضِعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني قدِّموني، وإنْ كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها؟ فيسمع صوتها كل شيء إلّا الإنسان، ولو سمعه لصُعِقَ**»[(٢)].

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم؛ والمراد بالإسراع بالجنازة ما يعمّ غسلها وتكفينها وحملها والمشي معها مشيًا دون الخبب، فإنه يكره الإسراع الذي يشقّ على ضعفة مَنْ يتبعها. وكان إبراهيم النخعي رضي الله تعالى عنه يقول: يمشون بها قليلًا قليلًا سجيّة العادة، ولا يدبّون بها دبيب اليهود والنصارى، وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يكرهون الإبطاء ويحبّون العجلة، والله تعالى أعلم.

باب بسط الثوب على القبر عند الدّفن

رُوِيَ: «**أنّ رسول الله ﷺ تبع جنازة، فلما صُلِّي عليها دعا بثوب بُسِط على القبر، وقال: لا تطلعوا في القبر، فإنها أمانة، فربّما أُمِرَ به إلى النار، فيسمع صوت السلاسل**»[(٣)]، انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٥٢، ومسلم في الجنائز حديث ٥٠، ٥١.
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٥٢.
(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٤٠٠.

وهذه العلّة تعطي أن ذلك لا يختصّ بالمرأة كما قيل، بل يستحبّ بسط الثوب على القبر للرجل والمرأة. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تطلعوا في القبر، فإنها أمانة، فعسى أن يحلّ بالعبد ما قدّره الله عليه من العذاب والعقوبة، فيُرى حيّة سوداء مطوّقة في عنقه، أو قيل: يؤمر به إلى النار فيسمع صوت السلاسل**»، والسوداء المذكورة هي أعماله السيّئة كما قاله العلماء، فيتصوّر لكلّ إنسان عمله في صورة قبيحة يعذّب بها إلى يوم القيامة.

وقد حكى الإمام القرطبي رحمه الله أنّ صاحبه عبد الرحمٰن القصري أخبره أنّه تولّى دفن بعض الولاة بالقسطنطينية، فلمّا حفروا له وفرغوا من الحفر وأرادوا أن يُدْخلوه القبر، وإذا بحيّةٍ سوداء داخل القبر، فهابوا أن يُدخلوه فيه، فحفروا له قبرًا آخر، فلمّا أرادوا أن يُدْخلوه فيها وإذا بتلك الحيّة فيه، فلم يزالوا يحفرون له إلى ثلاثين قبرًا، والحيّة تتعرّض لهم في القبر، فأجمع رأي الناس على أن يدفنوه مع تلك الحيّة تسليمًا لله عزّ وجلّ. نسأل الله العافية والسّتر في الدنيا والآخرة آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حال الدّفن وبعده، وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى له ويستغفر له ويتصدّق عنه

كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يقول: إذا دخلتم المقابر، فاقرؤوا فاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم، وكان رضي الله تعالى عنه ينكر قبل ذلك وصول الثواب من الأحياء للموتى، فلما حدّثه بعض الثّقات أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أوصى إذا دُفِن أن يُقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة رجع عن ذلك، وكذلك بلغنا عن الشيخ عزّ الدين بن عبد السّلام رحمه الله أنّه كان يُنْكر وصول ثواب القراءة للموتى، ويقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النّجم: الآية ٣٩]، فلمّا مات رآه بعض أصحابه فسأله عن ذلك، فقال: قد رجعت عمّا كنت أقوله من عدم وصول الثواب إلى الموتى من القارىء حين رأيت وصوله وأنا في القبر.

ويؤيّد ذلك ما رواه الحافظ السلفيّ مرفوعًا: «**من مرّ بالمقابر فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرّة ثم وهب أجره للأموات أُعطي من الأجر بعدد الأموات**»[١]. وكان الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقول: من دخل المقابر فقال: اللّهمّ ربّ هذه الأجساد البالية والعظام النّخرة التي خرجت من الدّنيا وهي بك مؤمنة، اللّهمّ فأدخل عليها روحًا منك وسلامًا مني، كتِب له بعددهم حسنات.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وقد أجمع العلماء على وصول ثواب الصدقة للأموات، فكذلك القول في قراءة القرآن والدعاء والاستغفار؛ إذ كلّ صدقة، ويؤيّده حديث: «**وكل معروف صدقة**»[٢]، فلم يخصّ الصدقة بالمال، وكذلك يؤيّده قوله ﷺ: «**الميت في قبره كالغريق المتعوب ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه أو من صديق له، فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها، وإنّ هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار**»[٣].

وحُكِيَ عن الحسن البصري رضي الله عنه: أنّ امرأة كانت تُعذَّب في قبرها وكلّ الناس يرون ذلك في المنام، ثمّ رُؤِيَت بعد ذلك وهي في النعيم، فقيل لها: ما سبب ذلك؟ فقالت: مرّ بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلّى على النبيّ ﷺ وأهدى ذلك لنا، وكان في المقبرة خمسمائة وستّون رجلًا في العذاب، فنُودِيَ: ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبيّ ﷺ.

وحُكِيَ عن الحارث بن منهال أنه قال: زُرت جبّانة مرّة، فغلب عليَّ النوم في محراب فنمت، وكان فيه قبر، فسمعت صوت مقمعة من حديد يضرب بها صاحب ذلك القبر وفي عنقه سلسلة، وهو أسود الوجه أزرق العينين وهو يقول: يا ويلي ماذا حلّ بي لو رآني أهل الدنيا لما ركب أحد منهم المعاصي، طُولبت والله باللّذات فأوبقتني، وبالخطايا فأحرقتني، فهل من مخبرٍ أهليّ بأمري؟ قال الحارث: فاستيقظت من منامي فزعًا مرعوبًا وسألت عن أهله،

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٣٧١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٩٦.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ٢٣، ومسلم في الزكاة حديث ٥٢.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

فوجدت له ثلاث بنات، فأخبرتهنّ بحال أبيهنّ وأخبرت بذلك أصحابه، فأتوا إلى قبره وبكوا وسألوا الله تعالى أن يغفر له، فلمّا كان بعد أيام نمت بجانب قبره، فرأيته في هيئة حسنة وعلى رأسه تاج يخطف البصر، وفي رجليه نعلان من ذهب، وقال لي: جزاك الله تعالى عنّي خيرًا حيث أعلمت بي بناتي وأصحابي حتى استغفروا لي ودعوا لي، والحكايات في ذلك كثيرة مشهورة في كتب الرقائق، والله أعلم.

باب ما جاء في أن الميت يدفن في الأرض التي خُلِق منها

روى الترمذي وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله للعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة**»[(١)]، وروى الديلميّ مرفوعًا: «**كلّ مولود يُنثر على سرّته من تراب حفرته، فإذا مات رُدَّ إلى تربته**»[(٢)]. قال أبو حاتم رحمه الله: ما نجد لأبي بكر وعمر فضيلة مثل هذه الفضيلة، فإن طينتهما من طينة رسول الله ﷺ، وأنشدوا:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعَتْه إليها حاجة فيطير

وروى الحكيم الترمذي: «**أن رسول الله ﷺ خرج يطوف في نواحي المدينة، فإذا بقبرٍ يحفر فأقبل حتى وقف عليه، فقال: لمن هذا القبر؟ فقالوا: لرجلٍ من الحبشة، فقال: لا إلـه إلا الله سِيق من أرضه حتى دُفِن في الأرض التي خُلِق منها**»[(٣)]، وأخرجه ابن ماجه مرفوعًا: «**إذا كان أجل العبد بأرض أوثقته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره توفّاه الله بها فبعثه الله، فتقول الأرض يوم القيامة: يا ربّ هذا ما استودعتني**»[(٤)]. ومن هنا قال العلماء رضي الله عنهم: يستحبّ للعبد إذا سافر أن يخرج عن المظالم ويقضي جميع ديونه ويُوصي بما له وعليه، فإنه لا يدري هل يرجع من تلك السّفرة أم لا، وأنشد

---

(١) أخرجه الترمذي حديث ٢١٤٦، ٢١٤٧. (٢) الحديث لم أجده.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٧٦٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٢٦٣.

سيدي عبد العزيز الذيريني رحمه الله تعالى:

إذا ما ضاق صدرك من بلاد ترحل طالبًا بلدًا سِواها
فإنك واجدٌ أرضًا بأرضٍ ونفسك لم تجد نفسًا سواها
مشيناها خطًا كُتِبَت علينا ومَنْ كُتِبَت عليه خطًا مشاها
ومَنْ كانت منبته بأرض فليس يموت في أرضٍ سواها

ورُوِيَ أنّ رجلًا دخل على سليمان بن داود عليهما الصّلاة والسّلام، فقال: يا نبيّ الله إنّ لي حاجة بأرض الهند، وأسألك أن تأمر الرِّيح فتحملني إليها هذه الساعة، فرأى سليمان ملك الموت عنده وهو متبسّم، فقال له: ممّ تبسّمك؟ فقال: تعجّبًا إنّي أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقيّة هذه الساعة بالهند، وأنا أراه عندك؛ فرُوِيَ أن الريح حملته إلى الهند في تلك الساعة فقُبِض بها، والله أعلم.

قال العلماء: وفي الحديث السابق من قوله ﷺ: «**ما من مولود إلّا ويُنثر على سرّته من تراب حفرته**»، منقبة عظيمة لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما؛ لأن طينتهما من طينة رسول الله ﷺ. وكان محمد بن سيرين رضي الله تعالى عنه يقول: لو أنّي حلفت لحلفت صادقًا بارًّا غير شاكّ أنّ الله ما خلق محمّدًا نبيّه ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما إلّا من طينةٍ واحدة، ثم ردّهم إلى تلك الطينة، انتهى.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وممّن خُلِق من تلك الطينة أيضًا عيسى ابن مريم عليهما الصّلاة والسّلام لما صحّ في الحديث أنّه يُدفن عند قبر رسول الله ﷺ إذا نزل آخر الزمان، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما يتبع الميت إلى القبر وما يرجع بعد دفنه وما يبقى معه في القبر

روى مسلم مرفوعًا: «**يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[1]. وروى الحافظ أبو نعيم

(١) أخرجه مسلم في الزهد حديث ٥.

مرفوعًا: «**سبعٌ يجري الله تعالى أجرهم للعبد بعد موته وهو في قبره: مَنْ علَّم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلًا أو بنى مسجدًا أو ورّث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**»[١]، وفي رواية: «**ولدًا صالحًا**»، أي مسلمًا.

وروى الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه مرفوعًا: «**مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته صدقة أخرجها من ماله في صحته**»[٢]. ورُوِيَ مرفوعًا: «**إنَّك للتصدَّق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور، فيجيء على رأس القبر فينادي: يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها، قال: فتدخل إليه في قبره ويُفسح له ويُنَوّر له فيه، فيقول: الله يجزي عنّي أهلي خير الجزاء، قال: ويقول له جار ذلك القبر: أنا لم أُخلّف ولدًا ولا أحدًا يذكرني بشيء، فهو مهموم والآخر فَرِح بالصدقة**»[٣]. وبلغنا أن بعض الصالحين رأى رابعة العدويّة بعد موتها، وكان كثير الدعاء لها، فقالت له: إنّ هديتك تأتي لنا كل قليل في أطباقٍ من نور عليها مناديل من الحرير، وهكذا دعاء المؤمنين لإخوانهم الموتى، فيقال لهم: هذه هدية فلان.

وقال بعض الصالحين: مررت على مقبرة كبيرة، فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوّذتين ثلاث مرات ثم أهديتها إلى أموات المسلمين، وقلت في نفسي: هل يصل إلى كل واحدٍ منهم نصيب من ذلك؟ فأخذتني سِنَة من نوم، فرأيت نورًا من السماء طبق الأرض وتقطع منه على كل قبر شيء، وقائل يقول لي: هذا ثواب قراءتك التي أهديتها لهم، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في هول المطلع

قد تقدّم حديث: «**لا تتمنّوا الموت، فإن هول المطلع شديد**»[٤]. ولما طعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال له رجل: إني لأرجو أن لا تمسّ جلدك النار يا أمير المؤمنين؛ فنظر إليه عمر وقال: إن من غررتموه لمغرور،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) الحديث لم أجده.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٣٢.

والله لو أنّ لي ما على الأرض جميعًا لافتديت به من هول المطلع. وكان أبو الدّرداء رضي الله عنه يقول: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمّل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري هل الله راضٍ عنه أم ساخط. وأبكاني فراق الأحبّة محمّد ﷺ وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يديّ الله تعالى يوم بدو السريرة علانية، ثم لا يدري العبد هل يُؤْمر به إلى الجنّة أو النار.

وكان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول: ألا أُحدِّثكم بيومين وليلتين لم يسمع الخلائق بمثلهنّ أوّل يوم يجيئك البشير من الله تعالى إما برضاه أو بسخطه، ويوم تقف فيه على ربّك فيقال: خذ كتابك إمّا بيمينك وإمّا بشمالك، وليلة يدخل فيها الميت القبر، وليلة صبحها يوم القيامة، انتهى. نسأل الله من فضله أن يلطف بنا في كلّ شدَّة حتى نجاوز الصّراط، آمين.

باب ما جاء في أن القبر أوّل منازل الآخرة، وفي البكاء عنده وفي الاستعداد له

روى ابن ماجه أنّ عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبرٍ يبكي حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنّة والنار، فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده شرّ منه**»[١]. وكان رسول الله ﷺ يقول: «**ما رأيت منظرًا قطّ إلّا والقبر أفظع منه**»[٢]، رواه الترمذي. وكان عثمان رضي الله عنه إذا رأى أحدًا ينزلونه القبر أنشد:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فإنّي لا إخالك ناجيا

وروى ابن ماجه عن أنس عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**كنّا مع النبيّ ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بلَّ الثّرى، وقال: يا إخواني لمثل هذا فأعِدُّوا**»[٣].

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٣٢.
(٢) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٥، وابن ماجه في الزهد باب ٣٢.
(٣) أخرجه ابن ماجه حديث ٤١٩٥.

قال العلماء: أوّل من سنَّ الدفن في القبر الغراب حين قتل قابيل هابيل، وقيل: إنّ قابيل كان يعرف الدفن، ولكنه ترك دفن أخيه استهانةً بحقِّه. قالوا: وتكره المُباهاة في القبور ببنائها بالجصّ وتزويقها، فليس في ذلك نفع للميت بوجهٍ من الوجوه، وإنَّما ينفع الميت عمله الصالح. وأنشدوا:

يا صاحب القبر المنقّش سطحه ... ولعله من تحته مغلول

وكره العلماء المُباهاة في القبور والتفاخر في بنائها بالحجارة المنحوتة؛ لأن ذلك من أفعال الجاهلية، كانوا يفعلون ذلك تعظيمًا لأمواتهم. وأنشدوا:

أرى أهل القصور إذا أُميتوا ... بنوا فوق المقابر بالصخور
أَبَـوْا إلا مباهاة وفخرًا ... على الفقراء حتى في القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم ... لما عُرِفَ الغنيّ من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف ... ولا الجسد المُنَعم بالحرير
إذا أكل الثّرى هذا وهذا ... فما فضل الغنيّ على الفقير

وكان يزيد الرقاشيّ يقول: من مرّ على قبر ولم يعتبر به، فهو من البهائم. وكان رضي الله عنه إذا رأى قبرًا صرخ كما يصرخ الثور، وسيأتي قريبًا إن شاء الله تعالى ذِكْر كلام القبر للعبد إذا نزل فيه وندم حث لا ينفعه الندم على ما جمع من المال وفرّط فيه من أعمال، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في اختيار البقعة للدّفن

روى الدارقطني رحمه الله أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من زار قبري - أو قال - من زارني كنت له شهيدًا وشفيعًا، ومَنْ مات في أحد الحرمين بعثه الله يوم القيامة من الآمنين**»(١)، وفي رواية: «**من زارني بعد مماتي، فكأنما زارني في حياتي**»(٢)، أي لأنه ﷺ حيّ في قبره.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «**أُرسل ملك الموت إلى موسى عليه الصّلاة والسّلام، فلما جاءه صكّه ففقأ عينه، فرجع إلى ربّه فقال:**

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥/٢٤٥، والدارقطني ٢/٢٧٨.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٤٠٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٢.

يا ربّ أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، قال: فردّ الله عليه عينه، وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن جلد ثور، فله بكل شعرة غطّت يده سنة، قال: يا ربّ ثمّ مه؟ قال: ثم الموت، قال: لا فالآن، فسأل الله أن يُدْنيه من الأرض المقدّسة رمية حجر، فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[١]، وفي رواية: «**جاء ملك الموت إلى موسى عليه الصّلاة والسّلام، فقال له: أجِبْ ربّك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها**»[٢]. وروى الحكيم الترمذي مرفوعًا: «**أنّ ملك الموت كان يأتي الناس عيانًا حتى جاء موسى فلطمه ففقأ عينه، فصار يأتي الناس بعد ذلك خفية**»[٣].

قال بعض العلماء: وإنما فقأ موسى عين ملك الموت بإذن من ربّه عزّ وجلّ لأنه معصوم، ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك، والله أعلم. وروى الترمذي وغيره بإسناد صحيح مرفوعًا: «**مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن مات بها**»[٤]. وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول في دعائه: اللّهمّ ارزقني شهادة في سبيلك، ووفاة في دار نبيّك.

وعهد سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد إلى أصحابهما إذا هما ماتا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة، فيُدفنا بها. قال الإمام القرطبي: وذلك والله أعلم لفضل علموه هناك، ولو لم يكن إلا مجاورة رسول الله ﷺ والصُّلحاء والشهداء وغيرهم لكفى. ورُوِيَ أنّ كعب الأحبار لما وفد عليه رجل من أهل مصر، قال له الرجل: هل لك من حاجة؟ قال: نعم تراب من تراب سفح المقطم ـ يعني جبل مصر ـ قال الرجل: يرحمك الله، وما تريد به؟ قال: أضعه في قبري، فقال له: تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل في البقيع ما قيل، قال: إنّا نجسّد في الكتاب الأوّل أنه مقدّس ما بين القصير إلى اليحموم. قال العلماء: هذا طولًا، وأمّا عرضًا فمن الجبل إلى نهر النيل، فدخل في السفح كل ما قابله من مصر، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٣١، ومسلم في الفضائل حديث ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٥٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٧٨.

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٦٧.

قال علماؤنا: وإنما طلب الأنبياء والصّالحون الدفن في البقاع المباركة زيادة في التقديس الحاصل من أعمالهم الصالحة، وإلّا فالعصاة لا تقدّسهم الأرض المقدّسة. وقد أرسل أبو الدرداء يقول لسلمان الفارسيّ في مكاتبته: هلمّ يا أخي إلى الأرض المقدّسة، فلعلّك أن تُدفن بها، فأرسل سلمان الفارسي يقول له: اعلم يا أخي أنّ الأرض المقدّسة لا تقدّس أحدًا، وإنما يقدّس كل إنسان عمله .اهـ.

وروى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحبّ أن أُدفن بالبقيع، ولأن أُدفن بغيره أحبّ إليّ مخافة أن ينكسر لأجلي عظام رجل أو أُجاور فاجرًا. قال الإمام القرطبي: وهذا يستوي فيه سائر البقاع التي يتزاحم الناس على الدّفن بها، ويدفن بها الميت على الميت. وفيه دليل على أن طلب الدّفن بالأرض المقدّسة ليس مجمعًا عليه، فقد يستحسن الإنسان أن يُدفن موضع فراشه وبين إخوانه وجيرانه، لا لفضل ولا لدرجة، والله تعالى أعلم.

باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

روى أبو عيد المالِيني وأبو بكر الخرائطيّ عن عليّ رضي الله عنه، أنه قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذّى بالجار السّوء كما يتأذّى به الأحياء**». وخرَّج أبو نعيم مرفوعًا: «**إذا مات لأحدكم ميت، فحسّنوا كفنه وعجّلوا بإنجاز وصيّته وأعمقوا له في قبره وجنّبوه جار السوء، قالوا: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: هل ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك ينفع في الآخرة**»[1].

ومن هنا استحبّ العلماء أن يقصد الإنسان بميته القبر من قبور الصالحين وأهل الخير تبرّكًا بهم وتوسّلًا إلى الله تعالى بقربهم. وقد حُكِيَ أنّ امرأة دُفِنت بجوار شخص فاسق، وكانت من الصالحات، فجاءت إلى أهلها في المنام، وقالت: ما وجدتم موضعًا تدفنوني فيه إلا فرن الجير! فنبش أهلها الموضع وسألوا عنه، فقالوا: لعلّ المراد بفرن الجير هو قبر فلان الفاسق، فأخرجوها

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١٩٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٠٤٧.

من جواره ولم يُنكر عليهم أحد من العلماء. ودُفِنَ شخص من الأعراب فرآه ولده بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيرًا غير أنّي دُفِنت بإزاء فلان، وكان فاسقًا، فكل قليل يحصل عندي روع من شدّة ما يعذّب به من أنواع العقوبات، نسأل الله تعالى العافية والموت على التوحيد آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في كلام القبر للعبد إذا وُضِع فيه

روى الترمذي: «**أنّ رسول الله ﷺ دخل مصلاه فرأى أُناسًا يكثرون الكلام، فقال: أمَا إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذّات ـ يعني الموت ـ لشغلكم عمّا رى منكم، فإنه لم يأتِ على القبر يوم إلا تكلّم فيه، فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت العذاب، أنا بيت الدود، فإذا دُفِن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلًا، أما إنك كنت لأحبّ من يمشي على ظهري، فإذا آويتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنعي معك، فيتّسع له مدّ بصره ويفتح له باب إلى الجنّة، وإذا دُفِن العبد الكافر أو الفاجر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلًا، أمَا إنك كنت لأبغض من يمشي على ظهري، فإذا آويتك اليوم وصرت إليّ فستري صنعي بك، قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه. وقال ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويقيض له تسعة وتسعون تنينًا، لو أنّ تنينًا واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهشه حتى يفضي به إلى الحساب**»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «**إنما القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النار**»[1]. وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: يجعل الله تعالى للقبر لسانًا ينطق به، فيقول: يا ابن آدم، كيف نسيتني؟ أمَا علمت أني بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة؟ وفي رواية عنه: إن القبر ليبكي، فيقول: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحدة وبيت الدود. وفي روايةٍ أخرى عنه: إن القبر ليكلّم العبد إذا وُضِع فيه، فيقول: يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ أمَا علمت أنّي بيت الظلمة؟ ألم تعلم أني بيت الحق؟ فإن كان مفلحًا أجاب عنه مجيب القبر، فيقول: أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٦.

وينهى عن المنكر؟ قال: فيقول القبر: فإني أعود عليه خضراء ويعود جسده نورًا وتصعد روحه إلى ربّ العالمين، رواه أبو أحمد الحاكم رحمه الله.

وكان سفيان الثوري يقول: مَنْ أكثر مِنْ ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنّة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار، وكان أحمد بن حرب رضي الله عنه يقول: إنّ الأرض لتتعجّب ممّن يمهّد مضجعه للنوم، وتقول: يا ابن آدم ألا تتفكّر في طول رقادك في جوفي وما بيني وبينك فراش؟ وقيل لبعض الزهّاد: ما أبلغ العظات؟ فقال: النظر إلى الأموات، وكان بعضهم إذا وجد في قلبه قساوة يذهب إلى المقابر فيرى الموتى وقد هجعوا وانقطع عملهم، فيرجع وقد رقّ قلبه. وقد حكى الحسن البصري رضي الله عنه أنه صلّى على جنازة وحضر دفنها، فلما دنوا به إلى حفرته نادت امرأة بأعلى صوتها: يا أهل القبور لو عرفتم من نُقِل إليكم لأكرمتموه وأعززتموه، فسمع صوتًا من الحفرة يقول: أمَا والله لقد نُقِل إلينا بأوزارٍ كالجبال، وقد أذن للأرض أن تأكله حتى يصير ترابًا كما كان، ويُقعده الملكان ويسألانه عمّا بطشته اليدان ومشت إليه القدمان ونطق به اللّسان وعملته الجوارح والأركان، فخرّ الحسن مغشيًّا عليه واضطرب الميت فوق النعش مما سمع، وأنشدوا في ذلك:

أمَا والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم نشر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد علمت أُناس ... فصلّوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

فاستيقظوا رحمكم الله من هذه الرقدة وأعِدّوا لها الأعمال الصالحة مع اعتمادكم على عفو الله، ولا تتمنّوا منازل الأبرار وأحدكم مقيم على الأوزار، وأنشدوا:

تزوّد من حياتك للمعاد ... وقم لله واعمل خير زاد
ولا تطلب من الدنيا كثيرًا ... فإنّ المال يُجمع للنّفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر:

تزوّد من الدنيا فإنّك راحل وسارع إلى الخيرات فيمن يُسارع
فما المال والأهلون إلا وديعة ولا بدّ وما أن تردّ الودائع
الموت بحر موجه طافح يغرق فيه الرجل السّابح
ما ينفع الإنسان في قبره إلا التّقى والعمل الصالح

باب ما جاء في ضغطة القبر وإن كان صاحبه صالحًا

روى النسائي أنّ النبيّ ﷺ قال في سعد بن معاذ: «**لقد تحرّك له العرش وفُتِحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، ولقد ضمّه ضمّة ثم فرّج عنه**»[١]. وفي رواية عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**»[٢]. وروى الحافظ أبو نعيم أنّ رسول الله ﷺ شيّع جنازة فاطمة بنت أسد، وكان مرّة يحمل ومرّة يتأخّر ومرّة يتقدَّم، ثم نزل قبرها ونزع قميصه ﷺ وتمعّك في لحدها ثم خرج، فسألوه عن قميصه وتمعّكه في لحدها، فقال: «**أردت أن لا تمسّها النار أبدًا إن شاء الله، وأن يوسّع عليها قبرها**»، وقال: «**ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد**»، فقيل: يا رسول الله ولا ابنك القاسم؟ قال: «**ولا إبراهيم الذي هو الأصغر منهما**»[٣]. وكان يزيد بن عبد الله بن الشخير يروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] **في مرضه الذي يموت فيه لم يضق عليه قبره وأمِنَ مِنْ ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفّها حتى تُجيزه على الصّراط إلى الجنّة**»[٤]، وفي رواية: «**مَنْ قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] **مائة مرة في مرضه**»[٥] الحديث. ورُوِيَ مرفوعًا: «**إنّ العبد إذا وُضِع في قبره، فقال أهله: واسيّده وأميراه واشريفاه! قال له الملك: سمع ما يقولون، أكنت أميرًا؟ أكنت**

(١) أخرجه النسائي في الجنائز باب ١١٣. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٥٥، ٩٨.
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٤٢٣.
(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٥، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١٢.
(٥) أخرجه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٢٤٩.

شريفًا؟ فيقول الميت: ليتهم سكتوا عنّي، قال: فيضغط ضغطة فتختلف فيها أضلاعه»[(١)].

قال العلماء: ولا يعذّب الميت ببكاء أهله عليه وندبهم إلا إن أوصاهم أو رَضيَ به. وقال بعضهم: يعذّب ببكاء أهله عليه وإن لم يُوصَ به؛ لحديث: «**إنَّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ عليه إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكسياه، جبذ الميت وقيل له: أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟**»[(٢)].

وفي رواية: إنّ عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الميت ليعذّب ببكاء الحيّ عليه، فقال رجل: يموت بخراسان ويُناح عليه هٰهنا كيف يعذّب؟ فقال عمران: صدق رسول الله ﷺ وكذّبت**»[(٣)]، نسأل الله من فضله أن يحفظنا من عذاب القبر آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما يقال عند وضع الميت في القبر واللَّحد

روى ابن ماجه والترمذي بإسناد حسن أنّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّحد لنا والشقّ لأعدائنا**»[(٤)]. وأنشدوا:

ضعوا خدّي على لحدي ضعوه ... ومن عفر التراب فوسّدوه
وشقّوا عنه أكفانًا رقاقًا ... وفي الرَّمس البعيد فغيِّبوه
فلو أبصرتموه إذا انقضت ... صبيحة ثالث لتركتموه
وقد سألت نواظر مقلتيه ... على وجناته وانفضَّ فوه
وناداه العليّ هذا فلان ... هلمّوا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدّى ... تقادم عهده فنسيتموه

وقال آخر:

وألحدوا محبوبهم وانْثَنوا ... وهمّهم تحصيل ما خلّفا

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٦، والجنائز باب ٧٠، وأبو داود في السنّة باب ٢٤.
(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٥٤، وأحمد في المسند ٤/ ٤١٤.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/ ٣٩١.
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٧٤.

وغادروه مسلمًا مفردًا في رمسه رهنًا بما أسلفا
ولم ينله من جميع الّذي باع به أخراه إلا اللّحفا

أي: كفنًا يلتحف فيه. وكان سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول: إذا سُئِل الميت: مَنْ ربّك؟ تزيًا له الشيطان في صورته فيشير إلى نفسه: إني أنا ربّك، انتهى.

قال العلماء: ومن هنا كان رسول الله ﷺ يدعو إذا أخذوا في تسوية اللّحد على الميت: «**اللّهمّ أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر وثبِّت عند المسألة منطقها وافتح أبواب السماء لروحها**»، فلو لم يكن الشيطان هناك لما دعا رسول الله ﷺ للميّت أن يُجيره من الشيطان؛ نسأل الله تعالى أن يجيرنا وإخواننا المؤمنين من تعرّض الشيطان، آمين.

باب الوقوف عند القبر قليلاً بعد الدّفن والدّعاء للميّت بالتثبيت

روى مسلم وغيره أنّ عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لما حضرته الوفاة قال: إذا دفنتموني فشنّوا عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر الجزور - أي من الإبل - ويُقسم لحمها حتى أستأنس بكم وتنظروا ماذا أُراجع به رسل ربّي عزّ وجلّ[١]؛ وفي رواية: شنّوا عليَّ التراب شنًّا، فإنّ جنبي الأيمن ليس أحقّ بالتراب من جنبي الأيسر، انتهى.

قال الحافظ أبو نعيم رحمه الله: ويكون الدعاء للميت بعد الدفن بالتثبيت، والإنسان مستقبل وجه الميت، ويقول الداعي: اللّهمّ هذا عبدك وأنت أعلم به منّا ولا نعلم به إلّا خيرًا وقد أجلسته لتسأله، فنسألك اللّهمّ أن تثبّته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبّته في الدنيا، اللّهمّ ارحمه وألحقه بنبيّه محمّد ﷺ ولا تضلّنا بعده ولا تحرمنا أجره.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ١٩٢، وأحمد في المسند ٤/ ١٩٩.

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذي رحمه الله: وإنما استحبّوا الوقوف للدّعاء للميت بعد الدفن مع أنهم دعوا له بالصلاة عليه بجماعة المسلمين؛ لأن الصلاة عليه كوقوف العسكر بباب الملك فيشفعون له. وأمّا الوقوف على القبر لسؤال التثبيت، فهو ثمرة دعاء العسكر في الصلاة عليه، وهي ساعة يشتغل فيها الميت بهول المطلع، وسؤال فتّاني القبر، فوقفوا على قبره حتى ينظروا هل قُبِلت شفاعتهم فيه، وأجاب الملكين على الصواب أم لا، انتهى.

وينبغي لأهل الميت أن يكون همّهم على ميّتهم ما قدم عليه من الأهوال أن الله تعالى يُعينه عليه. وأمّا الصِّياح والبكاء وتمزيق الثّياب وإظهار الحزن والامتناع من الأكل والشّرب، فهو معدود من خفّة العقل أو النّفاق، وقد كان حاتم الأصمّ رحمه الله يقول: إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه وأظهر حزنه وعزيته بعد ذلك، فقد شاركته في الإثم، وإنَّما الواجب عليك أن تُنكر عليه لأنه صاحب مُنكر، وكان أبو سعيد البلخي رضي الله تعالى عنه يقول: مَنْ أصيب بمصيبة فمزّق ثوبًا أو ضرب صدرًا، فكأنّما أخذ رمحًا يُقاتل به ملائكة ربّه عزّ وجلّ. وأنشدوا:

عجبت لجازع باكٍ مُصاب ... بأهلٍ أو حميم ذي اكتئاب
شقيق الجيب داعي الويل جهلًا ... كأنَّ الموت كالشي العجاب
وساوى الله فيه الخلق حتّى ... رسول الله منه له يُحاب
له ملك ينادي كل يوم ... لِدُوا للموت وابْنُوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الميت بعد موته شهادة الإخلاص في لَحْده

رُوِيَ مرفوعًا: **«إذا مات أحدكم وسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره، ثمّ يقول: يا فلان، يا ابن فلانة، فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان يا ابن فلانة، الثانية، فإنّه يسمع ولا يجيب، ثمّ ليقل: يا فلان يا ابن فلانة، الثالثة، فإنه يقول: نعم أرشدنا رحمك الله، ولكنَّكم لا تسمعون، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا، وهي شهادة أن لا إلـه إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، وأنّك رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمّد ﷺ نبيًّا وبالقرآن**

إمامًا، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَنْ في القبور، فإنْ منكرًا ونكيرًا يأخذ كلّ واحد منهما بيد صاحبه، ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لُقِّن حجّته، ويكون الله تعالى حجبهما دونه»، فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أُمّه؟ قال: «**ينسبه إلى أُمّه حوّاء**»[١].

وكان شيبة بن أبي شيبة يقول: أوصتني أُمّي عند موتها أن أقوم عند قبرها بعد دفنها، وأقول: يا أمّ شيبة قولي لا إلٰه إلّا الله ثمّ أنصرف، فلمّا كان اللّيل رأيتها في المنام وهي تقول: يا بنيّ كدتُ أهلك لولا تداركتني بلا إلٰه إلّا الله، فإذا حضر أحدكم أيُّها الإخوان دفن أخيه المسلم فليقل له بعد تسوية التراب عليه: يا فلان ابن فلانة قل لا إلٰه إلا الله محمّد رسول الله، أو ليقل: قل الله ربّي والإسلام ديني ومحمّد ﷺ رسولي، ولا يتعلّل أحدكم بقوله لا أعرف ألقن الميت، فإن هذه ثلاث كلمات يسهل حفظها على كل بليد فضلًا عن غيره، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في نسيان أهل الميت ميتهم

رُوِيَ مرفوعًا: «**أنّ الله تعالى قد وكل بمن يتبع الجنازة من أهل الميت ملكًا إذا رجعوا من دفنها وخفّ همَّهم وحزنهم بميّتهم أن يأخذ كفًّا من تراب ويرمي به في وجوههم، ويقول لهم: ارجعوا أنساكم الله موتاكم، فينسون ميّتهم ويأخذون في أكلهم وشربهم وضحكهم وبيعهم وشرائهم، كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم**»[٢] الحديث بمعناه.

ورُوِيَ أنّ الله تعالى لمّا مسح على ظهر آدم عليه الصّلاة والسّلام، فاستخرج ذرّيته قالت الملائكة: يا ربّ لا تسعهم الأرض، فقال تعالى: إني جاعل موتًا، فقالت الملائكة: يا ربّ لا يهنئهم العيش، فقال: إني جاعل أملًا، انتهى. فكان طول الأمل رحمة من الله تعالى للناس تنتظم به أسباب معايشهم وتستحكم لهم الأُمور ويتقوّى به الصانع على صنعته والعابد على عبادته، فهذا أملٌ محمود، ولولا ذلك لتفسّخت عزائم الناس ولم يتمّ لهم عمل، فعُلِمَ أنّ

---

(١) أخرجه الألباني في إرواء الغليل ٣/ ٢٠٣.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

الأمل المذموم هو الذي يُنْسي العبد أُمور آخرته ويقسي قلبه ويثبطه عن الأعمال الصالحة، وكان الحسن البصريّ رضي الله عنه يقول: الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم، ولولاهما ما مشى المسلمون في الطريق وتعطلّت الأسباب على أهلها وأدّى ذلك إلى ضررٍ عظيم لعدم من يقوم بأمر معاشهم، وكان مطرف بن عبد الله رضي الله عنه يقول: لو علمت وقت أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله تعالى يمنّ على عباده بالغفلة عن الموت في بعض الأوقات ليهنؤوا بالعيش، ولولا ذلك ما تهنؤوا به ولا قامت بينهم أسواقهم.اهـ. فالله يجعلنا من الذين يذكرون الموت ولا يلهيهم ذلك عن أعمال آخرتهم، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في رحمة الله تعالى بعبده المؤمن إذا دخل في قبره

رُوِيَ عن عطاء الخراساني رضي الله عنه أنّه كان يقول: أرحم ما يكون الربّ جلَّ وعلا عبده إذا دخل في قبره وتفرّق عنه أهله وجيرانه ومعارفه، وكان لأبي أُمامة الباهلي بالشام وله ابن أخ مسرف على نفسه، فحضرته الوفاة فصار عمّه يقول له: يا ولدي أمَا نهيتك عن كذا وكذا؟ فلم تسمع نصحي، فقال له: يا عمّ لو أنّ الله دفعني إلى والدتي، كيف كانت صانعة بي؟ فقال: تدخلك الجنّة، فقال: الله تعالى أرحم بي من أُمّي؛ فلما قُبِض ودُفِن نزل عمّه في قبره ثمّ صاح وفزع، فقيل له: ما لك صحت وفزعت؟ فقال: رأيت القبر قد اتّسع وامتلأ نورًا، وكان من دعاء أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى: اللّهمّ آنس في القبر وحدتي وغربتي، وأنشدوا:

أيّها الواقف اعتبارًا بقبري ... استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الصعيد وخافوا ... من ذنوب باشرتها بأديمي
قلت لا تجزعوا عليّ فإنّي ... حسن الظنّ بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهينًا ... غلق الرهن عند مولى كريم

اللّهمّ ارحمنا واعف عنّا وإخواننا المسلمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب متى يرتفع ملك الموت عليه السلام

روى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنّ ابن آدم لفي غفلة عمّا خلقه الله له، إنّ له تعالى إذا أراد خلق عبد قال للملك: اكتب رزقه وأثره وأجله وشقيًا أو سعيدًا، ثم يرتفع ذلك الملك، فيبعث الله إليه ملكًا آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يبعث الله إليه ملكين كاتبين يكتبان حسناته وسيّئاته حتى إذا جاءه ملك الموت ليقبض روحه كان معه حتى يدخل حفرته وتردّ الروح إلى جسده ثم يرتفع ملك الموت، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيئات وصار ما كتباه كتابًا معقودًا في عنقه، ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد؛ فذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: الآية ٢٢]**»[1]، وفي الحديث: «**أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: الآية ١٩]: حالًا بعد حال**». ثمّ قال ﷺ: «**إن قدّامكم أمرًا عظيمًا، فاستعينوا بالله العظيم فيه**»[2].

قال الإمام القرطبي رضي الله عنه: وجدنا على قبر الأمير أبي عامر بن شهيد مكتوبًا وقد دُفِن بجنب قبر صاحبه الوزير أبي مروان في البستاني الذي كانا يجتمعان فيه للتنزّه:

يا صاحبي قم فقد أطلنا	أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها	ما دام من فوقنا الصعيد
تذكرني ليلة نعمنا	في ظلّها والزمان عيد
كل زمان لنا تقضّى	وشؤمه حاضر عتيد
يا ربّ غفرًا فأنت مولى	قصّر في حقّه العبيد

انتهى. والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٨/ ٣٨٢، والقرطبي في تفسيره ١٧/ ١٤، ١٩.

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٨/ ٣٨١، والقرطبي في تفسيره ١٩/ ٢٧٩.

باب في سؤال الملكين للعبد، وفي التعوّذ من عذاب القبر ومن عذاب النار

روى البخاري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ العبد إذا وُضِع في قبره وتولّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيُقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمّد ﷺ؟ فأمّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا في الجنّة، فيراهما جميعًا. قال: وأمّا المنافق أو الكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول مثل ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطراق من حديد، فيصيح صيحة يسمعها مَنْ يليه إلّا الثقلين**»(١).

وذكر الغزالي رحمه الله أن عبد الله بن مسعود كان يقول: سألت رسول الله ﷺ: ما أوّل ما يُلقى الميت إذا دخل قبره؟ فقال: «**يا ابن مسعود ما سألني عن ذلك أحد قبلك، أوّل ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر، فيقول: يا عبد الله! اكتب عملك، فيقول: ليس معي دواة ولا قرطاس، فيقول: هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك، فيُقطع له قطعة من كفنه ثم يُجعل العبد يكتب، وإن كان غير كاتب في دار الدنيا، فيذكر حينئذ حسناته وسيّئاته كيوم واحد، ثم يطوي الملك تلك القطعة ويعلّقها في عنقه، ثم تلا رسول الله ﷺ:** ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]، **أي عمله، فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتّانا القبر، وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرّانها على الأرض صوتهما كالرّعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالرّيح العاصف، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع الثقلان ما رفعاه، لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكًا، فإذا أبصرهما النفس ارتعدت وولّت هاربة، فتدخل في منخر الميت فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ولا يقدر على**

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٦٧، وأبو داود في السنة باب ٢٤، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٦، ٢٣٤.

حراك غير أنه يسمع وينظر، فيبتدآنه بعنف وينتهرانه بجفا وقد صار التراب له كالماء حينما تخرّك وانفسح ووجد فيه فرجة، فيقولان له: مَنْ ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ وما قبلتك؟ فمن وفّقه الله تعالى وثبّته بالقول الثابت، قال: فمن دلّكما عليَّ ومن أرسلكما إليّ؟ وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار، فيقول أحدهما للآخر: صدق وكفي شرّنا، ثم يضربان على القبر كالقبّة العظيمة ويفتحان له بابين إلى الجنّة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها ويدخل عليه نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة أحبّ الأشخاص إليه، فيؤنسه ويحدّثه ويملأ قلبه نورًا، ولا يزال في فرحٍ وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة، ويسأل: متى تقوم الساعة؟ فليس شيء أحبّ إليه من قيامها. قال: وإن كان الميت قليل العلم والعمل دخل عليه عمله الصالح القليل بعد رومان في أحسن صورة وأطيب ريح وأحسن ثياب على شاكلة عمله الصالح القليل، فيقول له: أمَا تعرفني؟ فيقول: مَنْ أنت الذي منَّ الله عزّ وجلّ عليَّ بك؟ فيقول: أنا عملك الصالح فلا تحزن ولا توجل، فعمّا قليل يدخل عليك منكر ونكير ويسألانك فلا تدهش؛ ثم يلقّنه حجّته، فبينما هو كذالك إذا دخلا عليه فينهرانه ويقعدانه مستندًا، فيقولان: من ربك؟ فيسبق الأوّل، فيقول: الله ربّي، ومحمد ﷺ نبيّي، والقرآن إمامي، والكعبة قبلتي، وإبراهيم الخليل أبي، وملّته ملّتي غير مستعجم، فيقولان له: صدقت، وإن ارتاب ولم يقل ربي الله ولا محمّد ﷺ نبيّي، ولا ملّة إبراهيم ملّتي، قالا له: كذبت، ويفتحان له بابًا إلى النار فينظر إلى جميع سلاسلها وحيّاتها وعقاربها وأغلالها وجميع ما فيها من صديد وزقوم، فيفزع لذلك أشدّ الفزع، ثمّ يقولان له: انظر إلى مكانك من الجنّة أبدلك الله مكانه موضعًا من النار، ثم يُغلقون عليه باب النار».

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ومن الناس من يتلجلج في مسألته إذا كانت عقيدته في الله مخالفة، فلا يقدر على النطق بقوله: الله ربّي ويأخذ في غيرها من الألفاظ، فيضربانه ضربة يشتعل عليه بها قبره نارًا، ثم تُطفأ عنه أيّامًا ثم تشتعل أيّامًا، هذا دأبه ما بقيت الدنيا، ومِنَ الناس مَنْ يعسر عليه النطق بقوله: والإسلام ديني لشكٍّ كان عنده أو فتنة حصلت له عند الموت فيضربانه ضربة واحدة، فيشتعل عليه قبره نارًا كالأوّل، ومِنَ الناس مَنْ يعسر عليه النطق

بقوله: والقرآن إمامي؛ لأنّه كان يتلوه ولا يتّعظ به، ولا يأتمر بأوامره، ولا ينتهي بنواهيه فيفعل به ما يفعل بالأوّلين. ومِنَ الناس مَن يستحيل عمله جروًا يعذّب به في قبره على قدر جرمه. ومِنَ الناس مَنْ يستحيل عمله خنزيرًا، أي جرو خنزير كما ورد. ومِنَ الناس مَنْ يعسر عليه أن يقول نبيّي محمّد؛ لأنّه كان ناسيًا للسنّة. ومِنَ النّاس مَنْ يعسر عليه أن يقول: الكعبة قبلتي، لقلّة تحرّيه في الاجتهاد فيها للصّلاة أو فساد في وضوئه أو التفات في صلاته أو نقص في ركوعه وسجوده ونحو ذلك. ومِنَ الناس مَنْ يعسُر عليه النطق بقوله: وإبراهيم الخليل أبي؛ لأنه سمع من بعض الكفّار أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا فتوهّم ذلك، ونسي قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٧]، فيفعل به كما فعل بالأوّلين من ضربه ضربة يشتعل بها قبره عليه نارًا. وأمّا الفاجر، فيقولان له: مَنْ ربّك؟ فيقول لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا عرفت، ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتجلجل في الأرض ثم تنفضه الأرض في قبره ثم يضربانه سبع مرّات. قال: ويختلف الناس في السؤال؛ فمنهم من يُسأل عن بعض الأُمور، ومنهم من يُسأل عن بعضٍ آخر، كما تختلف الأحوال على الناس في العذاب؛ فمنهم من يستحيل عمله كلبًا ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج، ومنهم من يستحيل عمله خنزيرًا يعذّب به، وهم المرتابون.

قال العلماء: وأصل ذلك أنّ كل إنسان يُعذَّب في قبره بما كان يخافه في دار الدنيا، فمن الناس مَنْ كان يخاف من الجرو، ومنهم من كان يخاف من الأسد، وقِسْ على ذلك، نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين.

بـاب منه

روى الإمام أحمد[١] وأبو داود بإسناد صحيح عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، قال: خرجنا مع النبيّ ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل رسول الله ﷺ يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٨٧، ٢٩٦، ٥/١٣٦.

إلى القبر، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر»، قالها مرارًا، ثم قال: «إنّ العبد المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت، فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنّة إلى مغفرةٍ من الله ورضوان، فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء، ثم ينزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنّة وحنوط من حنوطها، فيجلسون منها مدّ البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جندٍ فيما بين السماء والأرض إلّا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنيا، فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا له كتابه في عليّين، وما أدراك ما عليون؟ كتاب مرقوم يشهده المقرّبون، فيكتب كتابه في عليّين، ثم يقال: ردّوه إلى الأرض، فإنّي وعدتهم أنّي منها خلقتهم وفيها نُعيدهم ومنها نُخرجهم تارةً أُخرى. قال: فيُرَدّ إلى الأرض وتُعاد روحه، فيأتيها ملكان شديدا الانتهار، فينهرانه ويُجلسانه فيقولان: مَنْ ربّك؟ وما دينك؟ فيقول: ربّي الله وديني الإسلام، فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما يُدريك؟ فيقول: جاءنا بالبيّنات من ربّنا فآمن به وصدّقت، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]، قال: فينادي مُناد من السماء: صدق عبدي، فألبِسوه من الجنّة وأروه منزله منها، فيُفسح له مدّ البصر، ثم قال: ويمثّل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيّب الريح حسن الثياب، فيقول له: أبشر بما أعدّ الله لك، أبشر برضوان الله وجنّات فيها نعيم مقيم، فيقول: بشّرك الله بخير، مَنْ أنت، فوجهك الذي جاء بالخير؟ فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعتك لله بطيئًا عن معصية الله فجزاك الله خيرًا، فيقول: يا ربّ أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي. قال: فإن كان فاجرًا في قُبُلٍ من الدنيا وانقطاعٍ عن الآخرة جاءه ملك فجلس عند رأسه، فقال: اخرجي أيّتها النفس الخبيثة اخرجي بسخط الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار، فإذا قبضها

الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين، فتفرق في جسده فيستخرجها وقد تقطّع منها العروق والعصب، كالسفود الكثير الشعب في الصوف المبلول، فتُؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت، فلا تمرّ على جندٍ فيما بين السماء والأرض إلّا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان بأسوإ أسمائه، حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا تفتح لها، فيقولون: ردّوها إلى الأرض إني وعدتهم أنّي منها خلقتهم وفيها نُعيدهم ومنها نُخرجهم تارةً أُخرى. قال: فيُرمى به من السماء وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: الآية ٣١]، **قال: فيُعاد إلى الأرض فتُعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه، فيقولان له: مَنْ ربّك وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعِث فيكم، فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك فقتله، قال: فيُقال له: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه مُنْتن الريح قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: مَنْ أنت، فوجهك الذي جاء بالشرّ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلّا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصية الله، قال: فيقيّض الله له أصمّ أبكم ومعه مرزبة لو ضُرِب بها جبل لصار ترابًا، فيضربه ضربة يسمعها الخلائق إلّا الثقلين، ثم تُعاد روحه فيُضرب ضربةً أُخرى»**. زاد في رواية أبي داود الطيالسي: «**ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلى النار**».

فاعلموا أيُّها الإخوان أنّ عذاب القبر ونعيمه حقّ كما صرَّحت به الأحاديث الصحيحة، ولكن الله تعالى يأخذ بأبصار الخلائق وأسماعهم من الجنّ والإنس عن رؤية عذاب القبر ونعيمه لحكمة إلٰهيّة، ومن شكَّ في ذلك فهو مُلْحد.

وإيضاح ذلك: أنّ أحوال أهل المقابر على خلاف أحوال أهل الدنيا، فلا يُقاس أحوال البرزخ وما بعده من أحوال الآخرة على أحوال أهل الدنيا، ولولا خبر الصادق المصدوق عن ذلك ما عرفنا شيئًا من أحوال أهل القبور ولا عرفنا

المُنْعم والمعذّب. وقد أجمع أهل الكشف على أن الميّت يحسّ بضغطة القبر ويحسّ باختلاف أضلاعه، ولو كان في بطون السباع والطيور أو كان قد حُرّق وذُرّيَ في الريح، فتحسّ كل ذرّة بالألم ولو كانت متفرّقة.

قال العلماء: والطفل في ضغطة القبر وعذابه كالبالغ، كما تقتضيه ظواهر الأحاديث، ولذلك كان الصحابة إذا صلّوا على الطفل يدعون له بأن الله تعالى يُعيذه من عذاب القبر، فإن قال قائل: فلم يسمّى فتّانا القبر بمنكر ونكير؟ فالجواب: أنهما سُمّيا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدمين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع لا يأنس بهما أحد من النّاظرين، ولكن الله تعالى يخلق عندهما اللّطف والرحمة والستر للمؤمن فضلًا منه تعالى، فيتشكّلان لكل إنسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاد. فإن قال قائل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في جميع أقطار الأرض في وقتٍ واحد؟ فالجواب: أن الله تعالى جعل جسمهما كبيرًا مثل جسم ملك الموت، فتكون الدنيا كلّها بين يديهما كالإناء الذي يُؤكل منه، فإذا تكلّما بكلام وصل إلى كلّ واحد من الموتى في سائر أقطار الأرض، فيتخيّل أن الخطاب له من منعم ومعذّب، فيدخلَ في أُذن كل واحد من ذلك الكلام ما يناسب حاله من لطف وشدّة ونعيم وعذاب. فإنّ قال قائل: فكيف تنقلب الأعمال أشخاصًا، وهي في نفسها أعراض؟ فالجواب: أنّ الله تعالى يخلق من ثواب الأعمال أشخاصًا حسنة وقبيحة؛ لأن العرض نفسه لا ينقلب جوهرًا، وقد ورد في الصحيح أنه يُؤْتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف على الصّرط فيُذبح، ومُحال أن ينقلب الموت كبشًا لأنه عرض، وإنّما المعنى أنّ الله تعالى يخلق شخصًا يسمّيه الموت فيُذبح بين الجنّة والنار.

قال الإمام القرطبي: وهكذا كل ما ورد في هذا الباب من الأُمور التي لا تُدركها العقول هو مؤوّل، انتهى.

ويجوز أن يقال إذا كان للحقّ سبحانه وتعالى إيجاد الخلق من عدم، فله تعالى إيجاد الجوهر من العرض بالأَوْلى، والله أعلم.

فإن قيل: قد اختلفت الآثار في سِعَة القبر وضيقه من سبعين ذراعًا أو ستّين ذراعًا أو أربعين أو مدّ البصر، فما الصحيح في ذلك؟ فالجواب: هذا مختلف باختلاف الناس من أهل الخير، فكلّ من زاد في الأعمال الصالحة كان قبره أوسع. وأمّا الكافر، فقبره ضيّق على حالة واحدة لا يتّسع أبدًا، نسأل الله العافية.

باب ما ورد في عذاب القبر
وفي اختلاف عذاب الكافرين والعصاة من الموحدين فيه

رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنّهما كانا يقولان في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤]: هو عذاب القبر. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان الناس في شكٍّ من عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [التكاثر: الآيات ١ - ٣]، فتعلمون الأوّل إشارة إلى عذاب القبر، وتعلمون الثاني إشارة إلى عذاب الآخرة.

ورُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون فيمن أنزلت هذه الآية**: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٤]»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**عذاب الكافر في القبر، والذي نفسي بيده إنه ليسلّط عليه تسعة وتسعين تنّينًا، أتدرون ما التنين؟ التنّين تسعة وتسعون حيّة لكل حيّة تسعة رؤوس تنفخ في جسمه وتخدشه إلى يوم القيامة، ويُحشر من قبره إلى الموقف أعمى**»[1].

وروى الحافظ الوائلي رحمه الله عن ابن عمر قال: بينا نحن نسير بجبانات بدر، إذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود، فقال: يا عبد الله اسقني، فقال ابن عمر: لا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الإنسان لأخيه يا عبد الله، فقال لي الأسود: لا تسقه، فإنه كافر، ثم اجتذبه فدخل الأرض. قال ابن عمر: فأتيت رسول الله فأخبرته، فقال: «**أوَ قد رأيته ذاك عدوّ الله أبو جهل بن هشام، وهو عذابه إلى يوم القيامة**»[2].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٥٥، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤/ ٣١١.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

قال العلماء: وتختلف أحوال العصاة في العذاب باختلاف معاصيهم كثرة وقلّة وكبرًا وصغرًا. وروى ابن أبي شيبة مرفوعًا: «**أكثر عذاب القبر من البول**»، وروى الشيخان أن النبيّ ﷺ مرّ على قبرين، فقال: «**إنهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير، بلى إنه كبير. أمّا أحدهما، فكان يمشي بالنميمة. وأمّا الآخر، فكان لا يستبرىء من البول**». وفي رواية لمسلم: «**لا يستنزه من البول**»[1]. قال العلماء: وفي هذا الحديث دليل على أن الاستبراء من البول والتنزّه عنه واجب؛ إذ لا يعذّب الإنسان إلّا على ترك الواجب، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياسًا على البول. وكان الإمام مالك رضي الله عنه يقول: من صلّى ولم يستبرىء من البول قد صلّى بغير طهور. وروى البيهقي وغيره في حديث الإسراء: «**أنه ﷺ مرّ ليلة أُسْرِيَ به على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلّما رضخت عادت ما كانت لا يفترّ عنهم شيء من ذلك، فقال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، ثمّ مرَّ ﷺ على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام في الضريع والزقوم ورضف جهنم ـ يعني الحجارة المحمّاة ـ فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلّام العبيد، ثم مرّ ﷺ على قوم بين أيديهم اللّحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث، فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيّب، فقال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يزنون وعندهم النساء الحلائل الطيّبات، فيأتي أحدهم المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يُصبح. ثمّ مرّ ﷺ على قومٍ تُقْرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قُرِضَت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: خطباء الفتنة. ثم أُتي ﷺ على حجرٍ صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث يخرج، فلا يستطيع، فقال: يا جبريل مَنْ هذا؟ فقال: الرجل يتكلّم بالكلمة فيندم عليها، فيريد أن يردّها فلا يستطيع. ثمّ مرّ ﷺ على قوم بطونهم كأمثال البيوت، كلّما نهض أحدهم يقوم خرّ على وجهه والناس يطؤونهم، وهم**

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب ٥٥، ٥٦، والجنائز باب ٨١، ٨٨، ومسلم في الطهارة حديث ١١١.

يضجّون إلى الله عزّ وجلّ، قال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: هم الذين يأكلون الرّبا من أُمّتك، لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ. ثمّ مرّ ﷺ على قوم مشافرهم كمشافر الإبل، فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر، ثم يخرج من أسافلهم وهم يضجّون إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: هؤلاء من أُمّتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، إنَّما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا. ثمّ مرّ ﷺ على نساءٍ معلّقات بثديهنّ وهنّ يَصُحْن إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزّناة من أُمّتك. ثمّ مرّ ﷺ على قوم يُقْطَع من جنوبهم اللّحم فيلقمونه، فيقال لأحدهم: كُلْ كما كنت تأكلُ لحم أخيك، قال: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الهمّازون من أُمّتك اللَّمّازون». وفي رواية لأبي داود: **«ثم مرّ ـ يعني ﷺ ـ على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قالَ: الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»**، انتهى ملفقًا من عدّة أحاديث.

باب ما جاء في بُشرى المؤمن في قبره، وفي التعوّذ من عذاب القبر

رُوِيَ عن كعب الأحبار أنّه كان يقول: إذا وُضِع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة، فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه، فتقول الصلاة: إليكم عنه فقد أنصب جسمه، فيأتونه من قبل رأسه، فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه، فقد كان يطول ظمؤه وعطشه في دار الدنيا لله عزّ وجلّ؛ فيأتونه من قِبَل جسمه فيقول الحجّ والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب جسمه وأتعب بدنه وحجّ وجاهد لله عزّ وجلّ لا سبيل لكم عليه؛ فيأتونه من قُبَل يديه، فتقول الصدقة: كفّوا عن صاحبي، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله عزّ وجلّ ابتغاء وجه لا سبيل لكم عليه. قال: فيقول له الملك: نَمْ هنيئًا طِبْت حيًا وميتًا.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: هذا لمن أخلص لله تعالى في أعماله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيّته له تعالى في علانيته وسرّه؛ لأن مثل

هذا هو الذي تكون أعماله حجّة له. وأمّا أمثالنا من المذنبين الخطّائين، فقد يفعل جميع هذه الأُمور رياء وسمعة، فلا تدفع عنه شيئًا من العذاب نسأل الله العافية.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أُوحي إليّ أنكم تُفْتنون في القبور، فيُؤْتى أحدكم في قبره، فيقال له: ما عِلْمك بهذا الرجل؟ فأمّا المؤمن فيقول: هو محمّد رسول الله جاءنا بالبيّنات والهدى، فأجبنا وأطعنا ثلاث مرّات، فيقال له: قد علمنا أنك تؤمن به فنَمْ صالحًا. وأمّا المنافق ـ أو قال: المرتاب ـ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[1] رواه مسلم، والأحاديث في ذلك كثيرة، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر وأن الميت يسمع ما يقال

روى مسلم: «**أنّ النبيّ ﷺ بينما هو في حائط لبني النجّار على بغلته ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه وإذا قبور، فقال النبيّ ﷺ: من يعرف أصحاب هذه القبور؟ فقال رجل: أنا، فقال: فمتى مات هؤلاء؟ فقالوا: ماتوا في الإشراك، فقال ﷺ: إنّ هذه الأُمّة تُبْتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»[2]، انتهى.

وكان بعض العارفين يقول: لا يَسمع عذاب الموتى إلا مَن اتّصف بكتمان الأسرار كالبهائم، فإنّها ليست من عالم التعبير عمّا ترى. أمّا من يُخبر الناس بما رأى، فلا يسمع شيئًا من ذلك، فما كتم الله تعالى ذلك عن الإنس والجنّ إلا لحكمة إلـٰهيّة ـ كما أشار ليه الحديث ـ لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر، ومن يطيق سماع عذاب الله في القبر من أمثالنا في هذه الدار مع ضعفنا، وقد بلغنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة، وهي دون صيحة الملك على الميت بيقين.

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٢٣، ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في الجنّة حديث ٦٧، ٦٨.

وفي الحديث: «**لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات**»[١]، نسأل الله تعالى العافية.

وأمّا سماع الميت ما يقال، فقد روى مسلم: «**أن رسول الله ﷺ وقف على قتلى بدر من المشركين، فقال: يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقًّا؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقًّا**» - يعني من معرفة مصارعهم - فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف تكلّم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنّهم لا يستطيعون أن يردّوا عليكم شيئًا**»، ثمّ أمر ﷺ بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر[٢]. وفي حديث صحّحه عبد الحقّ مرفوعًا: «**ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في دار الدّنيا فيسلّم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السّلام**»[٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: الآية ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: الآية ٢٢]، فمحمول على أنّ ذلك في بعض الأوقات دون بعض، وقال بعضهم في بعض الأشخاص دون بعض جمعًا بين الآيات والأخبار؛ فعُلِم أنّ عذاب القبر عامّ في حق الكافر والمنافق والمؤمن والعاصي، نسأل الله العفو والعافية آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في ذكر أُمور تنجّي من عذاب القبر

فمنها الرّباط في سبيل الله عزّ وجلّ، روى مسلم مرفوعًا: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه**»[٤]، وإن مات أُجري عليه عمله وأمِنع من الفتّانات.

ومنها: قراءة سورة تبارك الذي بيده الملك كل ليلة صحّ ذلك في عدّة أحاديث، وكذلك قراءة قل هو الله أحد في مرض الموت، وقد تقدّم ذلك بدليله.

---

(١) الحديث لم أجده.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٨٦، والمغازي باب ٨، ومسلم في الجنة حديث ٧٦، ٧٧.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٦٥، وابن كثير في تفسيره ٦/ ٣٣٠.

(٤) أخرجه مسلم في الإمارة حديث ١٦٣.

ومنها: مَنْ مات ببطنه؛ لحديث أبي داود مرفوعًا: «**من قتله بطنه لم يُعذَّب في قبره**»(١).

ومنها: الموت يوم الجمعة أو ليلتها؛ لحديث الترمذي مرفوعًا: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلّا وقاه الله فتنة القبر**»(٢)، والأحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم.

ومنها: الموت في معركة الكفار؛ لحديث ابن أبي شيبة وغيره مرفوعًا: «**كل مؤمن يُفتن في قبره إلّا الشهيد**»(٣)، يعني المقتول في سبيل الله، وروى النسائي وابن ماجه مرفوعًا: «**للشهيد عند الله ستّ خصال**» فذكر منها: «**ويُجار من عذاب القبر**»(٤)، وأُلحق بالشهيد في الأجر والثواب: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم وذات الجنب والطلق والحريق ومَنْ قُتِل دون ماله أو دون دمه أو دون حريمه، وغير ذلك ممّا وردت به الأخبار والآثار والله أعلم.

باب ما جاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب وأجساد الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام والشهداء

روى مسلم وابن ماجه مرفوعًا: «**ليس من الإنسان شيء إلا يُبلى إلّا عظم واحد، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**». وفي رواية: «**منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(٥)، أي أوّل ما خُلِقَ من الإنسان هذا العظم، ثمّ إنّ الله تعالى يُبْقيه إلى أن يركّب الخلق منه تارة أُخرى، وقد قيل: «**يا رسول الله ما هو؟ فقال: مثل حبّة خردل ومنه ينبتون**» الحديث.

قال العلماء: وإنما لم تأكل الأرض أجساد الشداء لكونهم أحياء عند ربّهم يُرزقون، كما صرّح به القرآن. وثبت في الصحيح أنّ عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريّيْن دُفِنا في قبرٍ واحد يوم أُحد، فحسر السيل عن

---

(١) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ٦٥، والنسائي في الجنائز باب ١١١.
(٢) أخرجه الترمذي حديث ١٠٧٤، وأحمد في المسند ٢/١٦٩.
(٣) الحديث لم أجده.
(٤) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد باب ٢٥، وابن ماجه في الجهاد باب ١٦.
(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٣٩، باب ٣، ومسلم في الفتن حديث ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.

قبرهما فحفروا عليهما لينقلا إلى مكانٍ آخر، فوجدا لم يتغيرا كأنّهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جُرِح فوضع يده على جرحه فدُفِن وهو كذلك، فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع إلى ما كانت، وذلك بعد ستّ وأربعين سنة من وقعة أُحد.

قال الإمام القرطبي: ولا فرق في عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الأُمم السالفة الذين جاهدوا مع أنبيائهم وماتوا في القتال، بدليل ما صحّ في الترمذي في قصة أصحاب الأُخدود أنّ الغلام الذي قتله الملك ودُفِن وأصبعه على صدغه أُخرج من قبره في زمن عمر بن الخطّاب فوجدوا أصبعه على صدغه كما وضعها حين قُتِل، وكان أصحاب الأخدود بنجران في أيام الفترة بين عيسى ومحمّد ﷺ كما في صحيح مسلم. وروى نقلة الأخبار أنّ معاوية لمّا أجرى العين التي استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة وأمر الناس بتحويل موتاهم، وذلك في أيام خلافته، وبعد أُحد بنحوٍ من خمسين سنة، فوُجِدُوا على حالهم حتى إنّ الناس رأوا المسحاة أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال الدَّم منها، وأنّ جابر بن عبد الملك أخرج أباه عبد الله كأنه دُفِنَ بالأمس، وحياة الشهداء أشهر من أن تُذْكَر.

وروى كافّة أهل المدينة أنّ جدار قبر النبيّ ﷺ لمّا انهدم أيّام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة بدت لهم قدم، فخافوا أن تكون قدم النبيّ ﷺ، فجزع الناس حتى روى لهم سعيد بن المسيّب أن جثث الأنبياء لا تقيم في الأرض أكثر من أربعين يومًا، ثمّ تُرفع. وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعرّف الناس أنّها قدم جدّه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

ورُوِيَ مرفوعًا: «**المؤذن المحتسب كالمتشحّط في دمه، وإن مات لم يدد في قبره**»[1]، أي لم يدوّد كما في رواية أخرى. وظاهر هذا أن المؤذّن المحتسب لا تأكله الأرض أيضًا، وفي الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أكثروا عليّ من الصلاة في يوم الجمعة، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ**»،

(١) أخرجه بنحوه ابن ماجه في الجهاد باب ١٠.

فقالوا: يا رسول الله كيف تُعْرَض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - أي بليت - فقال: «**إنّ الله عزّ وجلّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)]؛ ففي هذا الحديث أنّ رسول الله ﷺ حيّ في قبره يُرزق.

قلت: وقوله في الحديث السابق: إنّ الأنبياء لا يقيمون في قبورهم أكثر من أربعين يومًا هو في حقّ غير سيّدنا محمّد ﷺ، أو يُحمل على رجوعهم بعد الرفع، ورأيت في كلام بعض الأئمّة أنّ الله تعالى وعد محمّدًا ﷺ أنّه لا ينزل على أُمّته بلاء يستأصلهم ما دام في الأرض، قال: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، انتهى. وهو كلام عليه حشمة ووقار؛ فينبغي اعتماده ليصحّ الاستدلال والقول باستحباب زيارة قبره ﷺ وقبور الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، والله أعلم.

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصّعق، وكم بين النفختين وذكر الحشر والنشر والنار

روى مسلم[(٢)] عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يخرج الدجّال في أُمّتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا - فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرّة من خير أو إيمان إلّا قبضته حتى إن أحدكم لو دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه، ويبقى شرار الناس في خفّة الطير وأحلام السّباع لا يعرفون معروفًا ولا يُنْكرون منكرًا، فيتمثّل لهم الشيطان فيقول: ألَا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا، فأوّل من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيُصْعَق ويُصْعق الناس، ثم ينزل الله تعالى - أو قال - يرسل الله تعالى مطرًا كأنه الطلّ، فتنبت منه أجساد الناس:** ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ٦٥، وأبو داود في الصلاة باب ٢٠١.

(٢) كتاب الفتن حديث ١١٦، ١٤٠.

قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨]، **ثم يُقال: يا أيّها الناس هلمّوا إلى ربِّكم** ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٢٤]، **ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك** ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المُزمّل: الآية ١٧]، **وذلك** ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القَلَم: الآية ٤٢]»، وفي رواية فذكر الحديث إلى أن قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس شيء من الإنسان إلّا ويُبلى إلا عظمًا واحدًا لا تأكله الأرض أبدًا**». ورُوِي مرفوعًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعين يومًا؟ قال: أبَيْت، قالوا: أربعين شهرًا، قال: أبيت، قالوا: أربعين عامًا؟ قال: أبيت**»، وقد جاء أن بين النفحتين أربعين عامًا، والله أعلم.

باب في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨] الآية

وقد اختلف الناس في المستثنى مَنْ هو؟ فقيل: الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، وقيل: الشهداء. قال الشيخ أبو العباس القرطبي: والصحيح أنّه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.

باب يفنى العباد ويبقى المُلك لله وحده

روى الشيخان مرفوعًا: «**يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثمّ يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»، وفي رواية لمسلم: «**يطوي الله السمـٰوات يوم القيامة ثمّ يأخذهنّ بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين الجبّارون؟ أين المتكبّرون**»، وفي رواية أخرى: «**يأخذ الله سمـٰواته وأرضه بيديه، فيقول: أنا الله أنا الملك لمن المُلْك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول جوابًا لنفسه: لله الواحد القهّار**»[1]. وكان ابن مسعود يقول: إن العباد هم الذين يجيبونه سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية ١٦] بقولهم: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، زاد بعد قوله تعالى [في الحديث القدسي]: «**أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**» وذلك بعد أن أمر الله تعالى إسرافيل

(١) أخرجه مسلم في المنافقين حديث ٢٤، وأبو داود في السنة باب ١٩.

أن ينفخ نفخة الصّعق: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨]، فإذا اجتمعوا موتى جاء ملك الموت إلى الجبار، فيقول: «**يا ربّ قد مات أهل السماء وأهل الأرض إلّا مَنْ شئت، فيقول سبحانه وتعالى: فمن بَقِي وهو أعلم؟ فيقول: بقيت أنت الحيّ الذي لا تموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل، وبقي ميكائيل وإسرافيل، وبقيت أنا؟ فيقول الله عزّ وجلّ: ليمت جبريل وميكائيل، ويُنْطِق الله تعالى العرش، فيقول: أي ربّ يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول الله عزّ وجلّ: اسكت، إني كتبت الموت على كلّ مَنْ كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا ربّ قد مات جبريل وميكائيل، وبقيت أنت الحيّ الذي لا تموت، وبقيت حملة عرشك، وبقيت أنا؟ فيقول: ليمت حملة عرشي، فيموتون، فيأمر الله عزّ وجلّ العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يقول: ليمت إسرافيل، فيموت، ثم يأتي ملك الموت، فيقول: يا ربّ قد مات حملة عرشك، ومات إسرافيل، وبقيت أنا؟ فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي خلقتك لما أردت فمُتْ، فيموت ملك الموت، فإذا لم يبق سوى الله الواحد القهّاء طوى السماء كطيِّ السّجل للكتاب، ثم قال: أنا الجبار لمن المُلْك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم يقول: لله الواحد القهّار**»، ذكره الطبري والثعلبي وغيرهما. وفي حديث أبي داود الطيالسي عن لقيط بن عامر عن النبيّ ﷺ: «**ثم تلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصيحة، فلعمر إلـهك ما تدع من شيء على ظهرها إلّا مات، والملائكة الذين هم مع ربّك، فأصبح ربّك يطوف في البلاد وقد خلت عليه البلاد**»، انتهى.

قال الإمام القرطبي: وقوله: فأصبح ربّك يطوف إلى آخره تفهيم وتقريب إلى أن جميع مَنْ في الأرض يموت، وأنّ الأرض تبقى خالية ليس فيها إلا الله، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمـٰن: الآيتان ٢٦، ٢٧]، قال العلماء: وعند قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غَافر: الآية ١٦] هو انقطاع زمن الدنيا، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٠]؛ لأنه الحاجز بين الموت والبعث وبعده يكون البعث والنشر والحشر، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

باب ذكر النفخ الثاني في الصور، وهو نفخة البعث، وكيفية البعث وغير ذلك وبيان أوّل من تنشقّ عنه الأرض وأوّل مَن يحيا من الخلق، وبيان السنّ الذي يخرجون عليه من قبورهم وغير ذلك

وسيأتي أن الصور قرن من نور حاوٍ لأرواح الخلائق كلّها وفيه ثقب على عدد أرواحهم، فينفخ فيه النفخة الأُولى فيموتون، والنفخة الثانية فيبعثون ويحيون ويقومون كلّهم أحياء حتى السّقط الذي نفخ فيه الروح وتمّ خلقه، وفي الحديث الصحيح: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أوّل ما يخلق الله الإنسان من قِبَل رأسه**»[(١)]، أي من جهتها. وفي الحديث أيضًا: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ**»، فكأنّ ذلك ثَقُلَ على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «**قولوا حسبنا الله ونِعْم الوكيل**»[(٢)]. وفي الحديث مرفوعًا: «**ما أطرف صاحب الصور مُذْ وُكِّل به مستعدًّا بحذاء العرش مخافة أن يُؤْمر بالصيحة قبل أن يرتدّ طرفه**»[(٣)]، وفي الحديث أيضًا مرفوعًا: «**يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، فلا يبقى لله خلق في السمٰوات والأرض إلّا مات إلّا من شاء الله، وليس من بني آدم خلق إلّا وفي الأرض منه شيء** - يعني عجب الذنب - **ثمّ يرسل الله تعالى ماء من تحت العرش منيّ كمنيِّ الرجل، فتنبت أجسامهم ولحومهم كما تنبت الأرض من التراب، ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض، فيُنفخ فيه فتنطلق كلّ نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه، ثم يقومون فيجيبون إجابة واحدة**»، وفي الحديث أيضًا مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]: «**إنّ الله يبسط الأرض بسطًا ثم يمدّها مدَّ الأديم العكاظي** - يعني الجلد - ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: الآية ١٠٧]، **ثم يزجر الله تعالى الخلق زجرةً واحدةً، فإذا**

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٣. (٣) الحديث لم أجده.

هم بهذه الأرض المبدّلة وهي الساهرة، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش، يقال له الحيوان، فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء فوقكم اثني عشر ذراعًا، ثم يأمر الله تعالى الأجساد فتنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم، وكانت كما كانت - يعني في الدنيا - يقول الله عزّ وجلّ: ليحيا حملة العرش، فيحيون، ثم يقول: ليحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل، فيأمر الله عزّ وجلّ إسرافيل فيأخذ الصور، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهّج أرواح المسلمين نورًا والأخرى مظلمة، فيأخذها الله فيلقيها في الصور، ثم يقول لإسرافيل: انفخ نفخة البعث، فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لترجعنّ كل روح إلى جسدها فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد مشي السمّ في اللّديغ ثم تنشقّ عنكم الأرض». قال ﷺ: «وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض، فتخرجون منها شبابًا كأنّكم أبناء ثلاث وثلاثين واللّسان يومئذ بالسريانية سراعاً إلى ربهم ينسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: الآية ٨]، ذلك يوم الخروج، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٧]، فتقفون في موقف حفاة عراة غرلًا - أي غير مختونين - مقدار سبعين عامًا لا ينظر الله إليكم ولا يُقْضَى بينكم، فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دمًا ويعرقون حتى يبلغ منهم الأذقان ويلجمهم فيضجّون ويقولون: من يشفع لنا إلى ربّنا»، كما سيأتي بطوله في حديث الشفاعة إن شاء الله تعالى. وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض، فأجلس جالسًا في قبري فيُفتح لي باب من تحتي حتى أنظر إلى الأرض السابعة وإلى الثّرى، ثم يُفتح لي باب عن يميني حتى أنظر إلى الجنّة ومنازل أصحابي، قال: وتتحرّك الأرض من تحتي فأقول لها: ما لك أيّتها الأرض؟ قالت: إنّ ربّي أمرني أن أُلقي ما في جوفي وأتخلّى كما كنت؛ إذ لا شيء فيَّ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٤]». وفي الحديث: «إنّ الله تعالى يجمع كلّ ما تفرّق من أجساد الناس من بطون السّباع وهبوب الرّياح وحيتان الماء وبطن الأرض، وما أصاب النّيران بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته

الشمس، فإذا جمعها الله تعالى وأكمل كلّ بدن منها ولم يبقَ منها إلّا الأرواح جمع الله الأرواح في الصور، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصُّور، فترجع كلّ روح إلى جسدها بإذن الله». وفي الحديث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر: الآيتان ٢٧، ٢٨]: «**أن ذلك خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجسادها إلى ربّك ـ أي إلى صاحبك ـ كما تقول: ربّ الغلام وربّ الدار**، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩﴾ [الفجر: الآية ٢٩]، **أي: في أجسادهم من مناخرهم**»، كما ورد في الخبر. نسأل الله اللّطف بنا في ذلك اليوم، آمين.

باب يُبعَث كل عبد على ما مات عليه

روى مسلم مرفوعًا: «**يُبْعَث كل عبد على ما مات عليه**»(١)، وروى البخاري وغيره مرفوعًا: «**إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب مَنْ كان فيهم، ثم بُعِثُوا على نيّاتهم**»(٢)، وروى أبو داود أن عبد الله بن عمرو قال: «**يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو؟ فقال: يا عبد الله إن قتلت صابرًا محتسبًا بُعِثْت صابرًا محتسبًا، وإن قُتِلت مُرائيًا مكاثرًا بُعِثت مكاثرًا مرائيًا على أيِّ حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحالة**»(٣)، وفي الحديث: «**من مات سكران فإنه يُعاين ملك الموت سكران ويُعاين منكرًا ونكيرًا سكران، ويُبْعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنّم يسمّى السكران، فيه عين تجري ماء ودمًا لا يكون له طعام ولا شراب إلّا منها**»(٤)، وفي صحيح مسلم: «**أن رجلًا وقصّته ناقته وهو محرم فمات، فقال ﷺ: اغسلوه بماءٍ وسدر وكفّنوه في ثوبيه ولا تمسّوه طيبًا ولا تخمّروا رأسه، فإنه يُبْعث يوم القيامة ملبّيًا**»(٥)، وصحّ عن جابر رضي الله عنه أنّه كان يقول: إنّ المؤذّنين والملبّين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذّن المؤذّن ويلبّي الملبّي.

---

(١) أخرجه مسلم في الجنّة حديث ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في الفتن باب ١٩، ومسلم في الجنّة حديث ٨٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٢٤.

(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٥) أخرجه مسلم في الحج حديث ٩٣، ٩٤، ٩٦.

وفي الحديث مرفوعًا: «**أخبرني جبريل أنّ لا إلـه إلّا الله أنس المؤمن عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره، يا محمّد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون عن رؤوسهم التّراب، هذا قول: لا إلـه إلا الله، وهذا يقول: الحمد لله فيبيضّ وجهه، وهذا ينادي: يا حسرتاه على ما فرّطت في جنب الله مسودّة وجوههم**»[(١)]، وفي الحديث أيضًا مرفوعًا: «**ليس على أهل لا إلـه إلّا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم ولا في منشرهم، كأني بأهل لا إلـه إلّا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم، وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن**»[(٢)]، وروى مسلم وابن ماجه مرفوعًا: «**تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله ودرع من نار، ويدها على رأسها تقول: يا ويلاه**»[(٣)]، وفي رواية: «**وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابًا من نار ودرعًا من لهب النار**»، وفي رواية أخرى: «**النوائح يجعلن يوم القيامة صفّين: صفًّا عن اليمين وصفًّا عن الشمال، ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يؤمر بهنّ إلى النار**». وكان ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقولون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٥]، المعنى: لا يقومون من قبورهم إلّا وأحدهم يجعل معه شيطان يخنقه.

وقال بعض العلماء: إنّ الرِّبا يربو في بطونهم فيثقلهم إذا خرجوا من قبورهم فيقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم، فيجعل الله تعالى هذه العلامة لأكلة الرّبا يعرفون بها في المحشر، نسأل الله العافية والسلامة من كلّ إثم آمين، اللّهمّ آمين.

باب في بعث النبيّ ﷺ من قبره

روى ابن المبارك عن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت: ذكروا رسول الله ﷺ وكعب الأحبار حاضر، فقال كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلّا

(١) الحديث لم أجده.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٨٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٥/١٠.

(٣) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٢٩، وابن ماجه في الجنائز باب ٥١.

وسبعون ألف ملك من الملائكة يحفّون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلّون على النبيّ ﷺ حتى يُمْسُوا، فإذا عرجوا هبط سبعون ألف ملك يحفّون كذلك بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلّون على النبيّ ﷺ، فلا يزالون كذلك سبعون ألفًا بالنهار وسبعون ألفًا باللّيل، فإذا انشقّت الأرض عنه ﷺ خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يوقّرونه ﷺ.

وفي الحديث عن ابن عمر قال: «**خرج رسول الله ﷺ يومًا ويده اليمنى على أبي بكر واليسار على عمر، فقال: هكذا نُبْعث يوم القيامة**»، فنسأل الله تعالى من فضله أن يحشرنا في زمرته يوم القيامة وجميع إخواننا، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في بعث الأيام واللّيالي ويوم الجمعة

رُوِيَ بإسنادٍ صحيح مرفوعًا: «**إنّ الله عزّ وجلّ يبعث الأيام واللّيالي على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة وأهلها يحفّون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها تُضِيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثّقلان ما يطرفون تعجّبًا يدخلون الجنّة لا يخالطهم إلّا المؤذّنون المحتسبون**»[1]. وروى الحافظ أبو نعيم عن أبي عمران الجوني، أنّه كان يقول: ما من ليلة إلّا وهي تنادي: اعملوا فيّ ما استطعتم من خير، فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة. نسأل الله أن يُلْهِمنا وإخواننا الخير إلى الممات آمين.

باب ما جاء أن العبد إذا قام من قبره يتلقّاه الملكان اللّذان كانا معه في الدنيا وعمله

تقدَّم في حديث أبي نعيم مرفوعًا: «**فإذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيّئات، فانتشطا كتابًا معقودًا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد**». وكان ثابت البناني رضي الله عنه يقول: بلغنا أن العبد المؤمن إذا بُعِثَ من قبره يتلقّاه الملكان اللّذان كانا معه في الدُّنيا، فيقولان له:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٧٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٠٩١٠.

لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنّة التي كنت تُوعد، ثمّ يقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصّلت: الآية ٣٠]. ورُوِيَ عن عمرو بن قيس، قال: بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله الصالح في أحسن صورة وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلّا أنّ الله تعالى قد طيّب ريحك وحسّن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني اليوم؛ ثم يتلو: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريَم: الآية ٨٥]، وإنّ الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحًا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلّا أنّ الله قد قبّح صورتك وأنْتن ريحك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك السيِّء طالما ركبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك؛ ثم يتلو: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٣١]، نسأل الله العافية واللّطف بنا وبجميع إخواننا والحاضرين في ذلك اليوم العظيم، والحمد لله ربّ العالمين.

باب أين يكون الناس
يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسمٰوات

روى مسلم: «**أن حبرًا من أحبار اليهود أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسمٰوات؟ فقال رسول الله ﷺ: في الظلمة دون الجسر**»[1]، يعني الصّراط والله أعلم. وفي رواية للترمذي: «**سُئِل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس** ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]؟ **فقال: على الصّراط**»[2]، نسأل الله اللّطف بنا في ذلك اليوم آمين.

باب في الحشر

ومعناه الجمع، والمراد به هنا حشر الناس إلى أرض الشام؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الحشر: الآية

---

(١) أخرجه مسلم في الحيض حديث ٣٤.

(٢) أخرجه مسلم في المنافقين حديث ٢٩، والترمذي حديث ٣١٢١.

٢] لأوّل الحشر، قاله ابن عباس. قال: وذلك أنّ النبيّ ﷺ قال لهم: «**اخرجوا**»، قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى أرض المحشر**». وفي حديث مسلم مرفوعًا: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتُحشر بقيّتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتُمسي معهم حيث أمسوا**»(١)، انتهى. وهذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها، كما قاله القاضي عياض.

قال الإمام القرطبي: وهو الأظهر. وقال ابن عباس: هو في الآخرة وتكون الأبعرة من نجائب الجنّة، والله أعلم. ويؤيّده حديث مسلم مرفوعًا: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبانًا، وصنف على وجوههم**»(٢) الحديث. وفي الحديث أيضًا: «**يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قطّ وأظمأ ما كانوا قطّ وأعرى ما كانوا قطّ وأنصب ما كانوا قطّ، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسا لله كساه الله، ومن عمل لله كفاه**»(٣). وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النّبأ: الآية ١٨]، فأرسل رسول الله ﷺ عينيه بالبكاء، ثم قال: «**يا معاذ لقد سألت عن أمرٍ عظيم تُحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتًا قد ميّزهم الله من جماعة المسلمين وبدّل صورهم؛ فمنهم من هو على صورة القردة، ومنهم من هو على صورة الخنازير، ومنهم منكّسون أرجلهم أعلاهم يُسحبون على وجوههم، ومنهم من يُحشر أعمى يُقاد، ومنهم من يُحشر أصمّ أبكم لا يعقل، ومنهم من يُحشر يمضغ لسانه وهو مدلّى على صدره يسيل القيح من فيه يقذره أهل الجمع، ومنهم من يُحشر مقطّع اليدين والرّجلين، ومنهم من يُحشر مصلوبًا على جذوع نخلٍ من النار، ومنهم من يُحشر أشدّ نتنًا من الجيف، ومنهم من يُحشر وهو لابس جلابيب من قطران؛ فأمّا الذين على صورة القردة، فهم النمّامون. وأمّا الذين على صورة**

(١) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي حديث ٣١٤٢، وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٤.

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٦.

الخنازير، فأَكَلَة السحت والحرام. وأمّا المنكّسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الرِّبا. وأمّا العمي، فهم الذين يجورون في الحكم. وأمّا الصمّ البكم، فهم الذين يعجبون بأعمالهم. وأمّا الذين يمضغون ألسنتهم وهي مُدْلاة على صدورهم، فالقصّاص الذين تُخالف أقوالهم أفعالهم. وأمّا المقطّعة أيديهم وأرجلهم، فهم الذين يُؤذون جيرانهم. وأمّا المصلّبون على جذوعٍ من النار، فالسّعاة بالناس إلى السلطان الجائر. وأمّا الذين هم أشدّ نتنًا من الجِيف، فهم الذين يتمتّعون بالشهوات واللذّات ويمنعون حقّ الله من أموالهم. وأمّا الذين يلبسون الجلابيب من القطران، فهم أهل الكبر والفخر والخيلاء»(١)، انتهى حديث معاذ رضي الله تعالى عنه.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب كشف علوم الآخرة: أنّ الزّناة واللوطيّة تعظم فروجهم يوم القيامة وتسيل صديدًا حتى يتأذّى بهم جيرانهم، وذُكِر في هذا الكتاب أيضًا: أن ضارب العود يُحشر والعود معلّق في عنقه والزامر زامرًا، وشارب الخمر يُحشر والكوز معلّق في عنقه والقدح بيده، وهو أنتن من كلّ جيفة كما أنهم إذا خرجوا من قبورهم واستوى كلّ واحد جالسًا يكونون على صورة ما ماتوا عليه؛ فمنهم العريان، ومنهم المكشوف، ومنهم الأسود، ومنهم الأبيض، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف، ومنهم من يكون كالشمس؛ فلا يزال كلّ واحد منهم مطرقًا رأسه ألف عام، وأطال في ذلك. نسأل الله تعالى أن يلطف بنا وبجميع المسلمين في ذلك اليوم العظيم آمين.

باب في قوله تعالى:

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبَس: الآية ٣٧]

روى مسلم وغيره عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنّها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**»، قلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**يا عائشة الأمر أشدّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض** ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبَس: الآية

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره ١٩/ ١٧٥.

٣٧]»[١]، وتقدّم في الحديث الصحيح: «**أن من كسا لله كساه الله يوم القيامة، ومن سقى لله سقاه الله يوم القيامة**»، فيحمل قوله هنا في الحديث: عُراة على من لم يكس أحدًا في الدنيا، بل رأيت في كتاب كشف علوم الآخرة للإمام الغزالي، أنّه رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**بالغوا في أكفان موتاكم، فإنّ أُمّتي تُحشر بأكفانها وسائر الأُمم عراة حفاة**»[٢] انتهى، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أن العبد إذا عمل المعاصي يقوم مع جميع أهلها نسأل الله أن يسترنا في ذلك اليوم

روى الحافظ أبو نعيم عن عبد الرحمٰن بن هرمز الأعرج رضي الله عنه، أنّه كان يقول: بلغنا أن من عمل المعاصي يقوم مع أهلها حين يقال: يا أهل معصية كذا قوموا، فلا يستطيع العبد أن يتخلّف، فيا فضيحة أمثالنا في ذلك اليوم والناس ينظرون إلينا ونحن نقوم مع أصحاب كل معصية. وقال أبو حازم: دخلت يومًا على الأعرج وهو يخاطب نفسه، ويقول لها: كيف حالك يوم التنادّ يوم يُنادى المنادى يا أهل خطيئة كذا وكذا قوموا فتقومي معهم، ثم ينادى: يا أهل خطيئة كذا وكذا قوموا فتقومي معهم، فأراك تريدين أن تقومي مع كل طائفة من أهل الخطايا.

نسأل الله تعالى من فضله أن يستر فضائحنا يوم تُبْلى السّرائر وتظهر المخبّآت آمين.

باب ذكر ما يلقى الناس في الموقف من الأهوال والشدائد

رُوِيَ في الآثار أن الله تعالى يحشر الأُمم من الجنّ والإنس عُراة أذلّاء قد فزع الملك من ملوك أهل الأرض ولزمهم الذلّ والصِّغار بعد عزّهم وتجبّرهم على عباد الله في أرضه ولم يعملوا بوصيّته سبحانه وتعالى، ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكّسة رؤوسها بعد توحّشها من الخلائق وانفرادها في البراري

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٥٦، والترمذي حديث ٢٤٢٣.

(٢) الحديث لم أجده.

والقِفار، ذليلة خاضعة من هَوْل ذلك اليوم مع أنها ليس عليها خطيئة ولا وقعت في ريبة، ثم وقفت من وراء الخلق كلّهم ذليلة منكسرة لخالقها. ثم أقبلت الشياطين بعد عتوّها خاضعة ذليلة للعرض على الديَّان، فإذا تكاملت عدّة أهل الأرض من إنسها وجنّها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقها وطُمِسَت الشمس والقمر، فأظلمت عليهم الدنيا وصارت سماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها فوق رؤوسهم، والخلق كلّهم ينظرون إلى تلك الأهوال؛ فبينما هم كذلك إذ انشقّت السماء بغلظها فوق رؤوسهم وهي مسيرة خمسمائة عام حتى يقطع سمكها، فيا شدّة هول صوت انشقاقها في أسماع الخلائق ثم تمزّقت وانفطرت من هول ذلك اليوم ثم ذابت حتى صارت كالفضّة المُذابة؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعَارج: الآيتان ٨، ٩]، أي كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف، ثم هبطت الملائكة من حافّتها إلى الأرض بالتقديس لربّها، فتفزع جميع الخلائق من شدّة عظم أجسامهم وهول أصواتهم ومخافة من أن يكونوا أُمروا بأخذ الخلائق إلى النار، ثم يأخذون مصافّهم محدّقين بالخلائق منكّسين رؤوسهم لعظم هول ذلك اليوم ذليلين خاضعين لربّهم، وكذلك ملائكة السماء الثانية وما بعدها إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء التي بعدها في العدد وكبر الأجسام والأصوات، فإذا حضروا كلّهم الموقف واجتمع أهل السمـٰوات السبع وأهل الأرضين السبع زاد حرّ الشمس مقدار حرّها عشر سنين، ثم أُدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوسين ولا ظلّ في ذلك اليوم إلا ظلّ عرش الرحمـٰن، فمن الناس مَنْ يكون في ظلّ العرش، ومنهم من يكون في ضحّ الشمس ـ أي حرّها ـ قد صهرته واشتدّ منها كربه وأقلقته مع شدّة ازدحام الأُمم وتضايقها، ودفع بعضها بعضًا وانقطاع الأعناق من شدّة العطش قد اجتمع عليهم في ذلك الموقف حرّ الشمس ووهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم وفاض العرق منهم على وجه الأرض ثم على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربّهم من السعادة والشقاء؛ فمنهم من يبلغ العرق إلى منكبيه، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يبلغ شحمة أذنيه، ومنهم من قد ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه.

ورُوِيَ عن الضحّاك رضي الله عنه أنّه قال: «**إذا كان يوم القيامة أمر الله سماء الدنيا فتشقّقت بأهلها، فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرها الربّ بالنزول فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومَنْ فيها، ثم يأمر الله أهل السماء التي تليها فينزلون فيكونون صفًّا خلف ذلك الصفّ، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ثم ينزل الملك الأعلى في بهائه وجماله وملكه وبجنبته اليسرى جهنّم فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قطرًا من أقطارها إلّا وجدوا صفوفًا قيامًا من الملائكة؛ فذلك قوله تعالى:** ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٣٣]، **فالسلطان هو العدل؛ فبينما هم كذلك إذ سمعوا المنادي للوقوف للحساب، فأقبلوا إلى الحساب**»، نسأل الله تعالى اللّطف.

وذكر الإمام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة: أنّ الخلائق إذا اجتمعوا في صعيد واحد من الأوّلين والآخرين أمر الله تعالى بملائكة سماء الدنيا، فأحدقت من وراء الخلائق حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم عشر مرّات، ثم أمر بملائكة السماء الثانية أن يحدقوا بهم، فإذا هم مثلهم عشرين مرّة، ثم أمر بملائكة السماء الثالثة أن يحدقوا بهم فإذا هم مثل ملائكة السماء الثانية ثلاثين مرّة، ثم أمر بملائكة السماء الرابعة أن يحدقوا بهم كذلك حلقة واحدة فإذا هم مثلهم أربعين مرّة، ثم أمر بملائكة السماء الخامسة فإذا هم مثل ملائكة الرابعة خمسين مرّة، ثم بملائكة السماء السادسة فإذا هم مثل ملائكة السماء الخامسة ستّين مرّة، ثم بملائكة السماء السابعة فإذا هم مثل السادسة سبعين مرّة حلقة واحدة على جميع من تقدّم من خلق السمٰوات والأرض وتزاحمت الخلائق، فتدافعوا على بعضهم بعضًا حتى يكون فوق القدم ألف قدم حتى يخوض الناس في العراق.

وفي الحديث: «**لو أرسلت السفن في عرق الخلائق في ذلك اليوم لجرت**»، كما جاءت به الأخبار. قال: وربما يكون العرق على بعض المتّقين يسيرًا كالقاعد في الحمام، وربّما يكون عليه بلّة كالعطشان إذا شرب الماء. وكان بعض التابعين رضي الله تعالى عنه يقول: تدنو الشمس يوم القيامة من

الخلائق حتى لو مدّ أحد يده لنالها ويضاعف حرّها على قوم مقدار سبعين مرّة من حرّها الآن أيام الصيف، وكان بعض السلف الصالح يقول: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وذابت الجبال ونشفت الأنهار وصار الملوك في الصغار والذلّ كالذرّ من دوسهم بأقدام الناس، فليس المراد أن حلقهم يكون كهيئة الذرّ كما قد يتوهم إنما هم كالذرّ في مذلّتهم وانخفاض نفوسهم، فعلى قدر ما تكبروا ذلّوا وصغروا.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وفي ذلك اليوم مَنْ كان مِنَ السُعداء ومات له أولاد أطفال يخرجون له بكيزان من كيزان الجنّة فسقونه ماءً باردًا عذبًا صافيًا. وقد رأى بعض الصالحين في منامه أنّ القيامة قد قامت وكأنه في الموقف عطشان والصّبيان والصغار يسقون الناس، قال: فقلت لهم؛ ناولوني شربة، فقال لي واحد منهم: ألك فينا ولد؟ فقلت: لا، قال: ليس لك عندنا نصيب في هذا الماء. قال الغزالي رحمه الله: وأما أهل الصدقات، فيكونون في ذلك اليوم تحت ظلّ صدقاتهم لا يحسّون بحر ذلك اليوم، فلا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقور وجلت قلوب الخلائق وخشعت أبصارهم لعظم نقرته وظنّوا نزول العذاب بهم؛ فبينما هم كذلك إذ برز لهم العرش العظيم تحمله ثمانية أملاك، كما ذكر الله تعالى في كتابه قدر كل ملك مسيرة عشرين ألف سنة ولهم زجل عظيم بالتسبيح لا تطيق العقول سماعه حتى يستقرّ العرش في الأرض البيضاء التي خلقها الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، لاستقرار العرش فيها إذا جاء. وفي ذلك الوقت تطرق الناس رؤوسهم وتشفق البرايا كلّهم من الأهوال وتُرعب أجساد الأنبياء، ويكثر خوف العلماء العاملين وتفزع الأولياء والصدّيقون والشهداء والصالحون من عذاب الله؛ فبينما هم كذلك إذ غشيهم نور حتى يغلب على نور الشمس التي كانوا في حرّها، فلا يزالون يموج بعضهم في بعض ألف عام، هذا والجليل جلّ جلاله لا ينظر إليهم ولا يكلّمهم كلمة واحدة، فحينئذٍ يذهبون إلى آدم عليه السّلام ثم إلى نبيٍّ بعد نبيٍّ يشفع لهم ويعتذر كل واحد عن عدم تقدّم للشفاعة، فلا يزالون كذلك ألف عام حتى ينتهي الأمر إلى سيّدنا محمّد ﷺ، فيقول: «**أنا لها**» كما سيأتي في أبواب الشفاعة إن شاء الله تعالى. وفي ذلك

اليوم تكوّر الشمس وتنكدر النجوم وتمور السماء فوق الخلائق مَوْرًا وتنفطر انفطارًا من عظيم هول ذلك اليوم وتتشقّق بالغمام المنزل عليهم من فوقهم وتكشط السمٰوات وتتنزّل الملائكة تنزيلًا وتقوم الخلائق على أقدامهم من مقدار أربعين عامًا إلى ثلاثمائة عام في الظلمة التي دون الصّراط المسمّى في الحديث بالجسر، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: تزدحم الخلائق يوم القيامة كازدحام النشّاب في الجعبة، والسعيد في ذلك اليوم هو من يجد لقدمه موضعًا يضعه عليه، فإذا دُعِيَ الخلائق إلى الميزان كادت عقولهم تطير من الخوف؛ فمن ثَقُلت موازينه نادَ منادٍ: ألا إنّ فلان بن فلان ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا. ومن خفَّت موازينه، فإن المسلمين والمؤمنين من سائر الأُمم في الجنان متفاوتون في المراتب والمنازل. وأمّا الكفار، فلا تُقام لهم موازين مطلقًا.

وفي حديث مسلم مرفوعًا: «**إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعًا، وإنه يبلغ إلى أفواه الناس**»[1]، أي حتى يلجمهم كما في رواية أخرى. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطفّفِين: الآية ٦]، قال: يقومون في العرق في ذلك اليوم ألف عام. وروى الوائليّ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**كيف بكم إذا جمعكم الله تعالى كالنشّاب في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم**»[2]. وذكر أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: أنّ جبريل عليه السلام خوّف رسول الله ﷺ من يوم القيامة حتى أبكاه، فقال: «**يا جبريل ألم يغفر الله لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخّر؟ فقال: يا محمد، لتشهدنّ من هول ذلك اليوم ما يُنسيك المغفرة**» انتهى.

قال العلماء: وإذا عرق الخلائق في ذلك اليوم من شدّة حرّ الشمس كان كل واحد غارقًا في عرقه لا يتعدّاه إلى من هو بجانبه، كما لا يمشي أحد في نور أحد يوم القيامة، إنَّما نور كل إنسان على قدر نفسه، وهذا من القدرة التي تكون في زمن الآيات يوم القيامة. ونظير ذلك ما يقع في الدنيا يكون المؤمن

---

(١) أخرجه مسلم في الجنّة حديث ٦١.

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٧٩٢٨.

يمشي في نور إيمانه، والكافر بجانبه في ظلمة كفره لا يناله من نور الإيمان شيء، وكذلك البصير يمشي مع الأعمى ملاصقًا لا يناله من نور بصره شيء، فافهم. فإن قال قائل: فمن أين يحصل ذلك العرق على كلّ من عرق في ذلك اليوم؟ فالجواب أنه يحصل عليه من عدم إخراجه في دار الدُّنيا في مرضاة الله عزّ وجلّ من جهاد وحجّ وصيام وقيام وتردّد في قضاء حوائج المسلمين وحفر الآبار والقبور لمصالح العباد ونحو ذلك، فإذا كان يوم القيامة استخرجه الله منه في مواقف القيامة بواسطة ما يقع له من الحياء والخجل أو من الخوف والوجل، وسمعت سيدي عليًا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: إنّما تعظم الأهوال على العبد يوم القيامة لأجل تفريطة في عمل الخيرات هنا، انتهى. وكان الإمام الغزالي يقول: مَنْ سَلِمِ مِنَ الجهل والغرور علم أن تعب العرق وتحمل مصائب الدنيا أهون أمرًا وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار يوم القيامة، انتهى. وكان الإمام أبو حازم رضي الله تعالى عنه يقول: لو نادى مُنادٍ من السماء: ألا إنّ فلان بن فلان أمِنَ مِنْ أهوال يوم القيامة، لكان الواجب عليه الخوف من دخول النار؛ فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا في ذلك اليوم ويحنّن علينا مَنْ يأخذ بيدنا في تلك الشّدائد آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما ينجّي العبد من أهوال يوم القيامة ويخفّف عنه كربه

ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»[١]. وأخرج الترمذي في نوادر الأُصول عن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: «**خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة، فقال: إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلًا من أُمّتي جاءه ملك ليقبض روحه، فجاءه بدواء يداويه فردّه عنه ورأيت رجلًا من أُمّتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلًا من أُمّتي قد**

(١) أخرجه البخاري في المظالم باب ٣، ومسلم في البر حديث ٥٩، والذكر حديث ٣٨.

احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلّصه من بينهم»، وفي رواية: «من أيديهم. ورأيت رجلًا من أُمّتي يلهث عطشًا كلما ورد حوضًا مُنِع منه، فخلّصته من أيديهم. ورأيت رجلًا من أُمّتي والنبيّون حلقًا حلقًا، كلَّما دنا من حلقة طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة فأجلسه إلى جنبي. ورأيت رجلًا من أُمّتي بين يديه ظلمة ومن تحته ظلمة وعن شماله ظلمة، فبينما هو متحيّر فيها إذ جاءته حجّته وعُمْرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلًا من أُمّتي يكلّم المؤمنين فلا يكلّمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معاشر المؤمنين كلّموه، فكلَّموه. ورأيت رجلًا من أُمّتي يتّقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت سترًا على وجهه وظلّاً على رأسه. ورأيت رجلًا من أُمّتي قد أخذته الزبانية من كلّ مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة. ورأيت رجلًا من أُمّتي جاثيًا على ركبتيه بينه وبين ربّه حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على ربّه. ورأيت رجلًا من أُمّتي قد خفّ ميزانه، فجاءه أفراطه فثَقُلت ميزانه. ورأيت رجلًا من أُمّتي قائمًا على شفير جهنّم، فجاءه خوفه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلًا من أُمّتي قد هوى للنار، فجاءته دموعه التي كان يبكيها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار. ورأيت رجلًا من أُمّتي قائمًا على الصّراط يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا ويتعلّق أحيانًا، فجاءته شهادة أنْ لا إلـه إلّا الله، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنّة»[(١)]. انتهى.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل من أُمّتي على الصّراط يمشي تارة ويعثر تارة ويزحف تارة ويحبو تارة، إذ جاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده حتى أجازته على الصّراط»، وفي رواية أخرى: «بينما رجل من أُمّتي عند الميزان قد خفّت ميزانه؛ إذ جاءته بطاقة من الله عزّ وجلّ ففتحها، فإذا فيها صلاته عليّ فثقّلت بها ميزانه ودخل الجنّة»[(٢)]. اهـ. وروى مسلم مرفوعاً: «مَنْ سرّه أن ينجيه الله من كُرَب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه». وفي رواية لمسلم مرفوعًا: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظلّه الله في ظلّه»[(٣)]. وكان

(١) أخرجه بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧٩.

(٢) الحديث لم أجده. (٣) أخرجه مسلم في الزهد حديث ٧٤.

أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: من أنظر مديونًا، فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطالبه. وفي الحديث مرفوعًا: «**من كسا عاريًا أو آوى مسافرًا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة**»[١]، وأخرج الطبراني مرفوعًا: «**من لقّم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف في القيامة**»[٢]، وروى الحافظ أبو نعيم مرفوعًا: «**إنّ من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها صلاة ولا صيام ولا حجّ ولا عمرة، قالوا: وما يكفرها يا رسول الله؟ قال: الهموم في طلب المعيشة**»[٣]، فاعلموا ذلك أيّها الإخوان وحصلوا الزّاد قبل يوم المعاد، وافعلوا هذه الخصال لتخفّف عنكم الأهوال، والله يتولّى هداكم وهو يتولّى الصالحين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في تطاير الصحف يوم القيامة عند العرض على الحساب وإعطاء الكتب باليمين أو بالشمال وفي أوّل من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمّة وما يقبل منهم من الأعمال وغير ذلك من دعائهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وبيان قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسراء: الآية ٧١]،

وما جاء في تعظيم أجساد أهل الجنّة وأهل النار، وما جاء في قوله ﷺ: «من نوقش الحساب عُذِّب»

روى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه كان يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وتهيّئوا للعرض الأكبر، وإنما يخفّف الحساب على مَنْ حاسب نفسه في الدنيا. وكان عطاء الخراسانيّ رضي الله عنه يقول: بلغنا أن العبد الموحّد يحاسب يوم القيامة بحضرة معارفه ليكون أشدّ عليه، ذكره الحافظ أبو نعيم. وروى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حُوسِب يوم القيامة عُذِّب**»، فقلت: يا رسول الله،

---

(١) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٣١٤٠.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢٨٧.

أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: الآيتان ٧، ٨]، فقال: «**ليس ذلك الحساب، إنّما ذلك العرض من نُوقش الحساب يوم القيامة عُذّب**»[١]. وروى الترمذي مرفوعًا: «**يُؤْتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدَّة الحساب ما يتمنّى معه أنّه لم يقض بين اثنين في عمره مرّة قط**»[٢]، وروى الترمذي أيضًا مرفوعًا: «**تُعْرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان، فجدال ومعاذير؛ فعند ذلك تتطاير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وهي العرضة الثانية**»[٣]، كما في رواية.

قال العلماء: والجدال خاصّ بأهل الأهواء، فيجادل أحدهم حتى لا يعرض على ربّه، ويظنّون أنهم إذا جادلوا نجوا وقامت حجّتهم. وأمّا المعاذير، فهي لله تعالى ومن الله يعتذر الخلق إلى الله، فيتقبّل ممّن شاء ويردّ على مَنْ شاء ويعتذر الحقّ جلّ وعلا إلى آدم عليه السلام وإلى نبيّنا وغيرهما من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام ويقيم حجّته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم إلى النار، فهو سبحانه وتعالى يحبّ أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرًا حتى لا تأخذهم الحيرة؛ ولذلك ورد: «**لا أحد أحبّ إليه المدح من الله، ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله**»[٤]. وقال بعض العلماء: إن العرضة الثالثة خاصة بالمؤمنين فيخلو بهم ربّهم ويعاتبهم في تلك الخلوات حتى يذوب أحدهم من الحياء ويرفضّ عرقًا بين يديه ثم يغفر لهم ويرضى عنهم، انتهى. وبلغنا أن شخصًا تاجرًا وقفت عليه امرأة تشتري لها إزارًا، فكلّمته فتحرّكت بشرته عليها، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وسأله الله عن ذلك فسقط لحم وجهه من الحياء؛ فإن قيل: أين مقرّ هذه الكتب التي تتطاير قبل أن تتطاير؟ فالجواب: روى أبو جعفر العقيلي مرفوعًا أنّ محلّها تحت العرش، فإذا كان يوم الموقف

---

(١) أخرجه البخاري في العلم باب ٣٥، وتفسير سورة ٨٤، باب ١، والرقاق باب ٤٩، ومسلم في الجنّة حديث ٧٩. ٨٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧٥، والترمذي في القيامة باب ٤.

(٣) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٤، وابن ماجه في الزهد باب ٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ٢٠، ومسلم في التوبة حديث ٣٢، ٣٣.

بعث الله تعالى ريحًا فتطيرها بالأيمان والشمائل، وقد خطّ فيها: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٤].

وروى أبو داود[1] أنّ عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: يا رسول الله هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة؟ فقال: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا، عند الميزان حتى يعلم أيخفّ ميزانه أم يُثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أيقع كتابه بيمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصّراط إذا وُضِع بين يدي جهنم حتى يجوز**». وروى ابن ثابت الخطيب: «**أن أوّل من يعطي كتابه بيمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس، قيل له: فأين أبو بكر يا رسول الله، قال: هيهات زفّته الملائكة إلى الجنان**». وروى الحافظ عبد الرحمٰن بن منده مرفوعًا: «**إنّ الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي أنا الله لا إلـٰه إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين:** ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: الآية ٦٨]، **أحضروا حجّتكم ويسّروا جوابًا، فأنتم اليوم مسؤولون محاسبون. يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفًا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب**». وروى ابن عطية: «**أنه يؤتى بالرجل يوم القيامة وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول له ربّ العزّة جلَّ وعلا: صلّيت يوم كذا وكذا، ليقال: فلان صلّى أنا الله لا إلـٰه إلا أنا لي الدِّين الخالص صمت يوم كذا وكذا ليقال: فلان صائم أنا الله لا إلـٰه إلا أنا لي الدّين الخالص تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: فلان تصدّق أنا الله لا إلـٰه إلا أنا لي الدين الخالص، فلا يزال الدين الخالص تصدّقت يوم كذا وكذا ليقال: فلان تصدّق، أنا الله لا إلـٰه إلا أنا لي الدين الخالص، فلا يزال الحقّ جلّ وعلا يجيء بشيء بعد شيء حتى لا يبقى في صحيفته شيء من الحسنات، فيقول له ملكاه: ألغير الله كنت تعمل؟**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأي، فهو مرفوع وقد رفع معناه الدارقطني في سننه؛ فرُوِيَ عن أنس بن مالك رضي

(١) كتاب السنّة باب ٢٥.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتُنْصب بين يدي الربّ جلّ وعلا، فيقول الله عزّ وجلّ: ألقوا هذا واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: وعزّتك ما رأينا إلا خيرًا، فيقول الله عزّ وجلّ وهو أعلم: إنْ هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما ابْتُغِي به وجهي**»[1]، وأخرجه مسلم أيضًا.

وروى الترمذي[2] مرفوعًا: «**في قول الله عزّ وجلّ:** ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٧١]، **قال: يُدْعى أحدكم فيُعطى كتابه بيمينه ويمدّ له في جسمه ستّون ذراعًا ويبيضّ وجهه، ويُجْعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون: اللّهمّ ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم، ويقول لهم: أبشروا لكل واحد منكم مثل هذا. قال: وأمّا الكافر فيسودّ وجهه ويمدّ في جسمه ستّون ذراعًا على صورة آدم ويلبس تاجًا من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شرّ هذا اليوم، اللّهمّ لا تأتنا بهذا فيأتيهم فيقولون: اللّهمّ اخْزِهِ، فيقول: أبعدكم الله إن لكل واحد منكم مثل هذا**».

ورُوِيَ أن عيسى عليه الصّلاة والسّلام مرّ بقبر فوكزه برجله، وقال: يا صاحب القبر قم بإذن الله، فقام رجل من القبر وقال: يا روح الله ما الذي أردت بي، فإني لقائم في الحساب منذ سبعين سنة حتى سمعت الصَّيحة أن أجب روح الله، فقال عيسى: لقد كنت كثير الذنوب والخطايا، فما كان عملك؟ فقال: يا روح الله كنت حطّابًا أحمل الحطب على رأسي وآكل حلالًا وأتصدّق، فقال عيسى: سبحان الله حطّاب يحمل الحطب على رأسه ويأكل حلالًا ويتصدّق وهو قائم في الحساب منذ سبعين عامًا! ثم سأله عيسى عمّا قال له ربّه في الحساب؟ فقال: يا روح الله كان من توبيخ ربّي لي أن قال: أتذكر يوم أكراك عبدي فلان لتحمل له حزمة حطب، فأخذت منه عودًا وتخلّلت به وألقيته في غير مكانه من الحزمة استهانة منك بي، وأنت تعلم أني أنا الله المطّلع على فعلك ونيّتك؟ انتهى.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه ١/ ٥١.

(٢) كتاب التفسير، تفسير سورة ١٧، باب ٧.

باب منه في قوله تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]

وإنما خصّ العنق إشارة لملازمة طائر كل إنسان له كلزوم القلادة للعنق، وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول: كل آدمي في عنقه قلادة يُكتب فيها نسخة أعماله، فإذا مات طُوِيَت، فإذا بُعِثَ نُشِرت، وقيل له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١٤﴾ [الإسراء: الآية ١٤]. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: طائر كل إنسان عمله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣]. وكان الحسن البصريّ رحمه الله يقول: يقرأ الإنسان كتابه سواء كان قارئًا أو أُمِّيًا. وكان العدويّ رحمه الله يقول: إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحيفة التي يؤتون بها بعد البعث حُوسِبوا بها، ثم تلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨﴾ [الانشقاق: الآيتان ٧، ٨]؛ فدلّ على أن المحاسبة تكون بعد إيتاء الكتاب، لأن الناس إذا بُعِثُوا لا يكونون ذاكرين شيئًا من أعمالهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: الآية ٦]، فإذا بُعِثُوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله جاء وقت الحساب وتطاير الصحف بالأيمان والشمائل ووراء الظهور، فأمّا الأشقياء فيعطون كتابهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم، واليمين لأهل السعادة فقط، وأنشدوا:

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
واقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لـمّا قرأت ولم تُنْكر قراءته ... إقرارُ مَنْ عَرِف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غدوا في النار والتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكّانا

فتأمّلوا يا إخواني في نفوسكم إذا تطايرت كتبكم عن أيمانكم وعن شمائلكم ونصبت موازين أعمالكم، ونُودِيَ أحدكم باسمه على رؤوس الخلائق، وقيل: أين فلان بن فلان يذهب للعرض على الديَّان، هذا والربّ عزّ وجلّ في ذلك اليوم غضبان على كلّ مَنْ خالف أمره من أهل العصيان،

فإذا جاء أحدكم للعرض أخذته الملائكة بشدّة وانتهار، وقالوا له: أنت الذي كنت تخالف أمر الجبّار، ويسدل على معصيتك الأستار، فهناك ترتعد الفرائص وتضطرّب الجوارح وتتغيّر الألوان وتطير القلوب من هيبة الله عزّ وجلّ، ويصير الملك العظيم من الملائكة يرعد كالقصبة في الريح مع أنّه لا ذنب له، ولو أنّه أراد أن يبلع السمٰوات والأرض لفعل. وتأمّل نفسك يا أخي وأنت مسحوب وأهل الموقف محدقون إليك بأبصارهم؛ لا سيما مَنْ كان يعتقد فيك الصّلاح في دار الدنيا ينظرون إلى ما يقع لك حين تعدّ عليك سيّئاتك حين تكون أنت القارىء لصحيفة أعمالك، فإنها تُخبر الناس بجميع ما عملته وأخفيته عن الناس لا تغادر صغيرة ولا كبيرة كتمتها وأخفيتها وأسْرَرْتها إلّا وهي فيها تقرؤها بلسانٍ كليلٍ وقلبٍ منكسر، حتى تقول الملائكة لك: أُفٍّ لك من عبدٍ أبكل هذه القبائح كنت تجاهر ربّك، فكم من بليّة كنت نسيتها ذكّرتك الصحيفة بها؟ وكم من سيّئة قد كنت أخفيتها أظهرتها لك وكشفتها؟ وكم من عملٍ صالح عندك ظننت فيه الإخلاص والقبول، فبيَّنت الصحيفة أنه رياء ونفاق فأُحْبِط؟ فيا طول حزن أحدنا وبكائه في ذلك اليوم على ما فرطنا في جنب الله.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: ومِنَ الناس مَنْ مات على المعاصي والشرور والأذى للناس من الجيران والمعارف، فيخرج له كتاب أسود بخطٍّ أسود عكس كتاب أهل الخير والمعروف، فإن صحيفة أحدهم بيضاء مكتوبة بخطٍّ أبيض، قال: فيقرأ هذا العاصي كتابه، فيجد في ظاهره الحسنات وباطنه السيّئات، فيبدأ بقراءة الحسنات، ويظنّ أنه سينجو فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه أن حسناته رُدَّت عليه لعدم الإخلاص فيها، فيسودّ وجهه ويعلوه الحزن والخوط والقنوط من الخير، ثم يرجع فيقرأ حسناته المردودة ثانيًا فلا يزداد إلا همًّا وغمًّا ولا يزاد وجهه إلا سوادًا، وبعضهم يجد سيّئاته في آخر كتابه مضاعفة العذاب عليه، وهم الذين كانوا على خيرٍ أوّل أعمارهم ثم غيّروا وبدَّلوا وارتكبوا الفواحش واستهانوا بنظر الله إليهم، وقيل لأحدهم: يا فلان تُبْ إلى الله، فقال: ادخل الجنّة وأقفل بابها وراءك، ومثل هذا من أشقاه الله يسودّ وجهه وتزرقّ عيناه ويُكسى سرابيل القطران.

ورُوِيَ عن ابن عباس أنّه قال: إنّ الذي يعطي كتابه بشماله في ذلك اليوم ييأس من حصول السّعادة، وأمّا الذي يعطي كتابه من وراء ظهره، فإنه تُخلع كتفه اليسرى وتُجْعل يده خلفه. وقال مجاهد: إنه يحوّل وجهه موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك، فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم وما يعرف أحدنا بماذا يختم له. نأل الله ببركة سيّدنا محمّد ﷺ أن يلطف بنا في جميع ما قدّر علينا وأن يميتنا على الإسلام آمين.

ورُوِيَ مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٦]: «**أنّها نزلت في حقّ أهل السنّة وأهل البدعة، فتبيضّ وجوه أهل السنّة وتسودّ وجوه أهل البدعة**»، وقال الإمام مالك: أهل البدعة هم أهل الأهواء المخالفة لما عليه الأئمّة، انتهى.

فعليكم أيّها الإخوان بملائمة السنّة وجالسوا العلماء والصالحين ليُعَرِّفوكم بميزان أعمالكم وتطهّروا من ذنوبكم بالتوبة قبل الموت وتوسّلوا إلى الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه أن يبيضّ وجوهكم باتّباع السنّة في الدنيا لتكون بيضاء في الآخرة، والحمد لله ربّ العالمين.

باب منه في قوله تعالى:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: الآية ٤٩]

رُوِيَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: حدِّثني بشيءٍ من حديث الآخرة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رُفِع اللّوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلّا وهو ينظر إلى أعماله مسطورة فيه، ثم يُؤْتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنتشر حول العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، قال كعب الأحبار: ثم يُدْعى المؤمن فيُعْطى كتابه بيمينه ويُحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا. وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: يا ويلتنا ضجّوا من الصغائر قبل الكبائر. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الصغيرة هي التبسّم، والكبيرة هي الضحك، انتهى.

وفي الحديث الصحيح مرفوعًا: «**إيَّاكم ومحقّرات الذنوب، فإنه متى يؤاخذ بها صاحبها تُهْلكه**»(١). وقال جماعة من العلماء: إن الذنوب كلّها كبائر إذا نظرنا إلى عَظَمة من عصينا أمره، وإنما جاء في الكتاب والسنّة ذكر الصغائر بالنسبة إلى قلوب العبيد من عظمتها تارة وتحقيرها أخرى. وقالوا: لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلى عظمة من عَصَيْت أمره سبحانه وتعالى، فاعلموا ذلك أيّها الإخوان وأمسوا تائبين وأصبحوا تائبين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب بيان ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة وكيفية السؤال

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التّكاثر: الآية ٨].

وروى الترمذي مرفوعًا: «**أوّل ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم نصحّ لك جسمك ونَرْوِك من الماء البارد؟**»(٢)، وفي رواية: «**إنَّ النعيم هو الأسودان: التمر والماء**»(٣). وروى أبو نعيم مرفوعًا: «**ما من عبد خطا خطوة إلا يُسأل عنها ما أراد بها**»(٤). وروى مسلم مرفوعًا: «**لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فِيمَ أفناه، وعن جسده فِيمَ أبلاه، وعن علمه فِيمَ عَمِل به، وعن ماله مِنْ أين اكتسبه**»(٥)، زاد في رواية: «**وفيم أنفقه**». ورُوِيَ عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة يأتي الله تعالى بعبدٍ من عبيده فيُوقفه بين يديه ويسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله وعِلْمه**»(٦). وروى مسلم مرفوعًا: «**يُدْني الله تعالى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه ـ أي ستره ـ وكرمه وملاطفته فيُقرِّره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا في يوم كذا؟ فيقول: أعرف، فيقول الله عزّ وجلّ: أنا**

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٢، وابن ماجه في الزهد باب ٢٩.
(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة ١٠٢، باب ٥.
(٣) أخرجه البخاري في الرقاق باب ١٧، والأطعمة باب ٦، ٤١، ومسلم في الزهد حديث ٢٨، ٣٠، ٣١.
(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٥) أخرجه الترمذي في القيامة باب ١.
(٦) الحديث لم أجده.

سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفة حسناته. وأمّا الكافر والمنافق، فيُنادي بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: الآية ١٨]»[١].

وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «**إذا كان يوم القيامة يختلي الله عزّ وجلّ بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبًا ذنبًا ثم يغفر له لا يطّلع على ذلك ملكًا مقرّبًا ولا نبيًا مرسلًا، ويستر عليه من ذنوبه ما يكره أن يوقف عليه، ثم يقول لسيئاته: كوني حسنات**»، ويقول عليّ رضي الله عنه: سمعت ذلك من رسول الله ﷺ. وروى مسلم ذلك بمعناه. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: يُدْني الله تعالى العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه ويستره عن الخلائق كلّها، ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر يقول له: يا ابن آدم اقرأ كتابك، قال: فيمرّ بالحسنة فيبيضّ بها وجهه، ويمرّ بالسيّئة فيسودّ بها وجهه، فيقول الله عزّ وجلّ: أنا أعرف بها منك قد غرتها لك؛ فلا يزال يسجد بين يديّ الله تعالى إذا قُبلت له حسنة أو غُفِرَت له سيّئة، ولا يرى الخلائق منه إلا ذلك السجود، حتى إن الخلائق يُنادي بعضهم بعضًا: طوبى لهذا العبد الذي لم يعص ربّه قط، ولا يدرون ماذا لَقِيَ فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ حين أوقفه بين يديه، انتهى. ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأي، فهو في حكم المرفوع إن شاء الله تعالى.

وروى الحافظ أبو نعيم عن الإمام عبد الرحمٰن الأوزاعي رحمه الله تعالى، أنّه كان يقول: قد يغفر الله تعالى الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يُوقف العبد عليها يوم القيامة، وإنْ تاب منها. وقال غيره: إنما ذلك في ذنوب تاب منها قبل موته، والله أعلم.

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعًا أنّه قال: «**ما ستر الله على عبدٍ ذنوبًا في الدنيا إلا سترها عليه في الآخرة**»[٢]، ورواه غيره أيضًا. وفي صحيح مسلم مرفوعًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**من ستر على مسلم عورته في الدنيا ستر الله عورته يوم القيامة**»[٣]، نسأل الله أن يلطف بنا، ويُلْهِمنا فعل الخيرات وترك المنكرات حتى نلقاه آمنين آمين.

---

(١) أخرجه مسلم في التوبة حديث ٥٢. (٢) أخرجه مسلم في البر حديث ٧١.

(٣) أخرجه مسلم في البر حديث ٥٨، ٧٢.

باب ما جاء أنّ الله تعالى يكلّم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

وذلك لأنه كان يناجي ربّه في الدنيا بحكم الإيمان، فأكرمه الله تعالى بمناجاته في الآخرة على الكشف والشهود؛ فيا سرور أهل الخير بذلك، ويا حزن أهل الشرّ حين يقع لهم التوبيخ والتقريع. وروى البخاري والترمذي مرفوعًا: «**ما منكم من أحد إلا سيكلّمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتّقوا النار ولو بشقّ تمرة**»[١]، وفي رواية: «**ولو بكلمة طيّبة**».

قال العلماء: وقوله ﷺ: «**ما منكم من أحد**» خطاب للمؤمنين، فإن الكافرين لا يكلّمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم، كما وردت به السنّة، فهو مخصوص بالمؤمنين والله أعلم.

فتفكّروا أيّها الإخوان في عظيم جناياتكم إذا ذكّرتم ذنوبكم شفاهًا جوابًا لسؤال ربّكم إذا قال لأحدكم: يا عبدي أمَا استحيت مني حين بارزتني بالقبائح، فليتك جعلتني كآحاد العباد الذين كنت تستحي منهم حال عصيانك، ألم أكن رقيبًا على عينيك حين تنظر بهما إلى ما لا يحلّ لك؟ ألم أكن رقيبًا على أُذنيك حين سمعت بهما ما لا يحلّ لك؟ ألم أكن رقيبًا على لسانك حين تكلّمت به في مالا يحلّ لك؟ ألم أكن رقيبًا على فرجك حين زنيت به؟ وهكذا في جميع جوارحكم الظاهرة والباطنة لا بدّ من سؤال العبد إذا حصلت المناقشة، فإن اعترف ذاب لحم وجهه من الخجل والحياء من الله، وإن أنكر وشهدت عليه الجوارح بما فعلت اشتدّ عليه الحال أكثر وأكثر، فنعوذ بالله من الفضيحة على رؤوس الأشهاد. والعاقل مَنْ أكثر في هذه الدار من الاستغفار، فإنه يُطفىء غضب الجبار، بل لو استغفر العبد بقيّة عمره من ذنبٍ واحد كان قليلًا، فكيف بمن لا يحصر ذنوبه ديوان مباشر؟ فاعلموا ذلك أيّها الإخوان وتداركوا أنفسكم

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٤٩، ومسلم في الزكاة حديث ٦٧، والترمذي في القيامة باب ١.

بالاستغفار، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٣]، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في القصاص يوم القيامة لمن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينتصفوا منه

روى مسلم مرفوعًا: «**لتؤذنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١]. وروى البخاري مرفوعًا: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلّل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إنْ كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإنْ لم يكن له حسنات أُخِذ من سيّئات صاحبه فتُحْمل عليه**»[٢]. وروى مسلم مرفوعًا: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع، قال: «**إنّ المفلس مِنْ أُمّتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرِحَت عليه ثم طُرِح في النار**»[٣]. ورُوِيَ مرفوعًا: «**من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته يوم القيامة ليس ثمّ دينار ولا درهم**»[٤]. ورُوِيَ مرفوعًا: «**يحشر الله العباد ـ وأومأ بيده إلى الشام ـ فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد ومن قَرُب: أنا الملك الديَّان، فلا ينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اللّطمة، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنّة عليه مظلمة حتى اللطمة**»، فقالوا: يا رسول الله إنما نأتي الله حفاة عراة؟ فقال: «**بالحسنات والسيّئات**»[٥].

وكان الربيع بن خيثم رضي الله عنه يقول: إن أهل الدين يوم القيامة أشدّ تقاضيًا له منكم في الدنيا يحبس أحدكم لهم حتى يأخذوا منه حقوقهم، فيقول

---

(١) أخرجه مسلم في البر حديث ٦١.
(٢) أخرجه البخاري في المظالم باب ١٠، والرقاق باب ٤٨.
(٣) أخرجه مسلم في البر حديث ٦٠.
(٤) أخرجه ابن ماجه حديث ٢٤١٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥٤٧٤.
(٥) أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١/ ١٧٤.

المديون: يا ربّ ألست تراني عريانًا حافيًا؟ فيقول تعالى: خذوا من حسناته بقدر الذي لكم، فإن لم تكن له حسنات قال: زيدوا عليه من سيّئاتكم، وفي الحديث مرفوعًا: «**صاحب الدَّيْن مأسور يوم القيامة بالدَّيْن**»[١]. وفي الحديث: «**يقول الله عزّ وجلّ للملائكة: خذوا من أعمال المديون الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر مظلمته، فإن كان المديون وليًا لله عزّ وجلّ وفَضُل من حسناته مثقال حبّة من خردل ضاعفها الحقّ تعالى له حتى يُدْخله بها الجنّة**»، ثمّ قرأ ﷺ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النّساء: الآية ٤٠]»[٢].

وإن كان المديون عبدًا شقيًّا، قالت الملائكة: يا ربّ قد فَنِيَت حسناته وبقي عليه مطالبون، قال الله عزّ وجلّ للملائكة: «**خذوا من أعمالهم فأضيفوها إلى سيّئاته، وصكّوا له صكًّا إلى النار**». وفي الحديث أيضًا مرفوعًا: «**إنه ليكون للوالدين على ولدهما دَيْن، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول: أنا ولدكما، فيودّان ويتمنّيان لو كان أكثر من ذلك**»[٣]. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «**بلغنا أن الرجل يتعلّق بالرجل يوم القيامة، وهو لا يعرفه فيقول: ما لك وما بيني وبينك معرفة ولا معاملة؟ فيقول: إنك كنت تراني على المنكر والخطايا، فلا تنهاني**»، فإن قال أحد من ضعفاء العقول: كيف تُوضع سيّئات العبد على ظهر مَنْ لم يعملها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤]؟ فالجواب: أنّ الله تعالى هو صاحب الأحكام الشرعيّة، فله أن يضعها حيث شاء، وقد قال الله تعالى في آيةٍ أُخرى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالًا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٣]؛ فإيّاكم والاعتراض على شيءٍ من أحكام ربّكم التي حكم بها، والحمد لله ربّ العالمين.

وتقدَّم قول السيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيّها الناس حاسبوا أنفسكم على أعمالكم قبل أن تُحاسبوا وزِنُوها قبل أن تُوزَن عليكم.

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٢٩.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٥.

قال العلماء رضي الله عنهم: حساب العبد نفسه أن يتوب من كل معصية فعلها قبل موته ويردّ جميع المظالم إلى أهلها ويستحلّ كل من وقع في عرضه حتى تطيب نفسه، فإذا حاسب نفسه كذلك دخل الجنّة بغير حساب إن شاء الله تعالى؛ إذ الحساب لا يكون يوم القيامة إلّا على ما فرّط العبد فيه بترك المحاسبة. وكان الإمام الغزالي رحمه الله يقول: كم من متعلّق بأخيه يوم القيامة يقول: يا ربّ قد ذكرني في غيبتي بما يسوءني، وكم ممن يقول: يا ربّ قد جاورني فأساء جواري وآذاني بلساني وآذى أولادي بشمّ رائحة طعامه ولم يطعمهم منه شيئًا، وكم ممّن يتعلّق بأخيه يقول: قد عاملتني فغششتني وأخفيت عني عيب متاعك حين بعتني، وكم ممن يتعلق بأخيه ويقول: إنك رأتني في اليوم الفلاني محتاجًا وأنت غنيّ فلم تعطني حاجتي، وكم ممّن يتعلق بأخيه يقول: يا ربّ قد استحقرني ورأى نفسه خيرًا مني، وكم ممّن قول لأخيه: قد رأيتني مظلومًا وكنت قادرًا على رفع الظلم عني فلم تفعل؛ فلا يزال المظلومون يتعلقون بمن ظلمهم من إخوانهم، والظالم بين أيديهم ذليل خاضع من هول ذلك اليوم مبهوت متحيّر من كثرة أرباب الحقوق عليه محبوس عن دخول الجنّة حتى ينتصفوا كلّهم منه، وهناك ينادي المنادي: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: الآية ١٧].

وسمعت سيدي عليًا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: العاقل مَنْ أكثر مِنَ الأعمال الصالحة في هذه الدار وأخلص فيها ليصل إلى الدّار الآخرة ويُعطيها لأصحاب الحقوق التي عليه حتى يرضوا، وإلّا فلا بدّ من طرح سيّئات المظلومين على ظهر الظالم كما ثبت في الأحاديث، وكان يقول: ربما أكثر العبد من الأعمال الصالحة حتى صارت في عينه كالجبال وظنّ النجاة بها، فنُوقِش فيها فطلعت كلّها مخلوطة بالرياء فأحبطت، فكان حكمه حكم مَنْ فتح مطلبًا وأخذ منه جرابًا يعتقده ذهبًا ثم أتى به إلى داره ففتحه، فإذا هو كله خنفس أو عذرة، نسأل الله العافية.

وذكر الإمام القشيريّ رحمه الله في شرحه للاسم المقسط الجامع: أنّه لو كان على العبد دانق وله عمل سبعين نبيًا ما دخل الجنّة حتى يؤدّي ذلك الدانق، وذكر أنه يُعطى لصاحب الدانق في دانقه يوم القيامة سبعمائة صلاة

مقبولة، فلا يرضيه ذلك. وكان الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول: لو تأمّل العبد الصائم القائم في عبادته طول اللّيل والنهار ورآها بعين الإنصاف دون عين الاغترار لوجد ثوابها كلّها قد لا يرضى بها واحد يوم القيامة في مرور غيبة على خاطره إذا حكمه الله تعالى فيه؛ لا سيما الأعداء والحاسدون، وكان رحمه الله يقول: ربما يأتي العبد الصائم القائم في عبادته طول اللّيل والنهار العالم العامل يوم القيامة، فلا يجد في صحيفته حسنة واحدة، فيقول: يا ربّ أين ثواب أعمالي؟ فيقال له: نُقِلت إلى صحائف خصمائك كل يوم بيومه، وربما يأتي العبد يوم القيامة فيُعطى صحيفته فيجدها كلّها سيّئات، فيقول: يا ربّ إني لا أعلم أنّي وقعت في هذه السيّئات، فيقال له: هذه سيّئات خصومك الذين وقعت في أعراضهم واحتقرتهم ورأيت نفسك أفضل منهم وظلمتهم في المُعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملات.

وكان الإمام القشيري رحمه الله تعالى يقول: بلغنا أن الملائكة تقول للبهائم والوحوش إذا حُشِروا: إنّ الله تعالى لم يحشركم لثواب ولا لعقاب، وإنما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم التي كانوا يخفونها عن الناس، انتهى. نسأل الله تعالى أن يستر فضائحنا في ذلك اليوم آمين، اللّهمّ آمين.

وكان الإمام أبو بكر بن العربيّ رحمه الله يقول: تؤخذ المظالم من جميع الأعمال إلا الصوم؛ لقوله تعالى [في الحديث القدسي]: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»، لكن بشرط أن يكون غير معلوم لأحد من الخلق ولا مكتوبًا في الصحف، فإن هذا هو الذي يستره الله عن العباد ويخبؤه للعبد حتى يكون عليه جنّة من العذاب، فإذا طرح المظلومون سيّئاتهم على هذا الظالم الصائم الذي لم يعلم أحد بصيامه وجدوا الصوم جنّة عليه ولا تضرّه تلك السيّئات. قال الإمام القرطبي: وهو تأويل حسن وجمع بين الآيات والأخبار، والحمد لله ربّ العالمين.

بـاب منه

قد ورد في الصحيح أنّ الله تعالى يصلح بين عباده في الآخرة ويرضى عنهم خصماءهم، كما ورد أنّ الله تعالى يقول لمن شدّد في استقصاء حقّه ولم

يبق للظالم حسنة: ارفع بصرك وانظر، فينظر فإذا قصر من ذهب وبساتين، فيقول: يا ربّ لمن هذا؟ فيقول الحقّ جلّ وعلا: لمن أعطى ثمنه، فيقول: ومن يقدر على ذلك؟ فيقول له الحقّ تعالى: أنت، قال: بماذا؟ فيقول: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربّ فإني قد عفوت عنه، فيقول: خذ بيد أخيك وأدخله الجنّة، انتهى.

قال العلماء: ويجب حمل هذا على من لم يرد الله أن يعذبه، وأراد أن يعفو عنه ويرضى عنه خصماءه جمعًا بين الأحاديث، والله أعلم.

باب بيان أوّل مَن يُحاسب، وبيان أوّل ما يُحاسب العبد عليه من عمله، وأوّل ما يقضي بين الناس، وأوّل مَن يُدْعى للخصومة

روى ابن ماجه[١] مرفوعًا: «**أوّل الأمم حشرًا وحسابًا أُمّتي، فيقال: أين الأُمّة الأُمِّيّة ونبيّها، فنحن الآخرون الأوّلون**». وفي رواية لأبي داود الطيالسي: «**فتفرج لنا الأُمم عن طريقنا، فنمضي غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فتقول الأُمم: كادت هذه الأُمّة أن تكون أنبياء**». وروى الشيخان وغيرهما مرفوعًا: «**أوّل ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدّماء**»، وفي رواية: «**أوّل ما يُحاسب عليه العبد الصلاة، وأوّل ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[٢]. وروى البخاري عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «**أنا أوّل من يجثو يوم القيامة بين يديّ الرحمـٰن للخصومة يريد مبارزته لصاحبيه من كفار قريش**»[٣]. قال أبو ذرّ: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحجّ: الآية ١٩]. وفي الحديث مرفوعًا: «**يأتي كل قتيلٍ قتِل في سبيل الله حاملًا رأسه تشخب أوداجه دمًا، فيقول: يا ربّ سل هذا فِيمَ قتلني؟ فيقول الله تعالى له وهو أعلم: فِيمَ قتلته؟ فقول: يا ربّ قتلته لتكون العزّة لك، فيقول الله تعالى له: صدقت، ويجعل الله وجهه مثل نور الشمس وتشيّعه الملائكة إلى الجنان، ثم يأتي من**

---

(١) كتاب الحدود باب ٣٨، والزهد باب ٢٦، ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في الديات باب ١، والرقاق باب ٤٨، ومسلم في القسامة حديث ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ٨، وتفسير سورة ٢٢، باب ٣.

قُتِل على غير ذلك وهو حاملٌ رأسه تشخب أوداجه دمًا، فيقول: يا ربّ سل هذا فيم قتلني؟ فيقول الله له وهو أعلم: فِيمَ قتلته؟ فيقول: يا ربّ قتلته لتكون العزّة لي، فيقول الله تعالى: تَعِست، ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أُخذ بها، وكان في مشيئة الله عزّ وجلّ إن شاء عذّبه وإن شاء رحمه».

وفي الحديث: «**أوّل ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة، فإن قُبلت منه نظر فيما بقي من عمله، وإن لم تُقْبل منه لم ينظر في شيءٍ من عمله**». وروى أبو داود والترمذي مرفوعًا: «**أوّل ما يُحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول الله عزّ وجلّ لملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمّها أم نقّصها؟ فإن كانت تامّة كتبت له تامّة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي من تطوّع؟ فأتمّوا له فريضته من تطوّعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك**»(١). وكان بعض العارفين يقول: إذا كملت الفرائض من النوافل كمل كلّ نوعٍ من نوعه، فيكمل الركن من الركن، والسنّة من السنّة، فتكمل قراءة الفاتحة في الفريضة بقراءة الفاتحة في النافلة، والسورة بعد الفاتحة بالسورة بعد الفاتحة وقِسْ على ذلك، والله أعلم.

باب في شهادة أعضاء العبد عليه

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: الآية ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصّلت: الآية ٢١] الآية.

وفي الحديث مرفوعًا: «**إذا خُتِم على الأفواه يوم القيامة ظنّ الناس أنّ على أفواههم العذاب**»(٢). وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فضحك، فقال: «**أتدرون ممّ أضحك**»؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم،

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٤٥، والترمذي في الصلاة باب ١٨٨.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

فقال: «**من مخاصمة العبد ربه، فيقول: يا ربّ ألم تُجِرْني من الظلم؟ قال: فيقول: بلى، قال: فيقول: بإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال للأركان: انطقي، فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخْلى بينه وبين الكلام فيقول ـ يعني لأعضائه ـ: بُعْدًا وسحقًا، لكنّ فعنكن كنت أُجادل**»[١]، انتهى. وهذا وإن ورد في الكفار فيخاف أن يقع مثله للمسلم، نسأل الله العافية.

ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن الجدال في العلم شفقة على أُمّته أن يستصحبهم ذلك الجدال إلى الموت، فيستمرّ معهم إلى يوم القيامة، فسلِّموا أيّها الإخوان وانقادوا لعلمائكم تفلحوا، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل عليها وفيها وفي شهادة المال على صاحبه، وقوله تعالى:

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [قٓ: الآية ٢١]

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: الآية ٤]: «**أتدرون ما أخبارها**»؟[٢] قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمَة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها**». وروى الحافظ أبو نعيم مرفوعًا: «**ما من يوم يأتي على ابن آدم إلّا ينادى فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليهِ شهيد، فاعمل خيرًا أشهد لك به غدًا، فإني لو مضيت لن تراني أبدًا، ويقول اللّيل مثل ذلك**»[٣].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: من سجد في موضع عند حجر أو مدر شهد له يوم القيامة عند الله تعالى. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [قٓ: الآية ٢١]، قال: سائقٌ سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد حديث ١٧. (٢) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٧.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

بما عملت. وروى مسلم مرفوعًا في حديث أبي سعيد الخدري: «**إن من يأخذ المال بغير حق كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون ماله شاهدًا عليه يوم القيامة**»(١).
وفي رواية للإمام مالك وغيره: «**إن هذا المال خضر حلو ونعم هو لمن أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل، وإنه ليشهد يوم القيامة على من منع منه حقه**»(٢).

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وراقبوا ربّكم، فإنه تعالى هو الشاهد الأعظم ولو أنّكم عقلتم لاستحيتم منه وتركتم كل قبيح ولم تحتاجوا إلى شاهد يشهد عليكم غيره سبحانه وتعالى، ولكنه سبحانه وتعالى يحبّ لعباده المعاذير، ولذلك أرسل الرُّسل والملائكة إليكم من الحفظة على أعمالكم رحمةً بكم واعتناء بشأنكم ليعرّفكم ما أنعم به عليكم، ثم يغفر لكم إن شاء الله تعالى إن متّم على التوحيد، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في سؤال الله عزّ وجلّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وفي شهادة هذه الأمّة للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام بأنهم بلغوا رسالات ربّهم إلى أممهم

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ٦، ٧]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٩٢، ٩٣]، وقال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: الآية ١٠٩].

قال بعض العلماء: وإنما وقع ذلك من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام لشدّة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر، ولذلك قالوا: لا علم لنا إنك أنت علّام الغيوب، فأخذت الهيبة بجميع قلوبهم، فذُهِلوا عن الجواب، فإذا حصل لهم الإدمان على تلك الشّدائد نبّأهم الله تعالى وأحدث لهم ذكر ما كانوا نسوه،

(١) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ٩٦، ٩٨، ١٢١.
(٢) أخرجه البخاري في الخمس باب ١٩، والجهاد باب ٣٧، والدارمي في الزكاة باب ٢٠.

فشهدوا بعد ذلك بما أجابتهم به أُممهم. وروى ابن ماجه[١] مرفوعًا: يجيء النبيّ يوم القيامة ومعه الرجل الواحد، ويجيء النبيّ ومعه الرجلان، ويجيء النبيّ ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيُدْعى قومه فيقال: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد ﷺ وأُمّته، فتُدْعى أُمّة محمّد ﷺ، فيقال: هل بلّغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبيّنا محمّد ﷺ بذلك أن الرسل بلّغوا رسالات ربّهم فصدَّقناهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣]. وفي الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أوّل من يُدْعى إسرافيل عليه السلام، فيقول له ربّه عزّ وجلّ: ما فعلت في عهدي؟ فيقول: يا ربّ قد بلغت جبريل، فيدعى جبريل فيقال له: هل بلّغك إسرافيل عهدي؟ فيقول جبريل: نعم يا ربّ قد بلّغني، فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلّغت عهدي؟ فيقول جبريل: نعم يا ربّ قد بلّغت الرسل، فتُدعى الرسل فيقال لهم: هل بلَّغكم جبريل عهدي؟ فيقولون: نعم، فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرّسل: هل بلَّغتم عهدي؟ فيقولون: نعم قد بلّغنا أُممنا، فتُدعى الأُمم فيقال لهم: هل بلّغكم الرسل عهدي، فمنهم المصدّق ومنهم المكذّب، فيقول الرسل عليهم الصّلاة والسّلام: لنا عليهم شهداء يشهدون لنا أنّا قد بلّغنا مع شهادتك يا ربّ، فيقول: وهو أعلم مَنْ يشهد لكم؟ فيقولون: أحمد ﷺ وأُمّته، فتُدعى أُمّة أحمد، فيقول لهم الربّ جلّ وعلا: تشهدون أنّ رسلي هؤلاء بلّغوا عهدي إلى من أُرْسلوا إليه؟ فيقولون: نعم شهدنا أنْ قد بلّغوا، فتقول تلك الأُمم: كيف تشهدون علينا وأنتم لم تُدْركونا؟ فيقولون: يا ربّنا إنك قد بعثت إلينا رسولًا وأنزلت إلينا عهدًا وكتابًا قصّ علينا أنهم قد بلغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الربّ جلّ وعلا: صدقوا؛ فذلك قوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البَقَرَة: الآية ١٤٣]**».

وكان بعض العلماء يقول: بلغنا أن جميع أُمّة محمّد ﷺ تشهد يومئذ إلّا من كانت بينه وبين أخيه شحناء أو حبة من غلّ. وذكر الإمام الغزالي رحمه الله

(١) كتاب الزهد باب ٣٤.

تعالى: أنّ هذه الأُمور تكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم، ويقتصّ للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطيور، ثم يقال لهم: كونوا ترابًا فتسوّى بهم الأرض، فحينئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرّسول لو تسوّى بهم الأرض: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النّبَأ: الآية ٤٠]، ثم يخرج النداء من قِبَل الله تعالى: أين اللّوح المحفوظ؟ فيُؤتى به له هرج عظيم، فيقول الله تعالى: أين ما سطرت فيك من توراة وإنجيل وزبور وفرقان، فيقول: يا رب نقله مني الروح الأمين، فيُؤْتى بجبريل يرعد وتصطكّ ركبتاه، فيقول الله تعالى له: يا جبريل هذا اللّوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحي أصدقٌ ذلك؟ فيقول: نعم يا ربّ، قال: فما فعلت فيه، قال: أنهيت التوراة لموسى، وأنهيت الزبور إلى داود وأنهيت الإنجيل إلى عيسى، وأنهيت الفرقان إلى محمّد ﷺ، وأنهيت إلى كلّ رسول رسالته، وإلى أهل الصحف صحائفهم، وإذا بالنداء: يا نوح، فيؤتى به يرعد وتصطكّ ركبتاه وفرائصه، فيقول: يا نوح يزعم جبريل أنك من المرسلين، قال: صدق يا ربّ، فيقول له: ما فعلت مع قومك؟ قال: دعوتهم ليلًا ونهارًا، فلم يزدعم دعائي إلا فرارًا، فإذا بالنداء: يا قوم نوح، فيؤتى بهم زمرة واحدة، فيقال: هذا أخوكم نوح يزعم أنه قد بلّغكم الرسالة، فيقولون: يا ربّنا كذب ما بلغنا من شيء وينكرون الرسالة، فيقول الله تعالى: يا نوح ألك بيّنة؟ فيقول: نعم يا ربّ بيّنتي عليهم محمّد ﷺ وأُمّته، فيقولون: كيف ونحن أوّل الأُمم وهم آخر الأُمم، فيُؤْتى بالنبيّ ﷺ فيقول: يا محمد هذا نوح يستشهدك أتشهد له بتبليغ الرّسالة؟ فيقرأ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نُوح: الآية ١] إلى آخر السورة، فيقول الله عزّ وجلّ: قد وجب عليكم الحقّ وحقّت كلمة العذاب على الكافرين، فيُؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار، ثم يُنادي المنادي كل نبيّ وأُمّته كذلك، ولا تزال تخرج أُمّة بعد أُمّة ومحمّد ﷺ وأُمّته يشهدون لهم وعليهم، وذكر الحديث إلى أنّ قال: «**ثم يخرج النداء من قبل سرادقات الجلال:** ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يَس: الآية ٥٩]، **فيحصل للناس روع عظيم، وتمتزج الملائكة بالجنّ والإنس ـ أي تختلط ـ ثم يخرج النداء ثانيًا: يا آدم ابعث بعث النار، فيقول: يا ربّ كم؟ فيقال له: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدًا إلى الجنّة، فلا يزال يستخرج بعثًا بعد بعثٍ من المُلحدين والفاسقين والغافلين حتى لا يبقى إلّا مقدار**

حفنتي الربّ»، كما قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: نحن كحفنتي الربّ سبحانه وتعالى على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى، انتهى. فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا في ذلك اليوم إنّه لطيف خبير آمين.

باب ما جاء في الشهداء عند الحساب

قال علماؤنا رضي الله عنهم: إنّ الله تعالى يحاسب النبيّين والشهداء: أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزُمَر: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النِّساء: الآية ٤١]. ومعلوم أن شهيد كلّ أُمّة نبيّها. وقال بعضهم: المراد بالشهيد كتبة الأعمال، والله أعلم بالحال.

قال العلماء: وإذا حضرت الأُمم رسلها يقال لهما: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٥]، ويقال للرّسل: ماذا أجبتم؟ فتقول الرسل: لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب، كما مرّ في الباب قبله، ثم يُنادى كل واحد على الانفراد، فيُحاسب كل واحد بحيث لا يعلم به الآخر في هذا الموقف بخلاف المواقف السابقة، فإن أهل الموقف يعلمون بحسابه، وفي هذا الموقف يشهد اللّسان واليدان والرجلان، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النّور: الآية ٢٤]. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: وبلغنا أنّ مِنَ الناس من يوقف بين يديّ الله عزّ وجلّ، فيقول الله تعالى له: يا عبد السّوء كنت مجرمًا عاصيًا؟ فيقول: قد كذبوا عليّ - يعني الملكان - فتشهد جوارحه عليه بما فعل، ثم يؤمر به إلى النار. نسأل الله العافية بمنّه وكرمه آمين.

باب ما جاء في شهادة النبيّ ﷺ على أُمّته

كان سعيد بن المسيّب رضي الله عنه يقول: ليس من يوم إلّا تُعْرَض على النبيّ ﷺ أعمال أُمّته غدوة وعشيّة، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، ولذلك يشهد عليهم كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النِّساء: الآية ٤١]، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في حوض النبيّ ﷺ، وبيان أوّل الناس ورودًا عليه، وبيان من يطرد عنه، وبيان أنّ لكل نبيّ حوضاً

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ولرسول الله ﷺ حوضان وكلاهما يسمّى كوثرًا ـ أي خيرًا كثيرًا ـ. زاد بعضهم: فأمّا أحدهما فيكون إذا خرج الناس من قبورهم. وأمّا الثاني، فيكون بعد الصّراط حين يشتدّ حرّ جهنم على الماشين على الصّراط. وروى البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّوا، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار، فقلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّوا، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم ارتدّوا على أدبارهم، فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم**»، والهُمل الطويل من الإبل. والمعنى: أن الناجي منهم قليل.

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن الموقف بين يديّ ربّ العالمين: هل فيه ماء؟ فقال: «**إي والذي نفسي بيده إنّ فيه لماء، وإن أولياء الله عزّ وجلّ ليردّون حياض الأنبياء ويبعث الله سبحانه سبعين ألف ملك بأيديهم عصيّ من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء**»[2].

قال الإمام القرطبي: وفي الحديث والذي قبله أنّ الحوض قبل الصّراط والميزان، وكذلك حيضان الأنبياء كلّهم خلاف ما قاله بعضهم، انتهى. وعلى ما قلناه عن بعضهم من أنّ لنبيّنا ﷺ حوضين يصحّ حمل كلام مَنْ قال: إن الحوض بعد الميزان والصّراط أيضًا، فلا خلاف، وكذلك القول في حيضان الأنبياء: منها ما هو قبل الصّراط والميزان، ومنها ما هو بعدهما، وذهب بعض أهل الكشف إلى أن الحوض في وسط الصّراط وهو حوض عظيم متّسع جدًا

---

(١) كتاب الرقاق باب ٥٣.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٠٠٩.

كما نبَّه على ذلك رسول الله ﷺ، فقال لقوم: «**إنّ حوضي ما بين الكعبة وبيت المقدس**»[(١)]، وقال لقوم: «**ما بين عدن إلى إيلياء**»[(٢)]، وقال لقوم: «**من صنعاء إلى عدن**»[(٣)]، وقال لقوم: «**هو مسيرة شهر**»؛ فكان خطابه ﷺ لكلّ قوم بما يعرفون من المسافات، فليس في ذلك اختلاف في المعنى.

قال العلماء: وربما خطر في بال أحدهم أنّ ماء الحوض يكون على وجه الأرض بحسب ما فهموه من ظاهر الأحاديث، وهو وهم إنّما هو أُخدود في بطن الأرض على عادة الأنهار في الدُّنيا. وقال بعضهم: إنّ الحوض الأوّل يكون على الأرض التي بدّلت، والثاني: يكون بعد الصّراط، انتهى. ولعلّ ذلك بحسب ما كشف لكلّ واحد، وأن الحيضان ربما تعدّدت وتفرّعت من الحوض الأعظم كما في دار الدنيا، فيكون في كلّ قطر بعد عن الآخر حوض يُشْرب منه الناس كلّما عطشوا ولم يصلوا إلى الحوض الأعظم من شدّة الزحمة مثلًا، انتهى.

قلت: ومثل هذا لا يقال إلّا عن توقيف، فالله أعلم بحقيقة الحال.

وروى صاحب الغيلانيات عن أنسٍ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ حوضي أربعة أركان، فأوّل ركن منها في يد أبي بكر، والركن الثاني في يد عمر، والركن الثالث في يد عثمان، والركن الرابع في يد عليّ، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحبّ عثمان وأبغض عليًا لم يسقه عثمان، ومن أحبّ عليًا وأبغض عثمان لم يسقه عليّ**» الحديث. وروى أبو داود الطيالسي عن زيد بن أرقم أن النبيّ ﷺ قال: «**ما أنتم بجزء من مائة ألف وسبعين ألف جزء ممّن يرد عليّ الحوض**». قال زيد بن أرقم: وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة، وروى ابن ماجه[(٤)] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أوّل من يرد عليّ الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابًا الشّعث رؤوسًا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد**»

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٩١٤٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٣٠٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٠.

(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٩١٦٤.

(٤) كتاب الزهد باب ٣٦.

يعني الأبواب. وفي رواية: «**أوّل من يرد عليّ الحوض الدّابلون الناحلون السّائحون الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بالحزن**». وروى البخاري[١] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يَرِدُ على الحوض رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض**» أي يُطردون عنه «**فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم**».

قال العلماء: فكلّ من ارتدّ عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله تعالى ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المُبْعدين، قالوا: وأشدّهم طردًا مَنْ خالف أهل السنّة والجماعة وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والرافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلّهم مبدلون.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وكذلك الظلمة المُسرفون في الجور والظلم وطمس الحقّ، ثمّ إن كان التبديل في الأعمال فقد يقرّبون من الحوض ويغفر الله لهم، وإنْ كان في أصل الدين فهم مطرودون إلى النار مُخلّدون فيها، وأطال في ذلك. وروى الترمذي وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ لكلّ نبيّ حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً**»، وقال ابن الواسطي رحمه الله تعالى: إن لكلّ نبيّ حوضاً إلّا صالحًا، فإن حوضه ضرع ناقته، والله تعالى أعلم. فنسأل الله تعالى من فضله أن يُميتنا على الإسلام وأن يسقينا من حوض نبيّنا شربة لا نظمأ بعدها أبدًا آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) كتاب الرقاق باب ٥٣.

أبـواب الميزان

باب ما جاء في الميزان وأنه حقّ

قـال الله تـعـالـى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] الآية، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: الآيات ٦ - ٩].

قال العلماء رضي الله عنهم: وإنما تُوزن الأعمال إذا انقضى الحساب؛ لأن الوزن للجزاء، فلذلك كان بعد المحاسبة، لأن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] ونحوها من الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٣]؛ ففي هذه الآية إخبار بوزن الأعمال ـ أي للكفار ـ لأنهم هم الذين تخفّ موازينهم لتكذيبهم بالآيات في نحو قوله: ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٥] في سورة المؤمنون، وفي قوله تعالى في الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: الآية ٩]، ومثل هذا الوعيد لا يكون إطلاقه إلّا على الكفار، فإذا جمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]، ثبت أن الكفّار يسألون عمّا خالفوا فيه الحقّ من أصل الدين وفروعه، قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: الآيتان ٦، ٧]، فتوعدهم على منعهم الزكاة، وأخبر تعالى عن المجرمين أنّه يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثّر: الآيتان ٤٢، ٤٣]؛ فبيّن تعالى بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة، وأنّهم مسؤولون عن ذلك مُحاسبون عليه.

وروى البخاري أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]**»[(١)]. وفي الحديث: «**إن الكافر نفسه يُوزن**».

وقال بعض العلماء: إن معنى الحديث أنّه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب، فلا حسنة لهم تُوزن في موازين القيامة، ومَنْ لا حسنة له فهو من أهل النار. وكان أبو سعيد رضي الله تعالى عنه يقول: يُؤْتى بأعمالٍ كالجبال فلا تزن شيئًا.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وفي الحديث السابق في الرجل السمين دليل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفّه والسمن، ويؤيّده قوله ﷺ: «**إنّ أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين**»، انتهى. أي: لأن الحبر الذي هو العالم العظيم لو سلك طريق الورع والإيثار ما وجد شيئًا يسمن به، بل كان جسمه كالسّوط أو الشنّ البالي، والله تعالى أعلم.

باب منه في بيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه

روى الترمذي وابن ماجه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله يستخلص رجلًا من أُمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا ربّ، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى لك عندنا حسنة، وأنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتُوضع السجلات في كفّة والبطاقة في كفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع الله تعالى شيء**»[(٢)]، أي مع اسمه عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ١٨، باب ٦، ومسلم في المنافقين حديث ١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في الإيمان باب ١٧، وابن ماجه في الزهد باب ٣٥، وأحمد في المسند ٢/ ٢٠٣.

وذكر الإمام القشيري رحمه الله تعالى في تفسيره: أنّه إذا خفّت حسنات المؤمن يوم القيامة يخرج له رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفّة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبيّ ﷺ: بأبي أنت وأُمّي ما أحسن وجهك، وما أحسن خلقك، فمن أنت؟ فيقول: «**أنا نبيّك محمّد وهذه صلاتك التي كنت تصلّيها عليّ قد وفيتك إيّاها أحوج ما تكون إليها**».

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من قضى لأخيه المؤمن حاجة كنت عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت فيه**»[١]. وكان الإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول: إنّ السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنّة بغير حساب كما ورد في الصحيح لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذوا صُحُفًا، وإنما هي براءة مكتوبة لا إلـه إلا الله محمّد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد عزّ وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، فما مرّ عليَّ مقام أسرّ عندي من ذلك المقام.

قال الإمام القرطبي: وكذلك ورد «**أن الموازين تنصب يوم القيامة لأهل الصلاة ولأهل الصيام ولأهل الزكاة ولأهل الحجّ، فتُوزَن أعمالهم ويوفّون أُجورهم بالموازين. وأمّا أهل البلاء، فلا يُنْصَب لهم ميزان ولا يُنْشَر لهم ديوان ويُصَبّ عليهم الأجر والثواب بغير حساب**»، زاد في رواية: «**حتى إن أهل العافية ليتمنّون في الموقف أن أجسامهم قُرِضت بالمقاريض لما يرون من حُسْن ثواب الله عزّ وجلّ**»، أخرجه أبو نعيم. وكان الحسن بن عليّ رضي الله عنهما يقول: قال لي جدّي ﷺ: «**يا بنيّ عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس. يا بنيّ إنّ في الجنّة شجرة البلوى يؤتى بأهل البلايا، فلا يُنْصَب لهم ميزان ولا يُنْشَر لهم ديوان فيصبّ عليهم الأجر صبًّا**»، وقرأ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠]، ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله. وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجسامًا، فيزنها يوم القيامة. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: تُوزن صحائف الأعمال التي هي أجسام، فيرجح الله

(١) أخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ٣/ ٧١.

تعالى بها إحدى كفّتي الميزان، انتهى. وإنما أنكرت المعتزلة وزن الأعمال لكونها أعراضًا، والأعراض يستحيل وزنها عندهم؛ إذ لا تقوم بأنفسها ولو تأمّلوا في الآيات والأخبار لجزموا بأنّ الميزان حقّ ووزن الأعمال حقّ، فقد انعقد إجماع أهل السنّة والجماعة على أن وزن الأعمال حقّ وأوجبوا الإيمان بذلك. وفي الحديث: «**إنّ كفّة الحسنات تكون من نور، وكفّة السيّئات تكون من ظلام**». وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الجنّة تُوضع عن يمين العرش، والنار عن يسار العرش، وكفّة الحسنات عن يمين العرش، وكفّة السيّئات عن يسار العرش؛ فتكن الجنّة مقابلة الحسنات، والنار مقابلة السيّئات**»، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: تُوزن الحسنات والسيّئات في ميزان له كفّتان ولسان. وكان أحمد بن حرب التابعي الجليل رضي الله عنه يقول: تُبْعَث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق: فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة فقراء من الأعمال الصالحة، وفرقة أغنياء ثم يصيرون مفلسين من جهة تبعات الخلائق. وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لأن يلقى العبد ربّه بسبعين ذنبًا فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ أهون عليه من أن يلقى الله تعالى بذنب واحد فيما بينه وبين الناس ـ يعني التبعات ـ.

قال الإمام القرطبي: وهو صحيح؛ لأن الله غنيّ كريم رؤوف رحيم وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك إلى حسنة واحدة يرجح بها ميزانه. وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلـه إلّا الله دخل الجنّة**»، وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من شيء يُوضع في الميزان أثقل من خلق حسن**»، وتقدَّم في الكتاب حديث: «**إنّ الصلاة على النبيّ ﷺ مما يثقل في الميزان**». وحُكِيَ أنّ بعضهم قال: رأيت بعض أصحابي في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي وسيّئاتي فرجحت السيّئات على الحسنات، فجاءت صرّة من السماء وسقطت في كفّة الحسنات، فرجحت فحللت الصرّة فإذا فيها كفّ تراب كنت حثيته في قبر مسلم. وكان وهب بن منبه رضي الله عنه يقول: مدار وزن الأعمال التي ترجح بها الميزان ويسعد به صاحبه على العمل الذي يختم للعبد به، فإذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا ختم له بخير، وإذا أراد به

سوءًا ختم له بسوء، انتهى. ويؤيّد ذلك ما ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**وإنما الأعمال بالخواتيم**»، فنسأل الله تعالى من فضله أن يمنّ علينا وعلى جميع إخواننا بالموت على التوحيد والعمل الصالح آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في ذكر أصحاب الأعراف

روى خيثمة بن سليمان في مسنده عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال: «**تُوضع الموازين يوم القيامة، فتُوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيّئاته مثقال نواة دخل الجنّة، ومن رجحت سيّئاته على حسناته مثقال نواة دخل النار**»، فقيل: يا رسول الله، فمن استوت حسناته وسيّئاته؟ قال: «**أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطعمون**»(١). وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: يُحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيّئاته بواحدة دخل الجنّة، ومن كان سيّئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم يقرأ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ١٠٢، ١٠٣]، ثمّ يقول: إنّ الميزان تخفّ بمثال حبّة أو ترجح، قال: ومن استوت حسناته وسيّئاته كان من أصحاب الأعراف، وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: إنّ الرجلين إذا كانا صديقين في الدنيا يمرّ أحدهما بصاحبه وهو يجرّ إلى النار، فيقول له أخوه: والله ما بقي لي إلا حسنة واحدة أنجو بها خذها أنت يا أخي لتنجو بها، ويبقى هو وأخوه من أصحاب الأعراف، قال: فيأمر الله عز وجلّ بهما جميعًا فيدخلون الجنّة.

وذكر الإمام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة: أنه يُؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه، فيقول الله تعالى له رحمةً منه: اذهب في الناس، فالتمس أحدًا يُعطيك حسنة أُدخلك بها الجنّة، قال: فيصير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدًا يكلّمه في ذلك الأمر إلا يقول له: خفت أن تخفّ ميزاني، فأنا أحوج منك إليها، فييأس فيقول له رجل: ما الذي تطلب؟

(١) أخرجه بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٧١، ٨٧.

فيقول: حسنة واحدة، فلقد مررت بقوم معهم من الحسنات آلاف، فبخلوا عليّ فيقول الرجل: إني قد لقيت الله وما في صحيفتي إلا حسنة واحدة، وما أظنها تُغني عني شيئًا خذها هبةً منّي إليك، فينطلق بها فَرِحًا مسرورًا، فيقول الله تعالى له: ما بالك ـ وهو أعلم ـ؟ فيحكي له ما جرى فينادي سبحانه وتعالى ذلك الرجل الذي وهبه الحسنة، فيقول الله تعالى: كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنّة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: وكذلك بلغنا أنه يُؤْتى برجل يوم القيامة قد تساوت حسناته وسيّئاته، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنّة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفّة الميزان فيها مكتوب: أُفّ، فترجح بها ميزان سيّئاته لأنها كلمة عقوق ترجح على جبال الدنيا، فيُؤمر به إلى النار، فيقول: يا ربّ قد كنت أرجو عفوك عن مثل هذه الكلمة، فيأمر الله به إلى الجنّة، ويقول له: خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنّة. وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: صاحب الميزان المُوكل بها يوم القيامة هو جبريل عليه السّلام، فمن رجح ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق كلّها، ألا إنّ فلانًا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خفّت نادى: ألا إنّ فلانًا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا. وقال هناد بن السري رضي الله تعالى عنه: وأهل الأعراف يسمّون بمساكين أهل الجنّة يوم القيامة. وكان عبد الله بن الحارث يقول: أصحاب الأعراف يُنْتَهى بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة، فيتغسلون منه اغتسالة فيبدو في نحورهم شامة ثم يعودون فيغتسلون، فكلّما اغتسلوا ازدادت بياضًا، فيقال لهم: تمنّوا فيتمنّون ما شاء الله تعالى، فيقال لهم: لكم ما تمنّيتم وسبعون ضعفًا، فيُعْرفون بمساكين أهل الجنّة، فإذا دخلوا الجنّة وفي نحورهم تلك الشامة البيضاء عرفوا بها من بين الناس.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: واختلف العلماء في تعيين أهل الأعراف على اثني عشر قولًا: الأوّل: أنهم مَنْ تساوت حسناته وسيّئاتهم، قاله ابن مسعود وكعب الأحبار وابن عباس. الثاني: هم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد. الثالث: هم الشهداء، ذكرى المهدوي. الرابع: هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرّغوا لمصالح أحوال الناس، ذكره

أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيريّ. الخامس: المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لوالديهم، قاله شرحبيل بن سعد، ويدلّ له أنه ﷺ قال: «**يعادل عقوقهم استشهادهم**»، رواه الطبراني. السادس: هم العباس وحمزة وعليّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومُبْغضيهم بسواد الوجوه، ذكره الثعلبي عن ابن عباس. السابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، ذكره الزهراوي واختاره النحّاس. الثامن: هم قوم أنبياء، قاله الزجّاج. التاسع: هم قوم كانت لهم صغائر، حكاه ابن عطية في تفسيره. العاشر: هم أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة، ذكره ابن وهب عن ابن عباس، قال: وهم آخر الناس دخولًا الجنّة. وكان بعض الصحابة يقول: أودّ أنّي كنت من أهل الأعراف، أليس يدخلون الجنّة؟ الحادي عشر: أنهم أولاد الزّنا، رُوِيَ ذلك عن ابن عباس. الثاني عشر: أنهم الملائكة المُوكَلون بهذا السور يميّزون المؤمنين من الكافرين قبل إدخالهم الجنّة والنار، انتهى.

وسُئِل ابن حميد عن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] الآية، ولا يقال للملائكة رجال، فقال رحمه الله: إنهم ليسوا ذكورًا وليسوا بإناث، فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجنّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنّ: الآية ٦]، والأعراف سُورٌ بين الجنّة والنار، والله تعالى أعلم. فنسأل الله تعالى من فضله أن يتفضّل علينا وعلى جميع إخواننا برجحان ميزان حسناتنا ويلطف بنا في تلك الأهوال إنه سميع مجيب، آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

باب إذا كان يوم القيامة تتبع كل أُمّة ما كانت تعبد، فإذا بقي من هذه الأمّة منافقوها امتحنوا بضرب الصراط

روى الترمذي[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يجمع الناس يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ ثم يطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا ليتبع كلّ إنسان ما كان يعبد، فيتمثّل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب**

(١) كتاب القيامة باب ١٠، ٤٨، والجنّة باب ٢٠.

النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون»، وذكر الحديث بطوله.

وفي رواية لمسلم[١] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عزّ وجلّ: إذا جمع الناس يوم القيامة: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع مَنْ كان يعبد الطواغيت الطواغيت، ومن كان يعبد المسيح شيطان المسيح، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنّم فأكون أنا وأُمّتي أوّل من يجوز، ولا يتكلّم يومئذ إلا الرُّسل وكلام الرسل يومئذ: اللّهمّ سلِّم، وفي جهنّم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يُعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المُوبق بعمله، ومنهم المُجازى حتى ينجوا**» وسيأتي الحديث.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقوله: «**وتبقى هذه الأُمّة فيها منافقوها**»، الأشبه أن يكون المراد بالمنافقين هنا المُرائين بأعمالهم بقرينة الرواية الأخرى، وهي قوله: «**فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود، ولا يبقى إلا مَنْ كان يسجد رياء واتّقاء، فيجعل الله ظهره طبقة واحدة، كلّما أراد أن يسجد خرّ على قفاه**» الحديث، نسأل الله السلامة من الزّيغ عن الإسلام لنا ولجميع إخواننا والحمد لله ربّ العالمين.

باب كيف الجواز على الصراط وصفته ومن يُحبس عليه ويُزَلّ، وفي شفقة النبيّ ﷺ على أُمّته وغير ذلك، وفي ذكر القناطر قبله والسؤال عليها، وبيان قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١]

قال الإمام الغزالي وغيره رحمهم الله: لن يجوز أحد الصّراط حتى يُسْأل في سبع قناطر؛ فأما القنطرة الأُولى، فيُسأل عن الإيمان بالله، وهي شهادة أن لا

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٩٩.

إلـه إلا الله، فإنْ جاء بها مخلصًا جاز، والإخلاص قول وعمل. ثم يُسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامّة جاز. ثم يُسأل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان، فإن جاء به تامًّا جاز. ثم يُسأل عن الزكاة في القنطرة الرابعة، فإن جاء بها تامّة جاز. ثم يُسأل في الخامسة عن الحجّ والعمرة، فإن جاء بهما تامّين جاز. ثم يُسأل في القنطرة السادسة عن الغُسل من الجنابة والوضوء، فإن جاء بهما تامّين جاز. ثم يُسأل في القنطرة السابعة، وهي أصعب القناطر عن ظلامات الناس.

وذكر الإمام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة أنه إذا لم يبق في الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمُحسنون والعارفون والصدِّيقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مُرتاب ولا مُنافق ولا زنديق، فيقول الله تعالى: يا أهل الموقف مَنْ ربكم؟ فيقول: الله، فيقول: أتعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيتجلّى لهم ملك عن يسار العرش لو جُعِلَت البحار السبعة في نقرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم: بأمر الله أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلّى لهم ملك آخر عن يمين العرش لو جُعِلت البحار الأربعة عشر في نقرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم: أنا ربّكم؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلّى لهم الربّ سبحانه وتعالى في الصّورة التي كان يعرفونه فيها، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلّى لهم الربّ سبحانه وتعالى في الصورة التي كان يعرفونه فيها، وهي صورة اعتقادهم في الحقّ في دار الدنيا يتصوّر لهم ـ كما قال بعض المحقّقين ـ لا حقيقة الذات المقدّس عن الجهات والأقطار، فيسجدون له تعالى جميعهم؛ فيقول تعالى: أهلًا بكم، ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنّة فيتبعونه، فيمرّ بهم على الصّراط أفواجًا أفواجًا المرسلون ثم النبيّون ثم الصدِّيقون ثم المحسنون ثم الشهداء ثم المؤمنون العارفون، وتبقى المسلمون؛ فمنهم المكبوب على وجهه، ومنهم المحبوس في الأعراف، ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان؛ فمنهم من يجوز على الصّراط في مقدار مائة عام، ومنهم من يجوزه في مقدار ألف عام، ومع ذلك كلّه لم تحرق النار من رأى ربّه عيانًا لا يُضام في رؤيته ـ أي لا يشكّ فيها ـ انتهى.

فمثّل نفسك يا أخي وأنت على الصّراط وجهنم من تحتك سوداء مظلمة وشرر سعيرها يتطاير على المارّين على الصّراط أو على من يمشي تارة

ويزحف أخرى، والناس يتهافتون وترتعد فرائصهم ويقعون أمثال الذرّ، ولا تكاد ترى ماشيًا ولا زاحفًا إلا قليلًا. نسأل الله تعالى اللّطف بنا وبجميع إخواننا آمين.

وفي حديث مسلم[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**أوّل الناس مرورًا على الصّراط من يمرّ كالبرق**»، أي يمر ويرجع في طرفه عين؛ كما في رواية: «**ثم كمرّ الريح ثم كمرّ الطير ثمّ أشدّ الرجال**» أي جريئهم «**تجري بهم أعمالهم ونبيّكم قائم على الصّراط يقول: ربِّ سلِّم سلّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل، فلا يستطيع السير إلا زحفًا**» الحديث. وفي رواية أخرى لمسلم[2]، فذكر الحديث إلى أنّ قال: «**ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة**»، فقيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**دحض مزلق فيه خطاطيف وكلاليب وحسك**» الحديث.

وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: بلغني أن الجسر أرقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وفيه كلاليب وخطاطيف، وإنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. وكان سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه يقول: بلغنا أنّ الصّراط يوم القيامة يكون على المتّقين مثل الوادي الواسع بحسب كثرة أعمالهم الصالحة، وكذلك سرعة المرور على الصّراط تكون بحسب قوّة الهمّة والنشاط للعبادة؛ فإذا قال: يا ربّ لِمَ جعلتني بطيئًا على الصّراط، فيقول له: بحسب بطئك عن عبادتي في أوّل وقتها. وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: تجوزون الصّراط بعفو الله وتدخلون الجنّة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم. وفي الحديث: «**الزالّون على الصراط كثير، وأكثر من يزلّ منه النساء**»، ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله. وفي الحديث أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قول: «**إذا صار الناس على طرف الصّراط نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصّراط، وليقف كل من عصاه منكم وكل ظالم**»، فيا لها من ساعة.

---

(١) كتاب الإيمان حديث ٣٠٢، ٣٢٩. (٢) كتاب الإيمان حديث ٣١٦.

وفي الحديث الصحيح: «**أنه يحبس على الصراط كل من تكلّم في عرض أخيه بما لا يعلم، ويقال له: أثبت هنا ما قلته في حقّ أخيك، فإن لم يُثبته تزلّ قدمه في النار**»، وفي الحديث أيضًا: «**إذا عصف الصّراط بأُمّتي نادوا: وامحمّداه وامحمّداه! فأبادر من شدّة إشفاقي عليهم وجبريل آخذ بحجزني فأُنادي رافعًا صوتي: ربّ أُمّتي أُمّتي، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي، والملائكة قيامًا عن يمين الصّراط ويساره ينادونه: ربِّ سلِّم سلِّم**»، انتهى. هذا وقد عَظُمت الأهوال واشتدّت الأحوال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقّونهم بالسلاسل والأغلال تناديهم الملائكة: أمَا نُهيتم عن كسب الأوزار، أمَا خوَّفكم نبيّكم من عذاب النار؟ أمَا أنذركم كل الإنذار؟ أمَا جاءكم النبيّ المختار؟ وذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى.

ففكّر يا أخي فيما يحلّ بك من الفزع إذا رأيت الصّراط ودقّته، وهو منصوب على جهنم، وهي سوداء مظلمة وشررها يتطاير على العباد ولها زفير وشهيق وغيظ على من عصى الله عزّ وجلّ ولو مرّة في عمره ومات ولم يقبل الله له توبة، هذا وأوزارك على ظهرك قد أثقلتك وعجزت أن تمشي بها على الأرض، فكيف تقدر أن تمشي بها على الصّراط مع تزلزله وارتعاده بأهله حتى تكاد مفاصلهم تنحلّ من بعضها؛ فمن له ركب تحمله هناك؟ وكيف بك يا أخي إذا وضعت إحدى قدميك على الصّراط فارتعد بك وأنت واقف على رجلٍ واحدة لم تقدر أن تضع الأخرى من شدّة دقَّته وانتفاضه بأهله والخلائق يتساقطون في النار كالذرّ، ومنهم من يزلّ فتُمْكسه الخطائف وتأكل جوانبه النار؛ فلا يزال كذلك مقدار سنين عديدة حتى تدركه الشفاعة ويتذكّره رسول الله ﷺ، فالعاقل مَنْ أكثر مِنَ الصّلاة والتسليم عليه في دار الدنيا وجعل له وردًا في كل يوم وليلة من الصلاة على رسول الله ﷺ أقلّها عشرة آلاف صلاة في اليوم والليلة، فلعلّه ﷺ يتذكّره بعد مدّة شهر مثلًا، فإن الذي هو ممسوك بالكلاليب والخطاطيف حكمه حكم المشكل في دار الدنيا، ومن يقدر يتحمّل ألم المشكلة شهرًا وهو معلّق، ووالله لو أن الشخص جعل على نفسه في اليوم والليلة مائة ألف صلاة لتخفيف هول ذلك اليوم كان ذلك قليلًا في مقابلة شرعة شفاعته ﷺ

فيمن أخذته كلاليب الصّراط، فالله يجعلنا وإخواننا ممن يُكثر الصلاة عليه ﷺ إلى الممات، آمين.

وكان أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى يقول في مجلس وعظه: كيف بكم أيّها الإخوان إذا أخذتكم خطاطيف الصراط وكلاليبه وجعلتكم معلّقين منكّسين الرؤوس أرجلكم للصّراط ووجوهكم للنار، فيا له من حال ما أشدّه، ومِنْ طريق ما أصعبه، ومِنْ منظر ما أفظعه وأهوله، فأكثروا من الاستغفار بقيّة أعماركم، فلعلّ الله تعالى يقبل استغفاركم فيخفّف عنكم تلك الشدائد والأهوال، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: أصبحوا تائبين مستغفرين وأمسوا كذلك، فقد بلغنا أنّ النار تقول للمؤمن على الصّراط: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، انتهى.

ومعلوم أنه لا يكون له هذا المقام إلا إن أُطفأ غضب الجبار بكثرة الاستغفار في دار الدنيا، انتهى. ورأى الحسن البصري رجلًا يضحك بصوت جهوري، فقال له: يا أخي هل بلغك أنك تَرِد النار؟ قال: نعم، قال: فهل بلغك أنك تخرج منها؟ قال: لا، قال: ففيم هذا الضحك؟ فما رُؤِيَ بعد ذلك الرجل ضاحكًا حتى مات، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في شعار المؤمنين على الصّراط، ومن لا يوقف على الصراط طرفة عين

روى الترمذي[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**شعار المؤمنين على الصراط: سلّم سلّم**»، وتقدم حديث مسلم وقوله فيه: ونبيّكم محمد ﷺ قائم على الصّراط يقول: «**يا ربّ سلّم سلّم**». وروى الوائليّ أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «**علم الناس سنّتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنّة، فلا تُحْدِث في دين الله حدثًا برأيك**»[٢]، وهو حديث حسن كما رواه القرطبي رحمه الله تعالى.

---

(١) كتاب القيامة باب ٩. (٢) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢٦٥.

وروى الحافظ أبو نعيم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من أحسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط**»(١). وروى الختلي رحمه الله تعالى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّه قال لابنه: يا بنيّ لا يكن بيتك إلا المسجد، فإنّ المساجد بيوت المتّقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يكن المسجد بيته ضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط**»(٢)، انتهى. وذلك لأنه لا يجعل المسجد بيته إلا من ترك الدنيا وأقبل على الآخرة وعَمِل لها.

وكان الشيخ أبو جعفر رحمه الله تعالى يقول: رأيت في المنام كأنّي واقف على قناطر جهنم، فنظرت إلى هول عظيم، فجعلت أُفكّر في نفسي كيف العبور على هذه الأهوال؟ فإذا قائل يقول مِنْ خلفي: يا عبد الله ضع حملك واعبر، فقلت له: وما حملي؟ فقال: ضع الدنيا واعبر، انتهى.

قلت: ومما وقع لي أنّني رأيت القيامة قامت والصّراط قد نُصِب والناس يتساقطون منه كالذرّ، فأردت الصعود عليه فلم أقدر وزلقت قدماي، فقال لي ملك هناك: أمَا تصعد؟ فقلت له: لا أقدر، فقال: لعلّ معك شيئًا من الدنيا؟ فقلت له: ما معي منها شيء؟ فقال لي: افتح كفّك الشمال، ففتحته فأخرج لي مقدار السفاية من بين أصبعيّ الخنصر والبنصر، وقال: هذه الدنيا، فاستيقظت من غير صعود على الصّراط، انتهى.

ورأيت مرّة أخرى الصّراط قد نُصِب والشيخ نور الدين الشوني رحمه الله تعالى شيخ مجلس الصّلاة على رسول الله ﷺ في الجامع الأزهر واقف مشمّر على الصراط شادّ وسطه وعليه مضربة من البعلبكي الأبيض، وهو يأخذ بيد أصحابه المصلّين على رسول الله ﷺ، فلا يزال أخذ واحدًا بعد واحد يُحاذيه حتى يُجاوز به الصّراط ثم يرجع فيأخذ آخر، وهكذا حتى جاوز الصّراط بأصحابه كلّهم، انتهى.

فأكثروا أيّها الإخوان من الصّلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه يحثّ أصحابه على ذلك، ويقول: بلغني أنها تُجيز صاحبها على الصراط بسرعة، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٢٠.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في العِلل المتناهية ١/ ٤١١.

باب ثلاث مواطن لا يخطؤها النبيّ ﷺ لعظم الأمر فيها وشدّته

روى الترمذي[١] عن أنس رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة؟ قال: «**أنا فاعل إن شاء الله تعالى**»، قلت: فأين أطلبك؟ قال: «**أوّل ما تطلبني على الصراط**»، قلت: فإذا لم ألقك هناك؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فإني لا أُخطىء هذه الثلاث مواطن**»، انتهى. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أما ثلاث مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا عند الميزان، وعند تطاير الصحف، وعند الصّراط.

نسأل الله العافية بمنِّه وكرمه لنا ولجميع إخواننا المسلمين آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في تلقّي الملائكة الأنبياء عليهم السلام وأُممهم بعد الصّراط وهلاك أعدائهم

كان عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيًا نبيًا وأُمّة أُمّة حتى يكون آخرهم مركزًا محمّد ﷺ وعليهم أجمعين وأُمّته، ويُضرب الجسر على جهنّم وينادي مُنادٍ: أين أحمد وأُمّته؟ فيقول نبيّ الله ﷺ وتتبعه أُمّته برّها وفاجرها، فإذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا يمينًا وشمالًا، ويمضي النبيّ ﷺ والصالحون معه، فتتلقّاهم ملائكة ربّنا فيدلّونهم على طريق الجنّة، على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربّه، فيُوضع له كرسيّ عن يمين الرحمٰن، ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله ويتبعه برّ أُمّته وفاجرها، حتى إذا كانوا على الصّراط طمس الله أبصار أعدائه، فتهافتوا في النار يمينًا وشمالًا، فيمضي عيسى والصالحون معه، فتتلقّاهم ملائكة يدلّونهم على طريق الجنّة، على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربّه، فيُوضع له كرسيّ من الجانب الآخر، ثم يدعى نبيّ بعد نبيّ وأُمّة بعد أُمّة، حتى يكون آخرهم نوح ﷺ، رحم الله نوحًا، انتهى.

---

(١) كتاب القيامة باب ٩.

فنسأل الله من فضله أن يُمِيتنا على ملّة سيّدنا محمّد ﷺ، حتى نُجاوز الصراط معه، آمين.

باب ذكر الصّراط الثاني، وهو القنطرة التي بين الجنّة والنار

اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين، أحدهما: مجاز لأهل المحشر كلّهم ثقيلهم وخفيفهم إلّا مَنْ دخل الجنّة بغير حساب أو يلتقطه عنق النار الذي يخرج منها، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله تعالى منهم أنّ القصاص لا يستنفد حسناتهم، حُبِسوا على صراطٍ آخر خاصّ بهم، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله تعالى؛ لأنّهم قد عبروا الصّراط الأوّل المضروب على ظهر جهنم الذي يسقط فيه مَنْ أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه.

وروى البخاري[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنّة والنار، فيقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدُّنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنّة، فوالذي نفس محمّد بيده لأحدهم أهدى في الجنّة بمنزله كان في دار الدنيا**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ومعنى يخلص المؤمنون من النار أنّهم يخلصون من الصراط المضروب على النار، فإذا أرادوا دخول الجنّة تلقاهم رضوان وأصحابه، وقالوا لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣]، نسأل الله تعالى اللّطف بنا وبجميع إخواننا في ذلك اليوم آمين.

باب مَن يدخل النار من الموحدين يموت ويحترق ثم يخرج بالشفاعة

روى مسلم[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمّا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال - بخطاياهم، فأماتهم الله**

(١) كتاب الرقاق باب ٤٨، والمظالم باب ١. (٢) كتاب الإيمان حديث ٣٠٦.

حتى إذا كانوا فحمًا أذن لهم في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنّة، فقيل: يا أهل الجنّة أفيضوا عليهم من الماء، فينبتون نبات الحبّة في حميل السيل»، فقال رجل من القوم: كأنّ رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية.

قال العلماء رحمهم الله: وهذه الموتة موتة حقيقية للعصاة من الموحّدين حتى لا يحسّوا بألم العذاب بعد الاحتراق إكرامًا لنبيّهم ﷺ؛ بخلاف الكفّار، فإنهم لا يموتون في النار ولا يحيون، بل كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب، نسأل الله العافية.

باب ترتيب الشفعاء وفيمن يشفع لهم قبل دخول النار من أجل أعمالهم الصالحة، والشافع في هؤلاء هم الصالحون وأهل المعروف

رُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: «**تُصَفّد أهل النار فيُقرنون فيمرّ بهم الرجل من أهل الجنّة، فيقول الرجل منهم: يا فلان أمَا تذكر رجلًا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا؟ فيقول: إنك أنت هو، فيقول: نعم، قال: فيشفع فيه فيشفّع، ويقول الرجل منهم: يا فلان ـ لرجل من أهل الجنّة ـ أمَا تذكر رجلًا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا، فيقول: نعم، فيشفع له فيُشفَّع فيه**»، انتهى. وأخرجه ابن ماجه[1] في سننه بمعناه. وروى ابن ماجه[2] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**». وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: يشفع نبيّكم محمّد ﷺ رابع أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيّكم محمد ﷺ، ثم الملائكة، ثم النبيّون، ثم الصدِّيقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم، فيقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثّر: الآيات ٤٢ ـ ٤٨]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فهؤلاء هم الذين يبقون في جهنم.

---

(١) كتاب الصيام باب ٥٣. (٢) كتاب الزهد باب ٣٧.

وروى الترمذي[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلنّ الجنّة بشفاعة رجل من أُمّتي أكثر من بني تميم**»، قالوا: يا رسول الله سواك؟ قال: «**سواي**»، وفي رواية البيهقي: «**يدخل بشفاعة رجل من أُمّتي الجنّة مثل أحد الحيَّين ربيعة ومضر**»، قال رجل: يا رسول الله ما ربيعة من مضر؟ قال: «**إنما أقول ما أقول**». وروى الترمذي[٢] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من أُمّتي من يشفع للقوم، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنّة**»، وفي رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة**».

وذكر القاضي عياض عن كعب رضي الله عنه أنّه قال: لكلّ رجل من الصحابة رضي الله عنهم شفاعة. ورُوِيَ عن عبد الرحمٰن بن زيد بن جابر أنّه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون من أُمّتي رجل يُقال له صلة بن أشيم يدخل بشفاعته كذا وكذا**»[٣]، انتهى.

قلت: ولعلّ صلة هذا هو أحد الأربعة الذين كان الخليفة عيَّنهم للقضاء، وقيل له: إن فاتك هؤلاء الأربعة، فما بقي أحد يصلح للقضاء، وكان من أكابر صالحي العلماء، وهم: أبو حنيفة وسفيان وصلة ابن أبي أشيم وشريك؛ فلمّا بلغ ذلك الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال: أنا أُخمّن لكم تخمينًا. أما أنا فأُحبس ولا أُبالي. وأما سفيان، فيهرب. وأمّا شريك، فيقع. وأما صلة، فيتحامق ويتخلّص. وكان من تحامقه رضي الله عنه أنّه لمّا أُدخل على الخليفة لم يسلِّم عليه، وقال له: إيش طبخت اليوم؟ وكم لك من حمار؟ فقال له الخليفة: أخرجوه هذا لا يصلح للقضاء، انتهى. والله أعلم.

فنسأل الله من فضله وإحسانه أن يُلهم أحدًا من الشافعين في ذلك اليوم أن يشفع فينا إنه غفور رحيم.

---

(١) كتاب القيامة باب ١٢.
(٢) كتاب القيامة باب ١٢.
(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٥٨٩.

باب في الشافعين وذكر الجهنميّين

روى ابن ماجه[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: ربّ منعته الطعام والشراب بالنهار فشفّعني فيه، ويقول القرآن: يا ربّ أسهرته ليلًا فشفّعني فيه، فيشفّعان**». وروى ابن ماجه[(٢)] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ المؤمنين الذين لم يدخلوا النار يشفعون في إخوانهم الذين دخلوا النار، فيقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا معنا في دار الدنيا يصومون معنا ويصلّون معنا ويحجّون، فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا منهم مَنْ أخذته النار إلى ساقه، ومنهم مَنْ أخذته إلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا بإخراجه، فيقول لهم: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممّن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربّنا لم نذر فيها ممّن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا**»، وفي رواية: «**مثقال حبّة من خردل، فأخرجوه**»، الحديث. «**فيقول الله عزّ وجلّ: شفعت الملائكة وشفع النبيّون وشفّع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من نار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر على باب الجنّة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبّة في حميل السيل**»، وفي رواية: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنّة، ويقولون: هؤلاء الذين أدخلهم الله الجنّة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، ثم يقول لهم: ادخلوا الجنّة، فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: ربنا وأيّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**». وفي الحديث: «**إنّ الله تعالى قال: وعزّتي وجلالي لأخرجنّ ـ يعني من النار ـ مَنْ قال لا إلـه إلا الله مرّة في عمره ومات على ذلك**»[(٢)]. وروى الترمذي

---

(١) كتاب القيامة باب ١٨٩.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

وصححه غيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي**»، زاد في رواية لأبي داود الطيالسي: «**فمن لم يكن من أهل الكبائر، فما له وللشفاعة**»[١]. وفي رواية: «**إنما تكون شفاعتي للمذنبين الخاطئين الملوّثين**»، وفي رواية: «**نعم أنا لشرار أُمّتي**»، قالوا: فكيف أنت لخيارهم يا رسول الله؟ فقال: «**خيارهم يدخلون الجنّة بأعمالهم، وأمّا شرارهم فيدخلون الجنّة بشفاعتي**»، انتهى. فنسأل الله تعالى من فضله أن يُميتنا على التوحيد بمنّه وكرمه، آمين.

باب يُعْرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ وفيه بعد قوله: «**ومنهم المجازى ـ يعني بعمله ـ حتى ينجو حتى إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد مِنْ أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار مَنْ كان لا يُشْرك بالله شيئًا؛ فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممّن يقول: لا إلـه إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصبّ عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل**»[٢] الحديث.

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارة وجوههم حتى يدخلون الجنّة**»، وفي هذا الحديث دليل على أن أهل الكبائر من الموحّدين لا يسودّ لهم وجه ولا تزرقّ لهم عين ولا يغلون بخلاف الكفار، ويؤيّده حديث الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أُمّتي ثم**

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب ٢١، والترمذي في القيامة باب ١١، وابن ماجه في الزهد باب ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب ١٥، ومسلم في الإيمان حديث ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦.

ماتوا عليها، فهم في الباب الأوّل من جهنم لا تسودّ وجوههم ولا تزرقّ أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يُقرنون بالشياطين ولا يُضربون بالمقامع ولا يُطرحون في الأدراك، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يومًا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثًا فيها من يمكث مثل الدنيا منذ خُلِقت إلى يوم أُفْنِيت، وذلك سبعة آلاف سنة» الحديث.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه كشف علوم الآخرة: أنه يُؤتى بأهل الكبائر من أُمّة محمّد ﷺ شيوخًا وعجائز وكهولًا ونساءً وشبابًا، فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال: من أنتم معاشر الأشقياء، فإني أرى أيديكم تُغَلّ ولم تُوضع عليكم الأغلال والسلاسل ولم تسودّ وجوهكم، وما ورد عليّ أحسن منكم، فيقولون: يا مالك نحن أشقياء أُمّة محمّد ﷺ دعنا نبكي على ذنوبنا، فيقول لهم: ابكوا فلن ينفعكم البكاء، فكم من شيخ وضع يده على لحيته، ويقول: واشيبتاه! واطول حسرتاه! واطول مقاماه! واضعف قوّتاه! وكم من كهلٍ ينادي: وامصيبتاه! واطول مقاماه! وكم من شاب ينادي: وا أسفاه! واشباباه! على تغيير حسناه، وكم من امأة قد قبضت على ناصيتها وشعرها، وهي تنادي: واسوأتاه واهتك ستراه! فيبكون ألف عام، فإذا النداء من قِبَل الله تعالى: يا مالك أدخلهم النار الباب الأوّل منها، فإذا همّت النار أن تأخذهم يقولون بأجمعهم: لا إلـه إلا الله، فتنفر النار عنهم خمسمائة عام، ثم يأخذون في البكاء فتشتدّ أصواتهم، وإذا النداء من قِبَل الله تعالى: يا نار خذيهم، يا مالك خذيهم، يا مالك أدخلهم الباب الأوّل من النار؛ فعند ذلك يُسْمع لهم صلصلة كالرعد القاصف، فإذا همّت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك وجعل يقول: لا تحرقي قلبًا فيه القرآن وكان وعاءً للإيمان، فإذا بالزبانية قد جاؤوا بالحميم ليصبّوه في بطونهم، فيزجهم مالك فيقول: لا تدخلوا الحميم بطونًا أخمصها رمضان، ولا تحرق النار جباهًا سجدت لله تبارك وتعالى، فيعودون فيها حممًا كالغاسق المحلولك ـ أي الأسود ـ والإيمان يتلألأ في قلوبهم؛ فنسأل الله تعالى من فضله أن لا يسلبنا التوحيد والإيمان إنه كريم منّان، آمين.

باب ما يُرْجى من رحمة الله تعالى وعفوه يوم القيامة

كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول: قول الله عزّ وجلّ لعباده المخلصين: جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنّة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم.

وفي الحديث: «**ينادي منادٍ من تحت العرش: يا أُمّة محمد، أمّا ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات، فتوهبوا فيما بينكم وادخلوا الجنّة برحمتي**»[١]. ويُرْوَى أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣]، فقال له أعرابي: والله ما كان الله لينقذهم منها وهو يريد أن يُوقعهم فيها، فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه. وروى مسلم[٢] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من شهد أن لا إلـه إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله حرّم الله عليه النار**». وروى مسلم[٣] أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى خلق يوم خلق السمٰوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طِباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة؛ فَبِها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**». وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «**لا تزال رحمة الله تعالى بالناس يوم القيامة، حتى إن إبليس ـ لعنه الله ـ ليهتزّ صدره ويترجّى أن تناله رحمة الله**». وفي رواية: «**حتى إن إبليس ليتطاول إليها رجاء أن ينال منها شيئًا**». وروى البخاري والترمذي وغيرهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها**»[٤]. وروى مسلم عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ سَبْي، فإذا امرأة من السَّبي تأخذ صليبًا فتُلْصقه ببطنها وتُرضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار**»؟ قلنا: لا والله يا رسول الله وهي تقدر أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٥]، ورواه البخاري أيضًا.

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٥٦١.
(٢) كتاب الإيمان حديث ٤٧.
(٣) كتاب التوبة حديث ٢١.
(٤) انظر الحاشية التالية.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب باب ١٨، ومسلم في التوبة حديث ٢٢.

ورُوِيَ عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنه قال: دخلت على جارٍ لي مريض، فرأيته يجود بنفسه وعنده عمّ له وهو يقول له: يا عدوّ الله ألم آمرك بكذا؟ ألم أنهك عن كذا؟ فقال الشابّ: يا عمّ لو رفعني الله تعالى لوالدتي ما كانت صانعة بي؟ هل تدخلني الجنّة أو النار؟ فقال: تُدخلك الجنّة، فقال الشاب: والله إنّ الله تعالى أرحم بي من والدتي، ثم قُبِض. قال عمّه: فدخلت معه القبر فوجدته قد اتّسع مدَّ البصر وامتلأ القبر نورًا، انتهى. وروى الترمذي[١] وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ رجلين ممن دخل النار اشتدّ صياحهما في النار، فأمر الله تعالى بإخراجهما وقال لهما: لأيّ شيء اشتدّ صياحكما؟ فقالا: فعلنا ذلك لترحمنا يا ربّ، فقال: إنّ رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما في النار حيث كنتما، فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه، فيجدها بردًا وسلامًا ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول الله تعالى له: لِمَ لَمْ تلقِ نفسك كما فعل صاحبك؟ فيقول: يا ربّ إني ظننت بك أن لا تردّني إليها بعد إذ أخرجتني منها، فيقول الله تبارك وتعالى: لك رجاؤك، فيدخلان الجنّة برحمة الله عزّ وجلّ**»، وفي الحديث: «**يقول الله عزّ وجلّ: أخرجوا من النار مَنْ ذكرني يومًا أو خافني في مقام**»[٢]. ورُوِيَ عن مسلم بن يسار رضي الله عنه أنّه قال: «**يأمر الله تعالى بعبدٍ إلى النار لم يعمل حسنة وله سيئات كثيرة، فإذا أخذته الزبانية يصير يلتفت إلى ورائه، فيقول الله عزّ وجلّ: قفوا به، فيُوقف فيقول الله تعالى له: ما لك تلتفت؟ فيقول: والله يا ربّ ما كان هذا ظنّي فيك، فيقول الله تعالى له: صدقت، فيُؤمر به إلى الجنّة**»[٣]. وفي رواية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا فرغ الله تعالى من حساب الخلائق يوم القيامة يبقى رجلان، فيُؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما فيقول له الربّ جلّ وعلا: ما لك تلتفت؟ فيقول: يا ربّ كنت أرجو أن تدخلني الجنّة، فيُؤمر به إلى الجنّة**». قال عبادة رضي الله عنه: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر هذا الحديث يرى السرور في وجهه[٤]، انتهى. وفي الحديث: «**أن الله تعالى يقول للمؤمنين يوم القيامة: هل**

---

(١) كتاب جهنم باب ١٠.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٥٥٩.

(٣) الحديث لم أجده.

(٤) أخرجه بنحوه السيوطي في الدرّ المنثور ٣/ ٦.

أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما حملكم على ذلك؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: قد أوجبت لكم رحمتي ورضائي»[1]. وروى الحافظ أبو نعيم: «**أن رجلًا في الأمم الماضية كان يشدّد على نفسه في العبادة ويبلغ في الاجتهاد فيها ويقنط الناس من رحمة الله عزّ وجلّ، فمات فقال: يا ربّ ما لي عندك؟ فقال: النار، فقال: يا ربّ، فأين عبادتي واجتهادي؟ فقال له الربّ جلّ وعلا: إنك كنت تُقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتي**»، انتهى. وكان الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: الفقيه هو من لم يؤيس الناس من رحمة الله تعالى ولم يرخّص لهم في معصية الله، والحمد لله ربّ العالمين.

باب حفّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات

روى الشيخان وغيرهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات**»[2]. وفي رواية للترمذي[3] أن رسول الله ﷺ قال: «**لمّا خلق الله الجنّة أرسل جبريل إلى الجنّة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاء جبريل عليه السلام ونظر إليها وإلى ما أعدّه الله تعالى لأهلها فيها، قال: فرجع إليه قال: فوعزّتك لا يَسْمع بها أحد إلّا دخلها، فأمر بها فحفّت بالمكاره، وقال: ارجع إليها، فانظر ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره، فرجع إليه تعالى وقال: فوعزّتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد؛ ثم قال له: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، فإذا هي يركب بعضها بعضًا، فرجع إليه فقال: وعزّتك لقد خفت أن لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفّت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزّتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلّا دخلها**» انتهى.

قال العلماء: والمكاره كل ما يشقّ على النفس فعله ويصعب عليها عمله؛ كالطهارة في شدّة البرد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٥٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة حديث ١، وأبو داود في السنة باب ٢٢.

(٣) كتاب الجنّة باب ٢١.

يُقاسيه من أهل المنكر، والصبر على المصائب وجميع المكروهات. وأمّا الشهوات، فهو كل ما يُوافق هوى النفس ويُلائمها وتدعو إليه ويوافقها؛ كترك الطهارة عند النوم في البرد، وترك قيام اللّيل، وترك التورّع في المأكل والمنطق ونحو ذلك. وأصل الحفاف هو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصّل إليه إلّا بعد أن يتخطّى، وقد مثّل النبيّ ﷺ المكاره والشهوات المحيطة بالجنّة والنار بما هذه صورته:

فقد الولد
فقد المحب
الصبر
الألم
الفقر

الكبر
العجب
الزنا
الرّبا
العقوق

قلت: أجمع القوم على أنه لا بدّ لمن يريد ترك الشهوات وارتكاب الشدائد من السلوك على يد شيخ صادق يلطف كثافته ويرقّق حجّابه حتى يشهد الجنّة والنار، كأنهما رأي عين، وإلا فصاحب الحجاب لا يقدر على ترك الشهوات ولا ارتكاب المكروهات، والله تعالى أعلم.

باب احتجاج الجنة والنار، وصفة أهلهما

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجّت النار والجنّة، فقالت النار: يدخلني الجبّارون والمتكبّرون، وقالت الجنّة: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله عزّ وجلّ للنار: أنت عذابي أعذّب بك مَنْ أشاء؛ وقال للجنّة: أنت رحمتي أرحم بك مَنْ أشاء، ولكلّ واحدة منكما عليَّ ملؤها**»[١].

قال العلماء: والمراد بالضعفاء كلّ من تبرّأ من حول نفسه وقوّتها في كل يوم عشرين مرة أو خمسين مرة، كما في رواية.

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٥، باب ١، ومسلم في الجنّة حديث ٣٤، ٣٥، ٣٦.

وأمّا المساكين، فالمراد بهم المتواضعون، وهم المشار إليهم في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**اللّهمّ أحْيِني مسكينًا وأمِتْني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين**»(١). وروى مسلم عن عياض بن حماد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة: «**أهل الجنّة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدّق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفّف ذو عيال**»(٢). وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخبركم بأهل الجنّة؟ كلّ ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتلّ جوّاظ جعظري مستكبر**»(٣)، وفي رواية: «**كل زنيم مستكبر**»، والزنيم هو الشخص المعروف بالشرّ، وقيل: هو اللّئيم. وأمّا الزنيم المذكور في القرآن العظيم، فهو رجل معين كان له زنمة كزنمة التيس، والعتلّ هو الجافي الشديد الخصومة، والجوّاظ هو الجموع المنوع، وقيل: هو الأكول الشروب الظّلوم، وقيل: الجوّاظ هو الكثير اللّحم المختال، وقيل: الجافي الغليظ القلب والفظّ الغليظ الذي لا ينقاد لخير، وكذلك الجعظري، وقيل: هو الذي لا يحصل له صداع في رأسه، وفي الحديث: «**أنتم شهداء الله تعالى في الأرض، فمن أثنيتم عليه شرًّا وجبت النار**»(٤). وفي الحديث أيضًا: «**وأهل النار كل بخيل كذّاب**»، وفي الحديث أيضًا: «**أهل النار كل فحاش خائن**»، وفي رواية: «**أهل النار كل شنظير**»، أي سيّء الخلق، وفي رواية: «**أهل النار كل ضعيف العقل خدّاع لا يعبأ بأمر دينه**».

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: من علامات أهل الجنّة كثرة محبّة الناس لهم حتى كان إذا مرّت عليه جنازة يرسل شخصًا ينظر من يصلّي عليها هل هم كثير أو قليل، فإن كانوا كثيرًا قال: مِنْ أهل الجنّة وربّ الكعبة، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: الآية ٩٦]، أي في قلوب المؤمنين في حياتهم وبعد مماتهم، انتهى.

---

(١) أخرجه الترمذي الزهد باب ٣٧، وابن ماجه في الزهد باب ٧.
(٢) أخرجه مسلم في الجنّة حديث ٦٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٢٥، ٤٧٩.
(٣) أخرجه البخاري في الأيمان باب ٩، والأدب باب ٦، ومسلم في الجنّة حديث ٤٦.
(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٨٥، ومسلم في الجنائز حديث ٦٠.

وفي الحديث: «**إذا أحبّ الله تعالى عبدًا قال لجبريل عليه السلام: إني أحبّ فلانًا فأحبّه، فيحبّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إنّ الله يحبّ فلانًا فأحبّوه، قال: فيحبّه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض، وذكر في البغضاء مثل ذلك**»[1]، رواه الشيخان.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: والحسّ يصدّق ذلك، فلم يزل العلماء والصالحون في كل عصر يعكف الناس على اعتقادهم والمحبّة لهم، ولا تكاد ترى أحدًا يكرههم إلا وفي قلبه نفاق وعلى وجهه ظلمة وقترة، وقد يكون المحبّون للعلماء والصالحين من طوائف الجنّ أكثر من طوائف الإنس، فيتبع جنازة أحدهم آلاف من الجنّ كما وقع في جنازة عمر بن قيس الفاسي؛ فرُوِي أنه اجتمع في جنازته خلائق لا يحصون، فلما دُفِن نظر الناس، فلم يروا أحدًا من أولئك الناس الذين صلّوا، فقالوا: إنهم كانوا من الجنّ، وكان عمر بن قيس هذا من الصالحين الذين كان سفيان الثوري وأضرابه يتبرّكون به وبالنظر إلى وجهه، ولمّا مات الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه صلّى عليه أهل بغداد، فحزروهم نحوًا من سبعمائة ألف، وسمعوا مراثي الجنّ فيه وأسلم من اليهود والنصارى في ذلك اليوم نحو من ثلاثين ألفًا لما رأوا من كثرة إكباب الناس على جنازته، وبلغنا أن الخليفة المتوكّل أمر أن تمسح الأرض التي وقف المصلّون على الجنازة فيها، فوجدوها موقف ألفي ألف وثلاثمائة ألف أو نحوها، ولما انتشر خبر موته رضي الله عنه أقبل الناس من البلاد والقرى يصلّون على قبره، فصلّى عليه خلائق لا يعلم عددهم إلا الله عزّ وجلّ. ولمّا مات سهل بن عبد الله التستريّ رضي الله تعالى عنه صلّى عليه خلائق لا يحصي عددهم إلا الله. ورأى يهوديّ كان قد طُعِنَ في السنّ الملائكة ينزلون من السماء أفواجًا أفواجًا يتمسّحون بالجنازة، فأسلم وحَسُن إسلامه. ويقال: إن الكعبة لن تخلو من طائف يطوف بها إلا يوم مات المغيرة بن حكيم رضي الله عنه، فازدحم الناس على جنازته يتبرّكون به وتركوا كلّهم الطواف حتى شيّعوه وواروه في قبره.

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ٦، والأدب باب ٤١، ومسلم في البرّ حديث ١٥٧.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقد شُوهِد جنائز كثير من الصّالحين يشيّعها الطير وتسير معها حيث سارت حتى تُدْفن؛ منهم أبو الفيض ذو النون المصري، والإمام إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي وتحدّث بذلك الثقات.

فعليكم أيُّها الإخوان بالاقتداء بالعلماء والصالحين في زهدهم وورعهم وخوفهم من الله تعالى ليحبّكم الله تعالى كما أحبّهم، وينادي جبريل في السماء بمحبّتكم ويوضع لكم القبول في الأرض، فلا يكرهكم إلا منافق، واجتنبوا الصفات التي أخبر نبيّكم ﷺ أنها من صفات أهل النار؛ كما في حديث مسلم[١] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من كذا وكذا**». وكان بعض السلف الصالح يقولون: من علامة أهل الجنّة صفاء القلوب من سوء الظنّ بالمسلمين، وكثرة الخوف من الله تعالى؛ كما أشار إليه قوله ﷺ: «**ليدخلنّ الجنّة أقوام أفئدتهم كأفئدة الطير**»[٢]، أي لأن الطير أكثر الحيوانات خوفًا وحذرًا، لا سيّما الغراب، فإنهم قالوا في الرجل الفَطِن في أمر دينه: إنه أحذر من غراب؛ فمن وجد منكم أيّها الإخوان في قلبه خوفًا وهيبة من الله يحجزه عن معاصيه، فليبشر فإنه من أهل الجنّة. ومن وجد نفسه بالضدّ من ذلك، فليتجهّز للنار.

ومن علامات أهل الجنّة أن يكون العبد سليمًا من الذنوب وأكل الشهوات أبله عن معاصي الله عزّ وجلّ؛ كما أشار إليه حديث البيهقي وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**أكثر أهل الجنّة البله**»[٣].

قال العلماء: وأراد به هنا مَنْ كان مطبوعًا على الخير وهو غافل عن الشرّ جملة. وقال بعضهم: الأبله هو الذي يكون صدره سالمًا من كلّ شيء يُغضب الله تعالى وحُسْن الظنّ بالناس، وكذلك من علامة أهل النار كثرة محبّة

(١) كتاب اللّباس حديث ١٢٥، والجنة حديث ٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في الجنّة حديث ٢٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣١.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٧٩، ١٠/ ٢٦٤.

الدنيا، كما عليه الأغنياء والنساء، وقد ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**اطّلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء والمساكين، واطّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»، قالوا: لِمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهنّ**»، قيل: أيكفرن بالله يا رسول الله؟ قال: «**يكفرن العشير ـ يعني الزوج ـ ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهنّ الدهر كلّه ثم رأت منك ما تكره، قالت: ما رأيت منك خيرًا قطّ**»[١]، وفي رواية: «**أمّا الأغنياء، فإنهم يُحاسبون ويمحصون. وأما النساء، فألهاهنّ الذهب والحرير**». وروى ابن أبي الدُّنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء شوهاء، فتُشرف على الخلائق، فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تحاسدتم عليها وتباغضتم وقطعتم بها الأرحام، ثم يُقذف بها في نار جهنّم، فتنادي وتقول: أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عزّ وجلّ: ألْحِقُوا بها أتباعها وأشياعها**»، فنسأل الله تعالى العافية من محبّة الدنيا لنا ولجميع إخواننا آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء أن العرفاء في النار

روى أبو داود وغيره: أن رجلًا أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أبي شيخٌ كبير وهو عريف الماء، وإنه يسألك أن تجعل العرافة إليّ بعده، فقال: «**إن العرافة حقّ، ولا بدّ للناس من عرفاء، ولكن العرفاء في النار**»[٢].

قال العلماء: والعريف هو القيّم بأمر القبيلة والمحلّة يلي أُمورهم ويتعرّف أخبارهم الأُمراء وغيرهم. وأمّا قوله: إن العرافة حقّ، أي لما فيها من العمل على مصالح الناس والرّفق بهم. وأمّا قوله: في النار، أي لما فيها من الرّياسة والتآمر على الناس، فهو تحذير من دخول النار إذا لم يتّق الله فيها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب ٨٨، والرقاق باب ١٦، ٥١، وبدء الخلق باب ٨.

(٢) أخرجه أبو داود في الإمارة باب ٥.

وفي حديث أبي داود الطيالسي رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ قال: «**وَيْل للأُمراء، وويلٌ للأُمناء، وويلٌ للعرفاء**»[١] الحديث؛ فإيَّاكم أيّها الإخوان أن تكونوا عرفاء في سوق أو في مظلمة نزلت على الناس، والحمد لله ربّ العالمين.

باب لا يدخل الجنّة صاحب مكس ولا قاطع رحم

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة قاطع**»[٢]، قال سفيان الثوري: أي قاطع رحم. وروى أبو داود أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنّة صاحب مكس**»[٣]، وصاحب المكس هو الذي يعشّر أموال الناس ويأخذ من التجّار وغيرهم ما لا يجب عليهم إذا مرّوا به على وجه المكس، أي العشر كما هو معروف في هذا الزّمان وغيره؛ فإيَّاكم أيها الإخوان من ذلك ذلك، ثم إيَّاكم والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أوّل ثلاثة يدخلون الجنّة، وأوّل ثلاثة يدخلون النار، وفي أوّل من تسعر بهم جهنم

رُوِيَ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أوّل ثلاثة يدخلون الجنّة: الشهيد، ورجل عفيف متعفّف ذو عيال، وعبدٌ أحسن عبادة ربّه وأدّى حقّ مواليه. وأوّل ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدّي حقّه، وفقير فخور**»[٤]. وروى مسلم وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أوّل الناس يقضي عليه يوم القيامة رجلٌ استشهد فأُتِيَ به فعرّفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلّم العلم وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٢.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ١١، ومسلم في البر حديث ١٨، ١٩.
(٣) أخرجه أبو داود في الإمارة باب ٧، والدارمي في الزكاة باب ٢٨.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٥.

عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنّك تعلَّمت العلم ليُقال عالم وقرأت القرآن ليُقال قارىء، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار. ورجلٌ وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأُتِيَ به فعرّفه نعمه فعرفها، فقال له: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحبّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها، قال: كذبت، ولكنك فعلت ذلك ليُقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «**فهؤلاء الثلاثة أوّل من تسعر بهم النار يوم القيامة**»[١]، انتهى. فنسأل الله من فضله أن يلطف بنا وبجميع العلماء وقرّاء القرآن آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب فيمن يدخل الجنّة بغير حساب

روى مسلم وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنّة من أُمّتي سبعون ألفًا بغير حساب**»، قالوا: مَنْ هم يا رسول الله؟ فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يتطيّرون ولا يكتوون وعلى ربّهم يتوكّلون**»[٢]. وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربّي أن يُدخل الجنّة من أُمّتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كلّ سبعين ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربّي عزّ وجلّ**»[٣]. وروى أبو عبد الله الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى أعطاني سبعين ألفًا يدخلون الجنّة بغير حساب**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله فهلا استزدته؟ قال: «**قد استزدته فأعطاني مع كلّ واحدٍ من السبعين سبعين ألفًا**»، فقال عمر: يا رسول الله فهلّا استزدته ثانيًا؟ فقال: «**قد استزدته، فأعطاني هكذا**»[٤] وفتح الراوي يديه، انتهى. قال هشيم رحمه الله تعالى: وهذا من الله لا يُدْرى عدده.

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة حديث ١٥٢، والترمذي في الزهد باب ٤٨.
(٢) أخرجه البخاري في الطبّ باب ١٧، ومسلم في الإيمان حديث ٣٧١، ٣٧٢.
(٣) أخرجه الترمذي في القيامة باب ١٢، وأحمد في المسند ٢٦٨/٥.
(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٢٠٩٩.

قال العلماء: ومعنى الحديث السابق أوّل الباب أنّ غير من لم يسترقّ ولم يتطيّر ولم يكتوِ من المؤمنين لا يكونون من السبعين المذكورة، وإنْ كان من أهل الجنّ بعمل آخر فيُحاسب كغيره ثم يدخل الجنّة.

قال الإمام القرطبي في الأصل ما معناه: إن بعض الصحابة قد اكتوى ولا بدع في أن يرجى كونه من السبعين ألفًا، والله أعلم.

وروى ابن مردويه والحافظ السلفيّ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يدخلون الجنّة بغير حساب: رجلٌ غسل ثوبه فلم يجد له خلفًا يلبسه، ورجلٌ لم ينصب على مستوقده قدرين قطّ، ورجلٌ دعا بشراب فلم يقل له أيّهما تريد**»[1]. وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «**من حفر بئرًا بفلاة من الأرض إيمانًا واحتسابًا دخل الجنّة بغير حساب**». وكان عليّ بن الحسين رضي الله عنهما يقول: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيّكم أهل الفضل؟ قوموا، قال: فيقوم ناس قليلون، فيقال: انطلقوا إلى الجنّة، فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنّة، فيقولون: قبل الحساب! قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين كنّا إذا جُهِل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أُسيءَ إلينا عفونا، قالوا لهم: ادخلوا الجنّة، فنِعْم أجر العاملين. ثم يُنادي مُنادٍ: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس قليلون، فيقال لهم: ادخلوا الجنّة، فتتلقّاهم الملائكة، فتقول لهم مثل ذلك ويقولون لهم: فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر على طاعة الله وعن معصية الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنّة فنِعْم أجر العاملين. ثم ينادي منادٍ: ليقم الذين كانوا يزاورون في الله ويتجالسون في الله ويتباذلون في الله، فيقال لهم: ويقولون فيقولون لهم: ادخلوا الجنّة، فنِعْم أجر العاملين».

وروى الحافظ أبو نعيم عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «**إذا جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحد نادى منادٍ من بطنان العرش: أين أهل المعرفة بالله عزّ وجلّ، فيقوم جماعة من الناس حتى يقفوا بين يديّ الله عزّ وجلّ، فيقول تعالى،**

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٩/ ٢١٢، ٢٨٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦٠٧٨، ٤٣٣٤٤.

وهو أعلم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل المعرفة بك الذين عرّفتنا إياك وجعلتنا أهلًا لذلك، فيقول تعالى: صدقتم ادخلوا الجنّة برحمتي»، والأحاديث في ذلك كثيرة؛ فنسأل الله من فضله أن يجعلنا ممّن يعمل الصالحات إلى الممات دون السيّئات، آمين.

باب أُمّة محمّد ﷺ شطر أهل الجنّة وأكثر

روى مسلم[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم، فيقول: لبّيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: يا ربّ وما بعث النار؟ قال: مِنْ كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذلك حين يشيب الوليد وتضع كلّ ذات حِمْلٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد**». قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فاشتدّ ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أيُنا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلًا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنّة**»، فحمدنا الله وكبّرنا، ثمّ قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنّة**» فحمدنا الله وكبّرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنّة، إنّ مثلكم في الأُمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار**». وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**تكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرين صفًّا طول كل صفّ مسيرة أربعين ألف سنة، وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة**»، قيل: يا رسول الله كم المؤمنون؟ قال: «**ثلاث صفوف**»، فقيل له: والمشركون؟ قال: «**مائة وسبعة عشر صفًّا**»، قيل: فما صفّ المؤمنين من الكافرين؟ قال: «**المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود**»، ذكره القتيبي.

وفي الحديث: «**إن أُمّتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة: إن الناس يوم القيامة عشرون ومئة صفّ، وأنتم منهم ثمانون صفًّا، والأربعون من سائر الأُمم**»[2]، قال الترمذي: حديث حسن، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) كتاب الإيمان حديث ٣٧٩، والفتن حديث ١١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١/ ٤٧٠.

أبواب جهنم وما جاء في أهوالها وأسمائها

فمن أسمائها: لظى، وسقر، وهاوية، وهي النار الحامية والجحيم وجهنّم.

وفي الحديث: «**إن النار تأكل أهلها حتى إذا اطّلعت على أفئدتهم انتهت ثم تعود كما كانت ثم تستقبل العبد أيضًا، فتطلع على فؤاده فهو كذلك أبدًا**»(١).

قال العلماء: وأصل النار للكافرين، ولكن الله تعالى خوّف بها الطُّغاة والمتمرّدين والعصاة من الموحّدين لينزجروا عمّا نهاهم الله عنه.

وفي الحديث: «**إنّ الله تعالى لمّا خلق النار فزعت الملائكة وطارت أفئدتها، فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون**». وكان ميمون بن مهران رضي الله عنه يقول: لمّا خلق الله تعالى جهنّم أمرها أن تزفر، فزفرت فلم يبقَ في السمٰوات السبع ملك إلا خرَّ على وجهه، فقال لهم الجبّار جلَّ وعلا: ارفعوا رؤوسكم، أمَا علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي؟ فقالوا: ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨].

ورُوِيَ عن زيد بن أسلم أنّه قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ومعه إسرافيل، فسلَّما على رسول الله ﷺ، وإذا إسرافيل منكسر الطرف، فقال النبيّ ﷺ: «**يا جبريل ما لي أرى إسرافيل منكسر الطرف متغيّر اللّون؟ فقال: إنه لاحت له آنفًا حين هبط لفحة من جهنم، فذلك الذي كسر طرفه**». وبلغنا: أن فتًى من الأنصار غلب عليه الخوف حتى حبسه ذلك عن الخروج من بيته، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فدخل ﷺ عليه فاعتنقه الفتى وخرّ ميتًا، فقال

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ١٨٥.

النبيّ ﷺ: «**جهّزوا صاحبكم، فإنَّ الخوف من النار فلذ كبده**» أي فلقها. ويُرْوَى عن عيسى عليه السّلام أنّه مرّ بأربعة آلاف امرأة متغيّرات الألوان عليهنّ مدارع الشعر والصُّوف، فقال عيسى عليه السلام: ما الّذي غيّر ألوانكنّ معاشر النّسوة؟ فقلن: ذكر النار غيَّر ألواننا يا ابن مريم، وإنّ من دخل النار لا يذوق فيها بردًا ولا شرابًا. ورُوِيَ: «**أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لمّا سمع قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٣]، **خرج هائمًا على وجهه هاربًا من شدّة الخوف لا يعقل شيئًا، فجِيءَ به إلى النبيّ ﷺ، فسأله فقال: يا رسول الله ﷺ قد قطعت هذه الآية قلبي؛ فأنزل الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٥]» الآية، نسأل الله من فضله أن ينجينا في هذه الدار من أعمال أهل النار آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء فيمن سأل الله الجنّة واستجار به من النار

روى الترمذي[١] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من سأل الله الجنّة ثلاث مرّات، قالت الجنّة: اللّهمّ أدخله الجنّة؛ ومَن استجار من النار قالت النار: اللّهمّ أجره من النار**». وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم حارّ ألقى الله تعالى سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إلـه إلا الله ما أشدّ حرّ هذا اليوم، اللّهمّ أجرني من حرّ نار جهنم، قال الله عزّ وجلّ لجهنّم: إنّ عبدًا من عبادي استجار بي منك، وإني أُشهدك أنّي قد أجرته. وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله تعالى سمعه وبصره إلى أهل السماء والأرض، فإذا قال العبد: لا إلـه لا الله ما أشدّ برد هذا اليوم، اللّهمّ أجرني من زمهرير جهنّم، قال الله لجهنّم: إنّ عبدًا من عبادي استجار بي من زمهريرك وإني أُشهدك أنّي قد أجرته**»، فقالوا: وما زمهرير جهنّم يا رسول الله؟ قال: «**جبٌّ يُلقى فيه الكافر فيتمزّق من شدَّة بردها بعضه من بعض**»[٢]. وروى النسائي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[٣]، ورواه الشيخان باختصار. وفي الصحيحين أيضًا أن النبيّ ﷺ قال: «**من استطاع**

---

(١) حديث ٢٥٧٢.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٠٠.

(٣) أخرجه النسائي في الصيام باب ٤٤، وابن ماجه في الصيام باب ٣٤.

منكم أن يستتر من النار ولو يشقّ تمرة، فليفعل»[١]. وروى أبو داود[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بُوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفًا**»، أي عامًا. وروى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطعم أخاه حتى أشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعّده الله من النار سبع خنادق، كلّ خندق مسيرة مائة عام**»[٣].

قال العلماء: ففي هذه الأحاديث أنّ الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مُوصِل إلى دخول الجنّة ومُبْعِد من النار؛ فعليكم أيّها الإخوان بالإكثار من جميع الطاعات، فإن كل طاعة منها تُوصل صاحبها إلى الجنّة، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أبواب جهنم وأنها أدراك وأنها تسعر كل يوم إلا يوم الجمعة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: الآية ١٤٥]، وهي سبع دركات، أي طبقات ومنازل.

قال العلماء: وإنما كان المنافقون في الدَّرْك الأسفل من النار، وهي الهاوية؛ لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكّنهم من أذى المؤمنين. وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: إنّ في جهنم لبئرًا ما فُتِحَت أبوابها بعد، وهي مغلقة تستعيذ منها جهنم كل يوم مخافة أن يكون في تلك البئر من العذاب ما لا طاقة لجهنّم به ولا صبر لها عليه، وهي الدّرك الأسفل من النار، انتهى.

وقال ابن مسعود: إنّ في الدرك الأسفل من النار توابيت من نار، قسمت عليهم في أسفل النار. وكان الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: كيف أبواب جهنم؟ فقلنا: هي مثل أبوابنا هذه يا أمير المؤمنين، فقال: لا هي هكذا بعضها فوق بعض.

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب ١٠، ومسلم في الزكاة حديث ٦٦، ٦٧، ٦٨.
(٢) حديث ٣٠٩٧.
(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٥/ ٢٣٣.

قال العلماء: وأعلى الدّركات من جهنم هو الذي تدخله عصاة الموحّدين ثم يخلو منهم حين يخرجون بالشفاعة وتصير الرّياح تصفق أبوابها، وبعد ذلك لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سَقَر، ثم الجحيم ثم الهاوية. وكان الضحّاك رضي الله عنه يقول: الدَّرك الأعلى فيه المحمّديُّون، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون.اهـ.

قال الإمام القرطبي: ولم نرَ ذلك في حديثٍ صحيح ولا أثرٍ صحيح، وكان معاذ بن جبل يقول: إذا وصف العلماء السوء منهم من إذا وعظ عنّف، وإذا وعظ أنِفَ؛ فذلك في أوّل درك من النار. ومنهم من يأخذ علمه وسيلة إلى القرب من السلطان، فذلك في الدَّرم الثاني من النار. ومنهم من يحزن علمه ويكتمه عن مستحقّه، فذلك في الدرك الثالث من النار. ومنهم من يستخبىء الكلام والعلم لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعًا، فذلك في الدَّرك الرابع من النار. ومنهم من يتعلّم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثه، فذلك في الدَّرك الخامس من النار. ومنهم من ينصب نفسه للفتيا ويقول للناس: سلوني، فذلك الذي يُكْتب عند الله متكلّفًا، والله لا يحبّ المتكلّفين، فذلك في الدرك السادس من النار. ومنهم من يتّخذ علمه مروءة وعقلًا، فذلك في الدَّرك السابع من النار.

وروى الحافظ أبو نعيم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**إن جهنم تسعر في كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة، فإنها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها**»[١]. اهـ.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: ولهذا المعنى ـ والله أعلم ـ كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قيام الظهيرة دون غيرها من الأيّام. وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سلَّ السيف على أُمّتي**»[٢]، وفي رواية: «**على أُمّة محمّد ﷺ**»، وفي رواية: «**إن لجهنم سبعة**

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/١٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة ١٥، باب ٢.

أبواب، باب منها للحرورية». وكان وهب بن منبه رضي الله عنه يقول: إن بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشدّ حرًّا من الذي فوقه بسبعين ضعفًا.

وفي الحديث أيضًا: «**إن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب، لها سبعة أبواب على كلٍّ باب منها سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار، في كل شعبة سبعون ألف شقّ من نار، في كل شقّ سبعون ألف واد من نار، في كل وادٍ سبعون ألف قصر، في كل قصر سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف حيّة وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب سبعون ألف ذنب، لكل ذنب سبعون ألف فقار، في كل فقار سبعون ألف قلّة من سمّ، فإذا كان يوم القيامة كُشِفَ عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين، وسرادق آخر عن يسارهم، وسرادق أمامهم، وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم، فإذا نظر الثّقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وصاروا يتنادون كلّهم: ربِّ سلِّم**».

باب ما جاء في عظم جهنم، وأزِمّتها، وكثرة ملائكتها، وفي عظم خلقهم

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**يُؤْتى بجهنّم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها**»[1]، وفي رواية: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل فناجاه، فتغيّر وجه النبيّ ﷺ فسأله عليّ عن ذلك، فقال: «**يا أبا الحسن إنّ جبريل قرأ عليّ:** ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: الآية ٢١] **ـ الآية ـ وأخبرني أنها إذا جادت تُقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام معه سبعون ألف ملك؛ فبينما هم كذلك إذ شردت عليهم شردة تفلتّت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع، فاحذرها يا محمّد**» .اهـ.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم على خلق الجاموس، وتُقاد بسبعين ألف زمام، وفي كل زمام سبعون

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٥.

ألف ملك وسبعون ألف حلقة، لو اجتمع حديد الدنيا كلّها ما عدل بحلقة واحدة، على كل حلقة ملك معه مرزبّة لو أمر أن يضرب بها الجبال لدُكّت، أو أن يهدّ الأرض لهُدَّت، وأنها إذا انفلتت من أيديهم لا يقدر أحد على إمساكها لعظم شأنها، فيجثو كلّ من في الموقف على الرُّكب حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش هذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نَسِيَ هارون، وهذا قد نسي مريم عليهم الصلاة والسلام، وكل واحد يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها، ومحمّد ﷺ يقول: «**أُمّتي أُمّتي سلِّمها ونجِّها يا ربّ**»، وليس في الموقف من تحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: الآية ٢٨]، هذا وجهنم كما وصفها الله تعالى تكاد تميّز من الغيظ، أي تنشقّ نصفين من شدَّة غيظها على أهلها، فيقوم رسول الله ﷺ بأمر ربّه عزّ وجلّ، فيأخذ بخطامها ويقول لها: اجعي مدحورة إلى خلفك حتى يأتيك أهلك، فتقول: خلّ سبيلي يا محمّد، فإنك حرام عليّ، فتنادي من سرادق العرش: اسمعي منه وأطيعي له، ثم إنها تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدّث أهل الموقف بجذبها لكن يحقّ عليهم الخوف والوجل، وهذا من جملة الرحمة الواقعة على يد رسول الله ﷺ المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، وهناك يُنْصب الميزان كما مرّ بيانه في بابها.

قال العلماء: وجهنم اسم في الحقيقة لجميع طباق النار. ومعنى يُؤْتى بها، أي: يُجاء بها من المحلّ الذي خلقها الله فيه، وهي دائرة بأرض المحشر حتى لا يبقى لأهل الجنّة طريق إلا الصراط، وإنّما كان لها أزِمَّة لتمنعها من خروجها على أهل المحشر فتُحْرقهم، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي تخرج منها تلتقط الناس الذي أُمر بهم إلى النار، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال في عظم خزنة المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التّحريم: الآية ٦]: «**كلّ ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة، ولكلّ واحد منهم قوّة، لو أنّه ضُرب بالمقمع الذي في يده جبلًا لصار دكًّا، فيدفع في النار بكلّ ضربة سبعين ألفًا في قعر جهنم**».

وأمّا قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدّثّر: الآية ٣٠]، فالمراد بهؤلاء رؤساء الزبانية، وإلا فملائكة النار لا يعلم عددهم إلا الله. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثّر: الآية ٣١]، انتهى. فنسأل الله من فضله أن يُنْجينا وجميع إخواننا في هذه الدار من كلّ عمل يقرّبنا إلى النار آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في كلام جهنم وغير ذلك

رُوِيَ أن جبريل نزل على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝٤٨﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، فقال النبيّ ﷺ: «**يا جبريل، فأين تكون الناس يوم القيامة؟ قال: يا محمد يكونون على أرضٍ بيضاء لم يُعْمل عليها ذنب، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ـ يعني الصوف ـ وتذوب الجبال من مخافة جهنّم في ذلك اليوم. يا محمّد، إنه ليُجاء بجهنّم يوم القيامة تزفّ زفًا، عليها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى توقف بين يديّ الله عزّ وجلّ، فيقول لها: يا جهنّم تكلَّمي، فتقول: لا إلـه إلّا الله، وعزّتك وعظمتك لأنتقمنّ اليوم ممن أكل رزقك وعَبَد غيرك، ولا يجوزني إلّا من عنده جواز**»، فقال النبيّ ﷺ: «**يا جبريل، وما الجواز يوم القيامة؟ قال: أَبْشِر أَبْشِر إلّا من شهد أن لا إلـه إلا الله، فمن شهد أن لا إلـه إلا الله جاز جسر جهنّم**»، فقال النبيّ ﷺ: «**الحمد لله الذي ألهم أُمّتي قول لا إلـه إلا الله**». وروى الحافظ عبد الغني رحمه الله تعالى أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جمع الله تعالى الناس في صعيدٍ واحد يوم القيامة وأقبلت النار يركب بعضها بعضًا ومعها خزنتها، وهي تقول: وعزّة ربّي ليخلينّ بيني وبين أزواجي، أو لأغشينّ الناس عنقًا واحدًا، فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل متكبّر جبّار**».

باب ما جاء في أنّ التسعة عشر من جملة خزنة جهنم وبيان عظمهم

سُئِل أبو العوّام عن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: الآيات ٢٧ - ٣٠]، هل هم تسعة عشر

ملكًا أو تسعة عشر ألفًا؟ فقال: تسعة عشر ملكا، فقال السائل: وما علمك بذلك؟ فقال: أخذته من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: الآية ٣١]، فقال له السائل: صدقت هم تسعة عشر ملكًا بيد كل منهم مرزبة لها شعبتان يضرب الضربة فيهوي بها العبد سبعين خريفًا ـ أي عامًا ـ. وورد في حديث الترمذي حين سأله اليهود عن عدّة خزنة جهنم، فقال: هكذا وهكذا في مرّة عشرة، وفي مرة تسعة، انتهى.

قال العلماء: وهؤلاء التسعة عشر إنما هم رؤوس الزبانية، وإلا فعدد زبانية جهنم لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، والحمد لله ربّ العالمين.

وسُئِل ابن عباس رضي الله عنهما عن سعة جهنّم وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: الآية ٢٩]، فقال: والله ما أدري سعتها، ولكن بلغنا أنّ بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفًا ـ يعني سبعين سنة ـ وأنها تجري فيها أودية القيح والدم.

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: وإذا كان الصّراط الذي هو جسر على ظهر جهنّم يسع الخلق كلّهم حين تبدّل الأرض غير الأرض والسمٰوات، فكيف بنفس جهنم وأرضها ودركاتها؟

وفي حديث الترمذي: «**أنّ كثافة كل سرادق من سرادقات النار**» أي كثافة جداره «**مسيرة أربعين سنة**»، والله أعلم.

باب ما جاء أنّ جهنم في الأرض وأنّ البحر طبقها

روى عبد الله بن عمرو عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**لا تركبوا البحر إلّا إن كان أحدكم غازيًا أو حاجًا أو معتمرًا، فإنّ تحت البحر نارًا**»، وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا تتوضّئوا بماء البحر، لأنه طبق جهنّم. وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: الآية ٦]، أي: أُوقدت فصارت نارًا، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في شدّة حرّ جهنم وبُعد قعرها، أعاذنا الله تعالى وجميع إخواننا منها

روى الترمذي وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرَّت، ثم أُوقِد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة**»[(١)]، زاد في رواية: «**فهي كسود الليل**»، وفي رواية: «**فهي أشدّ سوادًا من القار**» يعني الزّفت.

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: نار الآخرة سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها. وروى مسلم[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ ناركم التي توقدون في الدنيا حرّها جزء من سبعين جزءًا من حرِّ جهنم**»، قالوا: يا رسول الله إنْ كانت لكافية! فقال: «**إنّها فضلت بتسعة وستين جزءًا**»، وزاد في رواية: «**كلّها مثل حرّها**». وروى ابن ماجه[(٣)] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لولا أنّ ناركم هذه أُطفئت بالماء مرّتين ما انتفعتم بها، وإنها لتسأل الله تعالى أن لا يُعيدها في نار الآخرة**» يعني جهنّم. وفي رواية: «**لولا أنها ضربت بماء البحار**»، وفي رواية: «**بالماء سبع مرات ما انتفعتم بها**»، وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنّم، ولولا أنه ضُرِب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم منها بشيء**».

وسُئِلَ ابن عباس عن نار الدنيا: ممّ خُلِقت؟ فقال: من نار جهنّم غير أنها طُفِّئت بالماء سبعين مرة، ولولا ذلك ما قدرتم على القرب منها. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن جهنميًا من أهل جهنم أخرج كفّه إلى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرِّها، ولولا أن خازنًا من خزنة جهنم أُخْرِج إلى أهل الدنيا حتى يُبْصِروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه**». وروى البزار في مسنده أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم**».

---

(١) أخرجه الترمذي في جهنم باب ٨، وابن ماجه في الزهد باب ٣٨.

(٢) كتاب الجهاد حديث ١٢٣. (٣) كتاب الزهد باب ٣٨.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ومعنى قوله في الحديث: «**إن ناركم هذه التي تُوقِدون في الدنيا جزء من سبعين جزءًا**» إلى آخر الأحاديث، أنّه لو جُمِعَ كل ما في الوجود من النار التي يُوقِدُها بنو آدم لكانت جزءًا من أجزاء جهنّم المذكورة، وبيانه أنه لو جُمِع حطب الدنيا كلّه وأُوقد حتى صار نارًا لكان الجزء الواحد من أجزاء جهنّم الذي هو من سبعين جزءًا أشدّ من حرِّ نار الدنيا كلّها.

وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: والذي نفس كعب بيده لو كان أحدكم بالمشرق وكانت النار بالمغرب، ثم كُشِفَ عنها لخرج دماغ أحدكم من منخريه من شدَّة حرِّها، ثم يقول: يا قوم هل لكم على ذلك قدرة أو صبر، والله يا قوم إنّ طاعة الله أهون عليكم من هذه فأطيعوه يحفظكم من دخول النار. وروى الأئمّة رضي الله عنهم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**اشتكت النار إلى ربِّها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضًا، فجعل لها نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصّيف، فشدَّة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدّة ما تجدون من الحرّ من سمومها**»[1]. وروى مسلم وغيره: أن رسول الله ﷺ كان جالسًا مع أصحابه إذ سمع وجبة، فقال النبيّ ﷺ: «**أتدرون ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجرٌ رُمِيَ به في نار جهنّم منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها**»[2]. والوجبة: هي الهدّة، وهي صوت وَقْع الشيء الثقيل.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أكثروا ذكر النار، فإن حرّها شديد، وإنّ قعرها بعيد، وإنّ مقامعها حديد. وكان عتبة بن غزوان إذا خطب الناس يقول في خطبته: أيّها الناس عليكم بتقوى الله، فإنه ذكر لنا أن الحجر العظيم يُلْقى في نار جهنم فيهوي من شفيرها إلى قعرها سبعين عامًا لا يصل إلى قعرها، والله لتملأنّ من العصاة. وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: لو فُتِحَ من جهنَّم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه

(١) أخرجه البخاري في المواقيت باب ٩، وبدء الخلق باب ١٠، ومسلم في المساجد حديث ١٨٥، ١٨٧.

(٢) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٣١، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧١.

حتى يسيل من حرّها، وإنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل إلا خرَّ جاثيًا على ركبتيه يقول: نفسي نفسي. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إنّ النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحبّ. وسُئِل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفُرقان: الآية ١٢]، فهل للنار عينان؟ فقال: نعم، أمَا سمعتم قوله ﷺ: «**من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ بين عيني جهنّم مقعدًا**»، قيل: يا رسول الله ولها عينان؟ قال: «**أمَا سمعتم قوله تعالى:** ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفُرقان: الآية ١٢]»[1] الحديث، ويؤيّده حديث: «**يخرج عنق من النار له عينان يبصران لسان ينطق به، فيقول: إني وكلت اليوم بمن جعل مع الله إلـٰهًا آخر، فلهو أبصر بهم من الطير بحبِّ السمسم فيلتقطه**»[2]، وفي رواية للترمذي[3] أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يُبْصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق**»؛ ففي هذه الأحاديث أن كلام النار حقيقة لا مجاز، والله أعلم.

باب ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحَج: الآية ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: الآية ٧١]، وقال تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المُزمّل: الآية ١٢] الآية، وسيأتي قول الحسن وابن مسعود أنّه ما في جهنّم واد ولا مقمع ولا غلّ ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه.

وروى الترمذي وقال: إسناده صحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى مثل الجمجمة ـ أُرسلت من السماء إلى الأرض**

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤، وابن كثير في تفسيره ١/ ٢١١.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٧٣.

(٣) كتاب جهنم باب ١.

وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل اللّيل، ولو أنها أُرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفًا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها ـ أو قال ـ أصلها»(١)، وفي الحديث: «**إنّ الله تعالى ينشىء لأهل النار سحابة، فإذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا، فتناديهم: يا أهل النار ما تشتهون؟ فيقولون: نشتهي الماء البارد، فتُمطرهم أغلالًا تُزاد في أغلالهم وسلاسل تُزاد في سلاسلهم**». وكان محمّد بن المنكدر رضي الله عنه يقول: لو جُمِعَ حديد الدنيا كلّه ما عدل حلقة واحدة من حلق السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٢]، وكان نوفل البكالي رحمه الله تعالى يقول: لا تظنّوا أنّ الذراع الذي ذكره الله في ذرع السلسلة مثل ذراعكم هذا، وإنّما كل ذراع منه سبعون باعًا كل باع بُعْد ما بين مكّة والكوفة. وقوله تعالى: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٢]، قال سفيان الثوري رضي الله عنه: قد بلغنا أنها تدخل من دُبُر العبد فتخرج من فمه. وكان طاوس اليماني رضي الله عنه يقول: إنّ الله تعالى خلق ملكًا وخلق له أصابع بعدد أهل النار، فما يعذّب أحد منهم إلا بأُصبع من أصابع ذلك الملك، فوالله لو وضع هذا الملك أصبعًا من أصابعه على السماء لذابت من حرّه، انتهى. فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا في هذه الدار وفي تلك الدار ويتوفّانا على الإسلام آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في كيفية دخول أهل النارِ النارَ وكيفية لهبها

كان عبد الرحمٰن بن زيد رضي الله عنه يقول: تتلقّى جهنم أهلها يوم القيامة بشررٍ كالنجوم، فيولُّون هاربين، فيقول الجبار جلّ جلاله: ردُّوهم عليها فيردّونهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غَافر: الآية ٣٣]، أي مانع يمنعكم من وهجها. قال: وبلغنا أن أحداقهم تندر من وجوههم إذا قربوا من جهنّم، فيدخلونها عميًا مغلولين أيديهم وأرجلهم

(١) أخرجه الترمذي في جهنم باب ٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

ورقابهم في كلّ يد أو رجل غلّ. وفي الحديث: «**إنّ ما بين منكبي كل خازن من خزنة النار كما بين المشرق والمغرب**»، قال ابن زيد: وبيد كل خازن مقمع من حديد يقمعون بها أهل النار، فإذا قيل: خذوه، بادر إليه كذا كذا ألفًا من الملائكة، فلا يضعون أيديهم على شيءٍ من عظامه ولحمه إلّا صار تحت أيديهم رفاتًا، ويجمع يديهم وأرجلهم ورقابهم في الحديد، ثم يُلقون في النار مصفدين، وليس يبقى لهم شيء يتّقون به إلّا الوجوه، وقد خرجت أحداقهم وعموا. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٤]، فإذا أُلقوا في النار وكادوا يبلغون قعرها تلقّاهم لهبها فردَّهم إلى أعلاها حتى إذا كادوا يخرجون منها تلقَّتهم الملائكة بمقامع من حديد فضربوهم بها وجاءهم أمر أشدّ من اللَّهب، فلا يزالون هاربين صاعدين أبد الآبدين؛ كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السَّجدَة: الآية ٢٠]. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المُزمّل: الآية ١٢]، أي قيودًا؛ لأن النكل هو القيد سمّي بذلك لأنّه ينكل به أهل النار، أي يشدّ عليهم به، فيمنعهم من الانتقال من النار إلى غيرها. وفي الحديث: «**إن لهب النار يرفع أهلها حتى يُشْرِفوا على أهل الجنّة، فيطيرون من اللَّهب كما يطير الطير، وبينهم وبين أهل الجنّة حجاب؛ كما قال الله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [**الأعراف: الآية ٤٤**]، **وينادي أصحاب النار أصحاب الجنّة حين يرون أنهار الجنّة تطرد بينهم** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [**الأعراف: الآية ٥٠**]، **فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار، ويقولون لهم:** ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [**السَّجدَة: الآية ٢٠**]».

قال العلماء: وإنّما كان أهل الجنّة وأهل النار يسمعون كلام بعضهم بعضًا مع بُعْد المسافة التي بين الدّارين؛ لأن الله تعالى أمدّ أسماعهم بالقوّة فسمعوا، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أن لجهنم جبالاً وخنادق وأودية وبحاراً وصهاريج وحياضاً وآبارًا وجبابًا وتنانير وسجونًا وبيوتًا وجسورًا ونواعير وعقارب وحيّات وغير ذلك، أجارنا الله تعالى منها بمنِّه وكرمه

روى الترمذي[(١)] وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾ [المدَّثِّر: الآية ١٧]: «**هو جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفًا ويهوي فيه كذلك أبدًا**». وفي الحديث: «**من مات سكران، فإنه يبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنّم يسمّى السكران**». وفي الحديث: «**إن ويلًا وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره؛ فذلك قوله تعالى:** ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾ [**الطُّور: الآية ١١**]». وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: الآيتان ٦، ٧] الآية، قال: هو وادٍ في جهنم لو أُلقيت فيه الجبال لذابت وماعت من شدَّة حرِّه، وهو مسيل في أسفل جهنّم. وقال أبو عياض رضي الله عنه: هو صهريج في جهنّم من صديد أهل النار. وقال أبو سعيد الخدري: هو وادٍ بين جبلين يهوي فيه الكافر أربعين عامًا لا يبلغ قعره. وقال ابن زيد رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ [الواقِعَة: الآية ٤٣]، قال: هو جبل في جهنم يستغيث أهل النار أن يدخلوه لظنّهم أنه ظلّ بارد، فقال الله تعالى: ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤﴾ [الواقِعَة: الآية ٤٤]، أي: بل هو حارّ؛ لأنه من دخان شفير جهنم، وكان مجاهد يقول في قوله تعالى: ﴿مَّوۡبِقٗا﴾ [الكهف: الآية ٥٢] هو وادٍ في جهنّم يقال له موبق. وقال عكرمة: هو نهر في جهنّم يسيل نارًا على حافّتيه حيّات مثل البغال الدّهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار. وقال أنس بن مالك: هو وادٍ في جهنم من قيح ودم. وسُئِلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريَم: الآية ٥٩]، فقالت: هو نهر في جهنّم. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفَلَق: الآية ١]:

(١) كتاب الزهد باب ٣٧.

الفلق سجن في جهنّم إذا فُتِحَ بابه صاح جميع أهل جهنّم من حرِّه. وكان حميد بن هلال رضي الله عنه يقول: بلغنا أنّ في جهنم تنانير ضيّقة كضيق زجّ أحدكم في الرمح تضيق على قوم بأعمالهم.

وروى مسلم عن بقيّ بن ماتع الأصبحي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طٰه: الآية ٨١]، أنّه قصر في جهنم يقال له هوى يُرْمى فيه الكافر من أعلاه فيهوي أربعين سنة قبل أن يصل إلى قعره، وإنّ في جهنم واديًا يُدْعى أثامًا فيه حيّات وعقارب في كل فقار من ذنب ذلك العقرب من السمّ مقدار سبعين قلّة، كل عقرب منهنّ قدر البغلة الموكفة تلدغ الرجل فينسى حرّ جهنم من حرارة لدغها، وكان يقول: إنّ في جهنم سبعين داء لأهلها، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ في جهنم بحرًا أسود مظلمًا مُنْتن الرِّيح يُغْرِق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره وراءى الخلق بأعماله**»[1].

وفي الحديث أيضًا: «**إنّ في جهنّم بئرًا يقال لها هبهب حقّ على الله أن يُسْكنها كل جبّار**». وفي الحديث أيضًا: «**إنّ في جهنم واديًا يقال له لملم يستعيذ بالله من حرِّه جميع أودية جهنّم**»، وفي الحديث أيضًا: «**إنّ في جهنم بئرًا أعدّها الله تعالى للمكذّب بالقدر وللمبتدع في دين الله، ولمن كان مدمن الخمر في الدُّنيا**»، ذكره الخطيب الحافظ عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

وفي الحديث أيضًا: «**إن المتكبّرين يُحْشرون يوم القيامة أمثال الذرّ تطؤهم الأقدام يُساقون إلى سجن في جهنّم يقال له بولس يُسقون فيه من عصارة أهل النار**»[2]، وهي طينة الخبال التي يسقي منها شارب الخمر كما في صحيح البخاري، وكما في رواية الترمذي. وروى الترمذي أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**تعوّذوا بالله من جب الحزن**»، فقيل: يا رسول الله وما جبّ الحزن؟ قال: «**وادٍ في جهنم تتعوّذ منه جهنم كل يوم سبعين مرّة أعدّه الله تعالى للقرّاء المُرائين**

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/١٧١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦/٢٠١.

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره ١٠/٩٥، وابن كثير في تفسيره ٧/١٠٢.

بأعمالهم»[(١)]، وفي رواية: «**إن في جهنَّم واديًا تتعوّذ منه النار كل يوم أربعمائة مرّة**»، قيل: يا رسول الله، مَنْ يدخله؟ فقال: «**القرّاء المُراؤون بأعمالهم، وإنّ من أبغض القرّاء إلى الله تعالى الذين يزورون الأُمراء**»، يعني الجورة، قاله المحاربي رحمه الله تعالى. وفي روايةٍ أخرى: «**إنّ في جهنّم واديًا تستعيذ منه النار كل يوم سبع مرّات أعدَّه الله للأشقياء من حَمَلة القرآن**»، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إنّ في جهنَّم لرُحى تدور بعلماء السُّوء، فيشرف عليهم بعض مَنْ كان يعرفهم في الدنيا، فيقول: ما صيّركم إلى هذا، وإنما كنا نتعلَّم منكم؟ قالوا: إنّا كنَّا نأمركم بالأمر ونُخالفكم إلى غيره. وكان أبو المثنّى رحمه الله يقول: بلغنا أنّ في النار أقوامًا يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ما لهم فيها راحة ولا فَتْرة. وكان محمّد بن كعب القرظي يقول: إنّ لمالك مجلسًا في وسط جهنّم وجسورًا تمرّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، انتهى. وسيأتي الحديث بتمامه إن شاء الله تعالى.

باب منه وفي ساحل جهنم
ووعيد من يؤذي المؤمنين بغير حقّ

كان يزيد بن شجرة رضي الله عنه يقول: بلغنا أن لجهنم ساحلًا كساحل البحر فيه هوامّ وحيَّات كالبخت وعقارب كالبغال الدُّهم، فإذا استغاث أهل النار وطلبوا الساحل فإذا خرجوا إلى الساحل سلّط عليهم تلك الهوامّ، فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطًا، فيستغيثون منها ويطلبون الرجعة إلى النار، فإذا ألقوا في النار سلّط عليهم الجرب فيحكّ أحدهم جلده حتى يظهر عظمه، وإنّ جلد أحدهم لأربعون ذراعًا، قال: فيقال لأحدهم: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: وأيّ أذى أشدّ من هذا، قال: فيقال: هذا بما كنت تُؤذي المؤمنين. وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إنّ في جهنم لجبلًا من نار يصعده الكافر، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت لا يسلم من صعود هذا الجبل إلا من فكّ رقبة أو أطعم في يوم ذي مسغبة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٤٨، وابن ماجه في المقدمة باب ٢٣.

ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البَلَد: الآيات ١١ - ١٦].

وكان ابن عباس يقول: العقبة هنا جبل في جهنّم وله سبعون درجة شديدة الصعوبة لا يجوزها إلّا مَن عمل بطاعة الله عزّ وجلّ وهي دون جسر جهنم ومتصلة بالصراط وكان ابن زيد وجماعة يقولون في قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [البَلَد: الآية ١١]: إنّ معنى الكلام الاستفهام، تقديره: أفلا أقتحم العقبة بإنفاق ماله في فكّ الرقاب وإطعام السغبان - يعني الجوعان - فيجاوز به العقبة المذكورة، ويكون ذلك خيرًا له من إنفاقه في غير طاعة الله عزّ وجلّ، وكان الحسن رضي الله عنه يقول: هي والله عقبة شديدة لا يجاوزها إلّا من جاهد نفسه وهواه في هذه الدار، ولم يطع الشيطان في شيء من المعاصي، وأنشدوا في معنى ذلك:

إنّي بليت بأربع ما سلطوا ... إلا لعظم بليتي وشقائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وكان الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقدّم إطعام الجوعان على فكّ الرقبة، ويقول: لأنْ أجمع أُناسًا من أصحابي على صاع من طعام أحبّ إليَّ من أن أشتري نسمة وأعتقها، انتهى. فنسأل الله من فضله أن يعتقنا وإخواننا من النار، إنه هو الكريم الغفار آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤]

أي حطبها الناس والحجارة الكبريت، وذلك لتلصق النار بأجسامهم، فلا يقدر أهلها على التخلّص من نارها ولا من التألّم بها.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يأتي أقوام من أُمّتي يقرأون القرآن ويقولون: من أقرأ منّا؟ من أعلم منّا؟ أُولئك هم وقود النار**». وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يقول: إنما كان وقود النار حجارة الكبريت، لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب سرعة الاتّقاد ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدَّة الالتصاق بالأبدان، وقوّة حرّها إذا حميت؛ فالناس معذّبون بشيئين: بالنار وبالحجارة، فكأنّ الناس من شدَّة احتراقهم حطب يتّقد. نسأل الله العفو والعافية لنا ولجميع المسلمين، آمين.

باب تعظيم جسم الكافر في النار وكبر أعضائه بحسب أنواع كفره وتوزيع العذاب على العصاة من الموحدين بحسب أعمال لأعضاء

روى مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل جبل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيَّام للراكب المُسرع**»، وفي رواية للترمذي[٢]: «**إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا، وإنّ ضرسه مثل أُحد، وإن مجلسه في جهنم كما بين مكّة والمدينة**». وفي رواية: «**وإن فخذه مثل البيضاء**»، انتهى. والبيضاء جبل عظيم معروف.

قال أبو هريرة: وإنما يعظم جسد الكافر في النار يوم القيامة لتمتلىء النار منهم، وليذوقوا العذاب.

وكان عمرو بن ميمون رضي الله عنه يقول: غلظ جلد الكافر سبعون ذراعًا، وإنه ليسمع بين جلده ولحمه وجسده دويّ كدويّ الوحوش.

وروى الترمذي[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الكافر ليُسحب من لسانه الفرسخ والفرسخين تطؤه الناس**». وفي حديث مسلم[٤] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حُجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته**».

قال العلماء: وقد صحّت الأحاديث بتفاوت أهل النار في العذاب، سواء كانوا كفارًا أو عصاة الموحدين بدليل حديث كعب الأحبار أنه ينادي يوم القيامة: يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم، فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم؛ فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**فإذا قضى الله تعالى بين خلقه وزادت حسنات العبد دخل الجنّة، وإن استوت حسناته وسيّئاته حُبِس على الصّراط أربعين سنة، ثم بعد ذلك يدخل الجنّة، وإن زادت سيّئاته على حسناته**

(١) كتاب الجنة حديث ٤٤.
(٢) كتاب جهنم باب ٣.
(٣) كتاب جهنم باب ٣.
(٤) كتاب الجنّة حديث ٣٣.

دخل النار»[1]. وروى ابن ماجه[2] حديث: «**إنّ من أُمّتي من يعظم ـ يعني جسمه في النار ـ حتى يكون أحد زواياها**».

قال الإمام القرطبي رضي الله تعالى عنه: فقد علمت تفاوت الناس في العذاب في جهنم، وإن عذاب من كفر فقط ليس كعذاب من كفر وطغى وتمرّد وعصى، وأنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وأفسد في الأرض كعذاب من كفر فقط، وأحسن للأنبياء والمسلمين. ألا ترى أبا طالب كيف أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه في ضحضاحٍ من نار لنصرته له وذبّه عنه وإحسانه إليه، والله أعلم.

باب ما جاء في شدَّة عذاب أهل المعاصي وإذايتهم أهل النار بذلك

روى مسلم[3] أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة المصوّرون**». وفي الحديث أيضًا: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل نبيًا أو قتله نبيّ أو مصوّر يصوّر التماثيل**»[4]. وروى ابن ماجه[5] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن من أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة عالمًا لم ينفعه الله بعلمه**»، وكان عبد الرحمٰن بن زيد رضي الله عنه يقول: «**بلغنا أنّ أهل النار يتأذّون من شدَّة نتن رائحة فُرُوج الزّناة**». وكان رباح رضي الله عنه يقول: «**بلغنا أن ثلاثة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى: رجال مغلقة عليهم توابيت من نار، وهم في أصل الجحيم، فيضجّون من شدَّة العذاب حتى تعلو أصواتهم أهل النار، فيقول لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فُعِل بكم هذا؟ فيقولون: كنا نتكبّر على الناس. ورجال قد شقّت بطونها فيسحبون أمعاءهم في النار، فيقول لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فُعِل بكم هذا؟ فيقولون: كنّا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا. ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرّون لحظة، فيقول لهم أهل النار: ما بالكم من بين أهل النار فُعِل بكم هذا؟**

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) كتاب الزهد باب ٣٨.

(٣) كتاب اللّباس حديث ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) كتاب الزهد باب ٢٦.

فيقولون: كنا نسعى بين الناس بالنّميمة»[١]. وفي حديثٍ آخر أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم، يدعون بالويل والثبور، فيقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجرّ أمعاءه، ورجل يسيل فوه دمًا وقيحًا، ورجل يأكل لحمه فيقول لصاحب التابوت: ما كان عملك؟ فيقول: إني متّ وفي عنقي أموال الناس لم أجد لها قضاء، ويقال للذي يجرّ أمعاءه: ما كان عملك؟ فيقول: كنت لا أُبالي أين أصاب البول مني ولا أغسله، ويقال للذي يسيل فوه قيحًا ودمًا: ما كان عملك؟ فيقول: كنت أنظر إلى الكلمة الخبيثة فأستلذّ بحكايتها كما أستلذّ بالرفث، ويقال للّذي يأكل لحمه: ما كان عملك؟ فيقول: كنت آكل لحوم الناس وأمشي بينهم بالنّميمة**»، رواه الحافظ أبو نعيم.

قال العلماء: ولا يكون العذاب على المديون الذي مات وفي عنقه أموال الناس إلّا إذا كان أخذها بنيّة عدم وفائها أو أنفقها في المعاصي، والله تعالى أعلم.

وفي الحديث أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة أشدّهم عذابًا للناس في الدُّنيا**»، أخرجه البخاري في تاريخه، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في شدّة عذاب مَن أمر بمعروف ولم يأتِه، ونهى عن مُنكَر وأتاه من خطيب وواعِظ وغيرهما

روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**يُجاء برجل ـ يعني يوم القيامة ـ فيطرح في النار فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**»، وهذه رواية البخاري[٢]. ولفظ رواية مسلم[٣]: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار،**

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٣٧٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦٠٥.
(٢) كتاب بدء الخلق باب ١٠، والفتن باب ١٧. (٣) كتاب الزهد حديث ٥١.

فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فتجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». وروى الحافظ أبو نعيم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أتيت ليلة أُسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلّما قُرِضت عادت، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء الفتنة من أُمّتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتب الله ولا يعملون»**[1]. وروى الحافظ أبو نعيم أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى يُعافي الأُمّيين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء»**. وفي الحديث: «**يطلع قوم من أهل الجنّة إلى قوم من أصحاب النار، فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنّة بفضل تأديبكم وتعليمكم، قالوا: إنّا كنا نأمرهما بالخير ولا نفعله»**[2]. وذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة رجل جمع مالًا ومنع حقّ الله منه، فلما مات أخذه وارثه فعمل به خيرًا، فيُؤْمر بصاحب المال إلى النار وبالوارث إلى الجنّة. وكان بعض السلف يقول: أشدّ الناس حسرة يوم القيامة مَنْ أكثر مِنَ الأعمال الصالحة في دار الدنيا ولم يفتّشها من الدسائس المحبطة لها، فإذا كان يوم القيامة وجدها كلّها حابطة، فكان حكمه كحكم من فتح مطبًا في بلاد بعيدة سفر سنة وأكثر، فلما رجع فتح الجراب الذي ملأه ذهبًا من المطلب فوجده بعرًا أو خنفسًا.

وفي الحديث أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**. وفي الحديث أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الذين يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم يجرّون أمعاءهم في نار جهنّمك، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذين كنّا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا»**، انتهى.

فاعلموا ذلك أيّها الإخوان وتنبّهوا لأنفسكم، فإنّ الموت يأتي على غير ميعاد، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٨٧، ٦/ ٢٤٩.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٨٩٨٤.

باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: الآيتان ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبإ: الآيات ٢٤ - ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: الآية ٢٩]، والآيات في ذلك كثيرة. والغسّاق: هو ما يسيل من صديد أهل النار، وقيل: هو القيح الغليظ المُنْتن، قاله رزين وغيره.

وكان عبد الله بن عمر يقول: لو أن قطرة من الغساق تُهراق في المغرب لأنتنت أهل المشرق.

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: الغساق عين في جهنّم يسيل إليها سمّ كل ذات سمّ فيستنقع ويؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن عامه، فيجرّ لحمه في كعبيه كما يجرّ الرجل ثوبه جزاءً وفاقًا، أي وافق ذلك أعمالهم الخبيثة.

وقال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: الآيتان ٤٣، ٤٤]، هي شجرة في جهنّم أصلها في الباب السادس، وإنها تجني بلهب النار كما تجني الأشجار في الدنيا ببرد الماء؛ فلا بدّ لأهل النار من أن ينحدر إليها مَن كان فوقها، فيأكل منها.

وكان أبو عمران الجوني رضي الله عنه يقول: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش من شجرة الزقوم نهشة إلا نهشت منه مثلها. وأمّا المهل الذي يغلي في البطون، كغلي الحميم فهو الفضّة المذابة. وقيل: هو عكر الزيت المغلي كغلي الحميم، يعني الماء الشديد الحرارة؛ فالله تعالى يلطف بنا وبجميع إخواننا فيما قدر علينا في الدنيا والآخرة آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في أن أهل النار يجوعون ويعطشون وما جاء في دعائهم وإجابتهم

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ٥٠].

وروى البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه أنه قال: «لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربعة منها، فإذا كان في الخامسة لم يتكلَّموا بعدها أبدًا يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: الآية ١١]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: الآية ١٢]، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: الآية ١٢]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: الآية ١٤]، **ثم يقولون:** ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٤]، **فيجيبهم الله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٤]، **ثم يقولون:** ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، **فيجيبهم الله تعالى:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، **ثم يقولون:** ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ١٠٦، ١٠٧]، **فيجيبهم الله تعالى:** ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، **فلا يتكلّمون بعدها أبدًا»**.

وفي رواية أخرى لابن المبارك عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أو ذكر لي أنّ أهل النار إذا استغاثوا بالخزنة، وقالوا: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: الآية ٤٩]، فسألوا يومًا واحدًا يخفّف عنهم فيه العذاب، فتردّ عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [غافر: الآية

٥٠]، فتردّ عليهم الحزنة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: الآية ٥٠]، فإذا أيِسُوا مما عند الخزنة نادوا مالكًا وهو عليهم غضبان وله مجلس في وسطها وجسور تمرّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها؟ فقالوا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزّخرُف: الآية ٧٧]، قال: سألوا الموت، قال: فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة. قال: والسنة ثلاثمائة وستّون يومًا، والشهر ثلاثون يومًا، واليوم كألف سنة مما تعدّون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: الآية ٧٧]، فلمّا سمعوا منه ما سمعوا وأيِسُوا مما قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلمّ فلنصبر، فلعلّ الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله، فنفعهم الصبر إذا صبروا، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا، فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١]، أي من مُنْج. قال: فقام إبليس عند ذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢]، يقول: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ **[إبراهيم: الآية ٢٢]**، قال: فلمّا سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، فنودوا: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: الآيتان ١٠، ١١]، قال: فيردّ عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: الآية ١٢]، قال: فهذه واحدة، فنادوا الثانية: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٢]، قال: فيردّ عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السَّجدَة: الآية ١٣]، يقول: لو شئت لهديت الناس جميعًا فلم يختلف منهم أحد، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٣]، ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السَّجدَة: الآية ١٤]، قال: فهذه ثنتان فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٤]، فردّ عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ إلى قوله: ﴿الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: الآيات ٤٤ ـ ٤٦]، قال: فهذه الثالثة. ثم نادوا الرابعة:

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: الآية ٣٧]، ثم سكت عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٥]، قال: فلمّا سمعوا صوته قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٦]، أي الكتاب الذي كُتِب علينا شقوتنا، ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ١٠٦، ١٠٧]، فقال عند ذلك: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم على بعض ينفخ بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم - أي طبقًا وغلقًا - لا فتح بعده ودارت النار بأهلها تغلي بهم كما يغلي الماء بقطع اللحم تعلو بهم تارة وتنخفض بهم أخرى؛ فذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآيتان ٣٥، ٣٦].

ورُوِي عن عمرو بن العاص أنه قال: إنّ أهل النار يدعون مالكًا أن يخفّف عنهم العذاب، فلا يجيبهم أربعين عامًا، فيردّ عليهم إنكم ماكثون، فهانت على مالك والله دعوتهم حين علم مالك أنَّ ربَّهم غضبان عليهم، ثم ينادون ربهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ١٠٦، ١٠٧]، قال: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، وذلك بعد أن يسكت عن جوابهم قدر الدنيا مرّتين، فوالله لا يتكلّم القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنّم تشبه أصواتهم في النار صوت الحمير أوّلها زفير وآخرها شهيق.

وروى الترمذي[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يلقي الله تعالى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيُغاثون بطعامٍ من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون فيُغاثون بطعامٍ ذي غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيُرفع إليهم**

(١) كتاب جهنم باب ٥.

الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شوي وجوههم، فإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم» الحديث بطوله كما تقدَّم.

وكان الأعمش رضي الله عنه يقول: نبّئت أنّ بين إجابة مالك لهم حين يدعونه وبين دعائهم ألف عام، ثم يقول بعضهم لبعض: ادعوا ربّكم، فلا أحد خير من ربّكم فيدعونه فيجيبهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، فعند ذلك يَئِسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل.

قال القرطبي: ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي، فهو كالمرفوع بل رفعة قطبة بن عبد العزيز، والله أعلم.

ورُوي أنّ رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٤]، أي: «**من تشويه النار لصورهم، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرّته، ولو أن دلوًا من غساق جهنم صبّ في الدنيا لأنْتَن أهل الدنيا، ولو أن دلوًا من المُهل الذي ذكره الله في كتابه قرّب إلى وجه أهل النار لسقطت فروة رأسه من شدَّة حرارته**». وفي الحديث: «**إن الحميم ليُصبّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى أجوافهم، فيسلت ما في أجوافهم حتى يمرق من أقدامهم، وهو قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: الآية ٢٠]، ثم يعود الحال إلى ما كان**»[1]. وفي الحديث أيضًا في قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: الآيتان ١٦، ١٧]، قال: «**يقرّب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوي وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره**». وفي الحديث: «**لو أنّ قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون ذلك طعامه**»، رواه ابن ماجه[2].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث ٣٥٨٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٧.

(٢) حديث ٤٣٢٥.

وقال القرطبي: هو حديث حسن صحيح، وفي حديث ابن ماجه[١] أيضًا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم، كأنّها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرّح العيون، فلو أن السفن أُجريت فيها جرت**». وروى مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه**» الحديث. نسأل الله تعالى من فضله أن يُميتنا وجميع إخواننا على الإيمان آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب لكلّ مسلم فداء من النار من الكفار

روى ابن ماجه[٢] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة أذن لأُمّة محمّد ﷺ في السجود فيسجدون طويلًا، ثم يقال: ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدَّتكم فداءكم من النار**»، وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن أُمّتي أُمّة مرحومة عذابها بأيديها**»، أي بما يقع على أيديهم من الشرّ في دار الدنيا «**فإذا كان يوم القيامة دُفِع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار**»[٣]، ولفظ رواية مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كلّ مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقال: هذا فكاكك من النار**»[٤]، وفي روايةٍ أخرى له: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًا**»[٥]، ولمّا كان أيام خلافة عمر بن عبد العزيز استحلف برزة بن أبي موسى عن هذا الحديث: هل سمعه من والده؟ فحلف له ثلاثة أيْمان أنه سمعه من والده.

قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: وهذا في حقّ قوم مذنبين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته، فأعطى كل واحد منهم فكاكه من النار من الكفار. واستدلّوا بهذا الحديث، فليس هو في حقّ من أتى القيامة بلا ذنب. وقال

---

(١) كتاب الإقامة باب ١٧٦، والزهد باب ١٩. (٢) حديث ٤٢٩١.
(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٥٣١.
(٤) أخرجه مسلم في التوبة حديث ٤٩. (٥) أخرجه مسلم في التوبة حديث ٥٠.

بعضهم: إنه يدفع لكلّ مسلم يهودي أو نصراني، سواء كان المسلمين مذنبًا أو غير مذنب، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في قوله تعالى:

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ۝٣٠﴾ [قَ: الآية ٣٠]

روى مسلم[1] عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها - يعني الناس - وتقول: هل من مزيد؟ حتى تضع رب العزّة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قطّ قطّ وعزّتك وكرمك**»، يعني: قد امتلأت فلا أحتمل زيادة «**وكذلك لا يزال في الجنّة فضل حتى ينشىء الله تعالى لها خلقًا فيسكنهم فضل الجنة**»، وفي رواية أخرى: «**فأما النار، فلا تمتلىء حتى حتى يضع الجبار فيها رجله، فتقول: قطّ قطّ، فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلا بعض، فلا يظلم الله تعالى من خلقه أحدًا**»، ومعنى بضع الجبار فيها قدمه أو رجله، أي أن جماعات يتأخر دخولهم النار لكونهم يدخلونها أفواجًا أفواجًا؛ كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [المُلك: الآية ٨]، والرجل في لغة العرب الجماعة، وكذلك القدم تقول العرب: جاءنا رجل من الناس أو رجل من الجراد، أي جماعة منهم، والجمع أرجل، وتعالى الله عن صفات الأجسام ويؤيّده قول الشاعر:

ترى الناس أفواجًا إلى باب داره ... كأنهم رجلًا دبى وجراد
فيوم لإلحاق الفقير بذي الغنى ... ويوم رقاب بُوكرت بحصاد

والدبى هو الجراد قبل أن يطير، وكذلك يؤيّد هذا التأويل قوله في الحديث: «**لا تزال جهنم يلقى فيها**»، أي الخزنة تنتظر أولئك المتأخّرين فوجًا بعد فوج لتلقيهم في النار؛ إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم؛ كما رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يقول: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلّا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة ينتظر أصحابه، فإذا استوفى كل واحد إلقاء أصحابه في النار ولم يبقَ أحد، قالت النار: قطّ قطّ،

(١) كتاب الجنّة حديث ٣٧، ٣٨.

أي: حسبي حسبي قد اكتفيت، وحينئذ تنزوي جهنّم على مَنْ فيها وتنطبق عليهم.

باب ذكر آخر من يخرج من النار، وآخر من يدخل الجنّة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

روى مسلم(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنّة دخولًا الجنّة: رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله عزّ وجلّ له: اذهب فادخل الجنّة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتها ملأى، فيقول الله تعالى له: اذهب فادخل الجنّة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، فيقول: أتسخر بي؟ أو أتضحك بي؟ أو أتستهزىء بي وأنت الملك**»؟، قال ابن مسعود: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضَحِك حتى بدت نواجذه، فهذا أدنى أهل الجنّة منزلة، وإنّما قال: أتستهزىء بي وأنت الملك من شدّة الفرح الذي حصل له بدخوله الجنّة نظير ما ورد في صحيح مسلم في الذي وجد راحلته في البرّية بعد أن كان فقدها وظنّ الموت من قوله: اللّهمّ أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدّة الفرح، والله أعلم.

وفي رواية: «**آخر من يدخل الجنّة رجل يمشي على الصّراط مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه لأحد من الأوّلين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي ربِّ أدْنِني من هذه الشجرة لأستظلّ بظلّها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم، فلعلّك إن أعطيتكها تسأل غيرها؟ فيقول: لا يا ربّ، ويعاهده أن لا يسأل غيرها وربّه سبحانه وتعالى يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدْنيه منها، يستظلّ بظلّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأُولى، فيقول: أي ربّ أدْنِني من هذه لأستظلّ بظلّها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم فلعلّي إن أعطيتك ذلك وأدْنيتك منها تسألني غيرها؟ فيقول: لا يا ربّ، ويُعاهده على ذلك وربّه يعذره؛**

(١) كتاب الإيمان حديث ٣٠٨.

لأنه يرى ما لا صبر له عليه ويُدْنيه منها، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة أخرى عند باب الجنّة هي أحسن من الأُوليين، فيقول مثله، قال: فيُدْنيه منها، فإذا أُدني منها سمع أصوات أهل الجنّة، فيقول: أي ربّ أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما أغدرك! أيُرضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها، فيقول: أي ربّ أتستهزىء بي وأنت ربّ العالمين»، وضحك ابن مسعود ثم قال: ألا تسألوني ممّ أضحك؟ فقالوا: ممّ ضحكك؟ فقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ ضحك فسألوه: ممّ ضحكك يا رسول الله؟ فقال: «**من ضحك ربّ العالمين، فيقول الله عزّ وجلّ: إني لا أستهزىء بك ولكني على ما أشاء قدير**»[1]، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنّة رجل من جُهينة يقال له جُهينة، فيقول أهل الجنّة: عند جهينة الخبر اليقين**»، رواه الخطيب. زاد في رواية: «**فيقول أهل الجنّة: سلوه هل بقي من الخلائق أحد**»، وقد قيل: إنّ اسم هذا الرجل هناد، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في خروج جميع مَن مات على التوحيد من النار، وذكر الرجل الذي ينادي: يا حنّان يا منّان وغير ذلك

روى الإمام أحمد وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أُناسًا من أُمّتي يدخلون النار بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيّرهم أهل الشرك، فيقولون لهم: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم لأنبيائكم نفعكم؟ فلا يبقى موحّد إلا أخرجه الله تعالى**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ [الحِجر: الآية ٢][2]. وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن عبدًا في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنّان يا منّان، فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام: ائْتِ عبدي، قال: فينطلق جبريل فيرى أهل النار منكبّين على وجوههم، فيرجع فيقول: يا ربّ لم أرَ هذا العبد، فيقول الله تعالى: إنه في مكان كذا وكذا، قال: فيأتيه فيجيء به فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: فيقول: شرّ مكان وشرّ مقيل؟ قال:**

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٣١٠.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٩، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٩٢.

فيقول: ردّوا عبدي، قال: فيقول: يا ربّ ما كنت أرجو أن تردّني إلى النار بعد أن أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: دعوا عبدي ـ يعني فيدخل الجنّة ـ برحمة الله تعالى»[1]. وفي الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال «**إنّما شفاعتي يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أُمّتي**»[2]. وفي الحديث: «**إنّ أطولهم ـ يعني أهل النار ـ مكثًا فيها من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خُلِقت إلى يوم أُفْنِيت، وهو سبعة آلاف سنة**»، انتهى. وذلك بعدد النجوم السيَّارة عند المنجّمين العالمين بمقادير سير الكواكب، وإن لكل واحد ألف سنة.

وقال بعضهم: عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة عدد البروج. وقال بعضهم: عمر الدنيا ثلاثمائة وستّة وستُّون ألف سنة بعدد درجات الفلك، لكل درجة ألف سنة. وقال بعض أهل الكشف: عمر الدنيا هو ما يحصل من ضرب ثلاثمائة وستّين ألفًا في مثلها من السنين لا تزيد يومًا واحدًا ولا تنقص، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم إنّ الله تعالى إذا أراد أن يُخرج الموحّدين من النار يقذف في قلوب أهل الأديان أن يقولوا للموحّدين: قد كنا نحن وإيَّاكم جميعًا في الدنيا، فآمنتم وكفرنا، وصدّقتم وكذبنا، وأقررتم وجحدنا؛ فما أغنى عنكم ذلك اليوم شيئًا، فإنَّكم معذّبون في النار كما نحن معذّبون فيها ومخلّدون كما نخلّد؛ فيغضب الله تعالى عند ذلك للموحّدين غضبًا شديدًا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنّة والصّراط يقال لها نهر الحياة، فيرشّ عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السيل، فما يلي الظلّ منها أخضر وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنّة فيكتب في جباههم: عتقاء الله من النار، إلا رجلًا واحدًا يمكث فيها ألف سنة، ثم ينادي بعد ذلك: يا حنّان يا منّان، فيبعث الله تعالى له ملكًا فيخوض في النار في طلبه سبعين عامًا لا يجده، ثم يرجع فيقول: يا ربّ إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانًا من النار، وإني طلبته من النار سبعين سنة فلم أجده، فيقول الله تعالى له: انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة فأخْرِجه، فيذهب فيخرجه من تحت تلك

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن ١٠٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٢، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣١٧.

الصخرة فيُدخله الجنّة. ثم إن الجهنميّين يطلبون من الله عزّ وجلّ أن يمحو عنهم ذلك الاسم، فيبعث الله تعالى ملكًا فيمحوه من جباههم. ثم إنه يقال لأهل الجنّة وكل مَنْ دخلها مِنَ الجهنميّين: اطّلعوا إلى أهل النار، فيطّلعون إليهم فيرى الرجل منهم أباه أو جاره أو صديقه أو مولاه، فيحزن حزنًا شديدًا على أبيه أو جاره أو صديقه أو سيّده، ثم يبعث الله تعالى إليهم ملائكة بأطباقٍ من نار ومسامير من نار وعمدٍ من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتُشَدّ بتلك المسامير وتُمَدّ بتلك العُمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه نفس ويتركهم الرحمٰن عزّ وجلّ، وهو على عرشه زمانًا وهم يستغيثون فلا يُغاثون، وأهل الجنّة مشغولون بالنّعيم المقيم في أكلٍ وشربٍ وفواكه وحور وولدان وغير ذلك ممّا لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وتقدَّم في الحديث: إنّ أهل النار ينقطع كلامهم بعد قوله تعالى لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، فما هو إلا الزّفير والشهيق أبد الآبدين؛ فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهُمَزة: الآيتان ٨، ٩]، نسأل الله تعالى العفو والعافية.

وفي الحديث: «**إنّ جهنَّم تزفر يوم القيامة حين يُجاء بها زفرة فلا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا جثا لركبتيه**»، وفي رواية: «**أنه إذا جِيء بجهنّم، وكانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق، ثم تزفر ثانية فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول**» الحديث، «**حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام يقول: بخلّتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول موسى: بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي، ويقول عيسى: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني. وأمّا محمّد ﷺ فيقول: يا ربّ أسألك أُمّتي لا أسألك اليوم نفسي، فيجيبه الجليل جلّ وعلا: إنّ أوليائي من أُمّتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزّتي وجلالي لأقرنّ عينيك في أُمّتك، هذا والملائكة واقفون بين يدي الله عزّ وجلّ ينتظرون ما يأمرهم به، فيقول الله تعالى: معاشر الزبانية انطلقوا بمن مات مصرًّا على الكبائر من أُمّة محمّد إلى النار، فقد اشتدّ غضبي عليهم بتهاونهم بأمري في دار الدُّنيا واستخفافهم بحقّي وانتهاكهم لحرماتي،**

كانوا يستخفّون من الناس إذا عصوا، ويبارزوني بالمعاصي، ويجعلوني في أعينهم أهون الناظرين مع كرامتي لهم وتفضيلي لهم على الأُمم، فلم يعرفوا فضلي عليهم ولا نعمتي؛ فعند ذلك تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء وينطلقون بهم إلى النار، وما من عبدٍ يُساق إلى النار من غير هذه الأُمّة إلا اسودَّ وجهه، ووُضِعت الأنكال في قدمه، والأغلال في عنقه إلّا هذه الأُمّة، فإنهم يُساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: معاشر الأشقياء من أيّ أُمّة أنتم؟ فما ورد عليَّ أحسن وجوهًا منكم، فيقولون: نحن من أُمّة القرآن، فيقول لهم مالك: معاشر الأشقياء أوَ ليس القرآن أُنزل على محمّد ﷺ؟ قال: فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء، فيذكرهم ذلك القول بنبيّهم محمّد ﷺ فيقولون: وامحمّداه وامحمّداه! اشفع لمن أُمر به إلى النار من أُمّتك، قال: فينادى مالك بتهديدٍ وانتهار: يا مالك مَنْ أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم ومشافهتهم بالكلام والتوقف عن إدخالهم العذاب؟ فيقول: إني رأيتهم أحسن الأشقياء وجوهًا، ثمّ يُقال: يا مالك لا تسودّ وجوههم، فقد كانوا يسجدون لي عليها في دار الدنيا، يا مالك لا تغلّهم بالأغلال، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تعذّبهم بالأنكال، فقد طافوا ببيتي الحرام، يا مالك لا تُلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك مُرِ النار لا تحرق ألسنتهم، فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك، قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير ما يستحقّون من الوالدة بولدها؛ فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره، فإذا انتقم الله تعالى منهم على قدر كبائرهم وصغائرهم وعتوّهم وإضرارهم فتح بينهم وبين المشركين باب، فرأوهم في الطبق الأعلى من النار: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ [النبأ: الآية ٢٤]، وهم يبكون ويقولون: يا محمّد ارحم الأشقياء من أُمّتك واشفع لهم إلى ربّك، فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم، فإذا أبطأ عليهم محمّد ﷺ مدّة عدم بلوغه خبرهم نادروا ربّهم عزّ وجلّ وقالوا: يا ربّنا ارحمنا، فإنّنا لم نُشرك بك أحدًا في دار الدُّنيا، وإنما أسأنا وأخطأنا وتعدّينا حدودك، فعندك تقول المشركين لهم: ما نرى إيمانكم بربّكم وبمحمّد أغنى عنكم شيئًا، فيغضب الله عزّ وجلّ من هذا القول ويقول: يا جبريل انطلق فأخْرِجِ مَنْ في النار من أُمّة محمّد ﷺ، فيُخرجهم ضبائر ضبائر - يعني جماعات

بعد جماعات ـ وقد امتحشوا من النار، فيلقيهم على نهر على باب الجنّة يقال له نهر الحياة، فيمكثون فيه حتى يعودوا أنضر ما كانوا ـ يعني أحسن صورة وجمالًا ـ ثم يأمر الله بإدخالهم الجنّة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميّون عتقاء الرحمـٰن من أُمّة محمّد ﷺ، فيُعرفون من بين أهل الجنّة بذلك، فيتضرّعون إلى ربّهم أن يمحو عنهم تلك الكتابة، فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يُعرفون بها بعد ذلك بين أهل الجنّة»، الحديث.

وروى الحافظ أبو نعيم رضي الله تعالى عنه عن أبي عمران الجونيّ رضي الله تعالى عنه، قال: «**بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكلّ جبار وكل شيطان وكلّ من يخاف الناس شرّه في الدنيا، فيُوثقون بالحديد ثم يُؤْمر بهم إلى النار ثم يُطبقها عليهم، فلا والله لا يستقرّ لأقدامهم قرار أبدًا ولا والله ما ينظرون إلى أديم السماء أبدًا، بل هم مكبوبون على وجوههم في النار، ولا والله لا تكتحل جفونهم بغمض نوم أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا أبدًا، ثم بعد زمان يقال لأهل الجنّة: افتحوا اليوم الأبواب ولا تخافوا شيطانًا ولا جبّارًا، وكلوا اليوم واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية**». قال أبو عمران الجوني رضي الله عنه: الأيام الخالية هي والله أيّامكم هذه، فعليكم بالجوع والعطش وترك الشهوات لتجازوا في الآخرة بأرفع الدّرجات، انتهى. وسيأتي أن أهل النار خالدون مخلّدون في النار لا يدخلون الجنّة أبدًا، وإنما يخرج منها بالشفاعة عصاة الموحّدين فقط، وانعقد إجماع أهل السنّة والجماعة على ذلك، ومرادنا بأهل النار المجرمون لا غير، وهم أربع طوائف: المشركون والمتكبّرون والمنافقون والمعطّلون؛ كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبّر وطغى من سائر الخلق من الجنّ الإنس، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ [طه: الآية ٧٤] أي للكافر ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: الآية ٧٤]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: الآية ٥٦]، وأجمع أهل السنة أيضًا أنه لا يخلد في النار موحّد.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقد خالف في ذلك بعض من ينتمي إلى العلم وخرق الإجماع، فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد، ويدخل الجنّة من باب الامتنان لا من باب الأعمال، كما أشار إليه حديث

الشيخين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لله أرحم بعبده من الوالدة بولدها، أفترونها تلقي ولدها في النار لا ترحمه أبدًا؟**»(١) الحديث، قال: وهذا مخالف لظاهر النصوص القطعية، انتهى.

قال: ومما استدلّ به هذا البعض أن ذلك جائز في العقل، وأنّ صفة الغضب تنقطع ويعقبها الرحمة؛ كما قال تعالى في الحديث القدسي عن النبيّ ﷺ: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»، ولو أن الغضب كان دائمًا لا ينقطع لكانت الغلبة له على الرحمة، وهو خلاف النصوص.

قال الإمام القرطبي: فيقال لهذا البعض، وكذلك القول في إخراج أهل الجنّة منها إلى النار، فإنه جائز في العقل، فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذّبون فيها أبد الآبدين، وهو فاسد مردود بوعده الحقّ، وقوله الصدق في حقّ أهل الجنان أنهم خالدون مخلدون فيها ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: الآية ١٠٨]، أي مقطوع، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحِجر: الآية ٤٨]، وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبَة: الآيتان ٢١، ٢٢]، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في الاستهزاء بأهل النار

روى ابن المبارك وغيره في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، قال: يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا فتفتح لهم أبواب النار فإذا رأوها قد فُتِحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطفّفِين: الآية ٣٤]، فإذا انتهى أهل النار إلى أبواب النار غلقت دونهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت الأبواب دونهم.

وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: إن بين الجنّة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ كان له في الدنيا اطّلع من بعض الكوى؛ كما قال

---

(١) تقدّم الحديث مع تخريجه.

الله تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٥٥]، قال: ولقد بلغنا أنّ المؤمن إذا اطّلع في النار يرى جماجم القوم تغلي، فيشكر الله تعالى على ما زُوِيَ عنه من العذاب، قال: ولولا أنّ الله تعالى عرّف العبد أباه في النار ما عرفه لما هو عليه من تغيّر المحاسن التي كان عليها في دار الدنيا.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن المستهزئين بعباد الله في الدنيا تُفتح لهم أبواب الجنّة يوم القيامة، فيُقال لهم: ادخلوا الجنّة، فإذا جاؤوا أُغلق الباب، ثم يُفتح لهم ثالثًا فيُدعون فلا يجيبون، فيقول لهم الربّ جلّ وعلا: أنتم المستهزؤون بعبادي أنتم آخر الناس حسابًا، فيقومون في الحرّ حتى يغرقوا في العرق، فينادون: يا ربّنا اصرفنا من هذا الموقف ولو إلى النار، وهم يعلمون ما في النار، ولكنهم رأوا دخول النار في ذلك الموقف أهْوَن عليهم ممّا هم فيه**».

وفي الحديث أيضًا: «**يُؤمر يوم القيامة بأُناس إلى الجنّة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعدّه الله لأهلها فيها: نودوا أن اصرفوهم عنها، فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأوّلون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربّنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريْتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا، فيقول تعالى لهم: ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين خاشعين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، وهبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلّوني، فاليوم أُذيقكم العذاب الأليم مع ما حرَّمتكم من الثواب**»، ذكره الغزالي رحمه الله في كتاب الإحياء.

قلت: وظاهر هذا التوبيخ إنّما هو في حقّ العصاة من الموحّدين، لقوله فيه: كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم؛ إذ الكافر لا يتوقف في معصيته على الخلوة بربّه، بل هو متظاهر بكفره، فنسأل الله تعالى أن يعفو عنّا ويصفح إكرامًا لنبيّنا محمّد ﷺ من حيث كوننا من أُمّته، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «**إنّ الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنّة ومسكنًا في النار. فأمّا المؤمنون، فيأخذون منازلهم ويَرِثون منازل الكفّار، ويُجعل الكفار في منازلهم في النار**»[(١)] أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح. وفي رواية أخرى أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلّا له منزلان: منزلٌ في الجنّة ومنزلٌ في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنّة منزله؛ فذلك قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآية ١٠]»[(٢)]، انتهى. والحمد لله رب العالمين.

باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصّراط ومن يذبحه

روى البخاري عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار جِيءَ بالموت حتى يجعل بين الجنّة والنار ثم يُذبح، ثمّ ينادي مُنادٍ: يا أهل الجنّة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنّة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم**»[(٣)].

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار، يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيُوقف بين الجنّة والنار، فيقال: يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون وينظرون، فيقولون: نعم، هذا الموت؛ فيُؤْمر به فيُذبح، ثم يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت فيها، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها**»، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريَم: الآية ٣٩]، وأشار بيده ﷺ إلى الدنيا[(٤)].

---

(١) أخرجه القرطبي في تفسيره ١٢/١٠٨.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/٦، والقرطبي في تفسيره ٢/١٠٨.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٥١، ومسلم في الجنة حديث ٤٣.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٥٠، ومسلم في الجنة حديث ٤٠.

وروى ابن ماجه[١] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يُجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصّراط، فيقال: يا أهل الجنّة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هُمْ به، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فَرِحين رجاء أن يخرجوا من مكانهم الذي هُمْ فيه، ثم يقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت، قال: فيُؤْمر به فيُذبح على الصّراط، ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت**»، زاد في رواية: «**فلو أنّ أحدًا مات فرحًا لمات أهل الجنّة، ولو أنّ أحدًا مات حزنًا لمات أهل النار**».

وذكر الإمام أبو القاسم بن قيس في كتاب خلع النّعلين والشيخ محي الدين في الفتوحات: إن الذي يتولّى ذبح الموت هو السيد يحيىٰ عليه السلام، وقال غيرهما: يتولّى ذبحه جبريل عليه السلام، وعبارة ابن قيس رحمه الله: اعلم أنّ الذي يتولّى ذبح الكبش المذكور هو يحيىٰ بن زكريا يذبحه بين يديّ النبيّ ﷺ بأمره الأكرم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: فهذه الأحاديث مع صحتها نصّ في خلود أهل الدارين فيهما، لا إلى غاية ولا أمد مقيمين على الدوام من غير موت، لكن أهل النار لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفّف عنهم من عذابها كما قال الله تعالى؛ وقال أيضًا: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النّساء: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: الآيات ١٩ - ٢٢]، فمن قال: إن أهل النار يخرجون منها، وأنها تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وأنها تفنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المنقول ومخالف لما جاء به الرسول ولما أجمع عليه أهل السنّة والأئمّة العدول: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء: الآية ١١٥]، وإنما تخلى الطبقة العليا من جهنّم التي فيها عصاة الموحّدين لا غير حين يخرجون منها بالشفاعة، وهي التي ينبت على شفيرها

(١) كتاب الزهد باب ٣٨.

الجرجير فيما يقال، فقد بلغنا أن شخصًا قَدِم على أنس بن مالك من الشام فسأله عن أكل الجرجير، وقال: إنه يتحدّث عنه أنه ينبت على شفير جهنّم، فقال له أنس: لا بأس بأكله، انتهى. رواه الحافظ أبو بكر الخطيب. وروى البزار عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه قال: «**يأتي على النار زمان تخفق الرّياح أبوابها ليس فيها أحد**»، يعني من الموحدين.

قال الإمام القرطبي: هكذا رويناه موقوفًا وليس فيه ذكر النبيّ ﷺ، انتهى. وعبارة الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكيّة.

اعلموا أنّ أهل النار إذا دخلوا فيها أغلقت أبوابها غلقًا لا فتح بعده أبد الآبدين ودهر الداهرين، وكلّ ما جاء مما يفهم منه خروج أهل النار منها، فالمراد به الطبقة العليا من جهنّم التي كان فيها عصاة الموحدين، وخرجوا بالشفاعة؛ فإيَّاكم والغلط، انتهى. فاعلموا ذلك أيّها الإخوان واستعيذوا بالله من سوء الخاتمة، والحمد لله ربّ العالمين.

أبواب الجنّة
وما جاء فيها وفي صفتها وصفة نعيمها

اعلم أنّ الله تعالى قد وصف الجنّة في القرآن وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمٰن، وفي سورة هل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان. وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ في أحاديث ستّة بأوضح بيان.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لمّا أُنزلت عليه سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: الآية ١] كان عنده رجل أسود، فكان يسأل النبيّ ﷺ عن مسائل، فقال له عمر بن الخطاب: حسبك لا تُثْقل على رسول الله ﷺ، فقال: «**دَعْه يا ابن الخطاب**»، فلما بلغ رسول الله ﷺ صفة الجنان زفر ذلك الرجل الأسود زفرة فخرجت نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**أخرج نفس صاحبكم ـ أو قال: أخيكم ـ الشوق إلى الجنّة**»[1]، انتهى.

فتأمّلوا أيها الإخوان فيما وصف الله تعالى لكم في كتابه من نعيم الجنان، وأكثروا من الأعمال الصالحة، فإن لكل مأمور شرعي درجة في نعيم الجنّة لا ينال ذلك النّعيم إلّا بفعل ذلك الأمر، والله يتولّى هداكم وهو يتولّى الصالحين.

باب علامة أهل الجنّة في دار الدنيا

كان عبد الله بن زيد رضي الله عنه يقول: وصف الله تعالى أهل الجنّة في الدنيا بالخوف والحزن والبكاء والشفقة، فأعقبهم ذلك دخول الجنّة وما فيها من النعيم والفرح والسرور، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطُور: الآيتان ٢٦،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٣٢، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٩٧.

٢٧]، ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكّه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: الآية ١٣] الآية، وذكر تعالى أن بعض الجنان يفضل على بعض بقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٤٦]، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٦٢]؛ فالله يرزقنا الموت على الإيمان لندخل بفضله شيئاً من هذه الجنان، والله على كل شيء قدير.

باب صفة الجنّة، وبيان ما أعدّه الله لأهلها من النعيم

روى مسلم وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عزّ وجلّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بله ما اطّلعتم عليه**»[١]، أي غير ما اطّلعتم عليه «**ثم يقرأ** ﷺ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]». وروى ابن ماجه أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «**ألا مشمّر للجنّة، فإن الجنّة لا خطر لها هي وربّ الكعبة نور يتلألأ وريحانة نهتزّ وقصر مشيد ونهر يطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام أبداً في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهيّة**»، قالوا: نحن المشمّرون لها يا رسول الله؟ قال: «**قولوا إن شاء الله**»[٢] الحديث.

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ممّ خُلِق الخلق؟ قال: «**من الماء**»، قلت: فما بناء الجنّة؟ فقال: «**لَبِنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، مَنْ دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تُبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»[٣] الحديث، ورواه أبو داود الطيالسي أيضًا، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٣٢، باب ١، ومسلم في الجنّة حديث ٣، ٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد باب ٣٩.

(٣) أخرجه الترمذي في الجنّة باب ٢، وأحمد في المسند ٢/٣٠٥، ٣٦٢، ٤٤٥، ٥/٩.

باب ما جاء في أنهار الجنّة وجبالها وما في الدنيا منها

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: الآية ١٥]، ورُوِيَ أنها تجري في غير أُخدود منضبطة بيد القدرة.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أنهار الجنّة تخرج من تحت تلال أو جبال المسك**»(١). وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أربعة جبال من جبال الجنّة، وأربعة أنهار من أنهار الجنّة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنّة**»، قيل: يا رسول الله، فما الأجبل؟ قال: «**جبل أُحد يحبّنا ونحبّه، والطور جبل من جبال الجنّة، ولبنان جبل من جبال الجنّة**»، والجبل الرابع ساقط من هذه الرواية في جميع النسخ التي وجدتها. «**وأمّا الأنهار: فالنيل والفرات وسيحان وجيحان. وأما الملاحم: فبدر وأُحد والخندق وخيبر**»(٢).

قلت: ولعلّ الجبل الرابع هو المسمّى بخصيب يدلّ على ذلك ما رُوي أنّ رسول الله ﷺ غزا غزوة بالأبواء، فلمّا كان بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلّى بهم، ثم قال: «**هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا خصيب جبل من جبال الجنّة، اللّهمّ بارك لأهله**». وقال في الروحاء: «**هذه سبخاء مسبخ واد من أودية الجنّة لقد صلّى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيًّا، ولقد مرّ موسى عليه الصّلاة والسلام بالرّوحاء هذه وعليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورداء في سبعين ألفًا من بني إسرائيل حتى جاء البيت العتيق**»(٣) الحديث.

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ في الجنّة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللّبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**». وفي الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**سيحان وجيحان والنيل والفرات كلّ من أنهار الجنّة**»(٤).

---

(١) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ٢٦٢٢.

(٢) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٥٣٣٥.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٦٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١٢٣.

(٤) أخرجه الترمذي في الجنة باب ٢٧، والدارمي في الرقاق باب ١١٢.

وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: نهر دجلة نهر ماء الجنّة، ونهر الفرات نهر لبنها، ونهر مصر نهر خمرها، ونهر سيحان نهر عسلها، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. وفي حديث الإسراء: أنّ رسول الله ﷺ مرّ بنهرين يطردان، فقال: «**ما هذا يا جبريل؟ فقال: النّيل والفرات**» الحديث، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في رفع هذه الأنهار، ورفع القرآن والعلم عند خروج يأجوج ومأجوج

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله عزّ وجلّ أنزل إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهر العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عينٍ واحدة من عيون الجنّة في أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم؛ وذلك قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: الآية ١٨][1]**، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل ليرفع من الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة يرفع ذلك إلى السماء، وذلك قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٨]**، فإذا رُفِعَت هذه الأشياء من الأرض فَقَدَ أهلها خيري الدين والدنيا**»، انتهى.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وفي رفع القرآن عند خروج يأجوج ومأجوج نظر كما سيأتي بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى. وروى المسعودي أنّ الفرات مدّ ـ يعني زاد ـ على عهد عبد الله بن مسعود فكره الناس مدّه، فقال ابن مسعود: لا تكرهوا مدّه، فإنه سيأتي زمان يلتمس الناس منه طشتًا مملوءًا من ماء فلا يجدونه، وذلك حين يرجع كلّ ماء إلى عنصره، فيكون بقية الماء والعيون بالشام، والله تعالى أعلم.

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

باب من أين تفجر أنهار الجنة، وأن الخمر شراب أهل الجنّة، وبيان أن مَن شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، وفي بيان لباس أهل الجنّة وآنيتهم

روى البخاري وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنّة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلِد فيها**»، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشّر الناس؟ قال: «**إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله تعالى للمُجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة وفوقه عرش الرحمـٰن ومنه تفجر أنهار الجنّة**»[١].

قال العلماء: ومعنى أوسط الجنّة، أي أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، ومعنى أعلى الجنّة: أي في الارتفاع. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنّة ووسطها وأعلاها وأرفعها وأفضلها. وقال غيره: إن الفردوس اسم لجميع الجنان، كما أن جهنم اسم لجميع دركات النار. وروى النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**من لَبِس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شَرِبَ الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن أكل في آنية الذهب في الدنيا لم يأكل منها في الآخرة**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**لباس أهل الجنّة وشراب أهل الجنّة وآنية أهل الجنّة**»[٢].

قال العلماء: وإنما يحرم من لبس الحرير وشرب الخمر وأكل في آنية الذهب والفضّة التنعّم بذلك في الجنّة إذا لم يتب منها قبل موته؛ لقوله ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة**»[٣]، رواه مالك. وكذلك القول في لابس الحرير والآكل في آنية الذهب والفضّة أو الشارب فيهما على أنه ورد بإسناد صحيح: «**مَن لَبِس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنّة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو**».

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٤، والتوحيد باب ٢٢، والنسائي في الجهاد باب ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب ٢٥، ومسلم في اللباس حديث ١١، ٢١.

(٣) أخرجه مالك في الأشربة حديث ١١.

قال الإمام القرطبي: وهذا نصّ صريح في غاية البيان إنْ لم يكن ذلك من قول الراوي، بل ولو كان من قول الراوي؛ لأنه أعلم بمراد الشارع ومثله لا يقال من قِبَل الرأي، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في أشجار الجنّة وثمارها وما يشبه ثمر الجنة في الدنيا

روى الترمذي(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**يقول الله عزّ وجلّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]، **قال: وفي الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٠]، **وموضع سوط في الجنّة خير من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥]». وفي رواية أخرى: «**إن في الجنّة شجرة يسير الراكب في ظلّها سبعين سنة ـ أو قال: مئة ـ وهي شجرة الخلد**». وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: والذي أنزل التوراة على موسى، والفرقان على محمّد ﷺ إنّ في الجنّة شجرة لو أنّ رجلًا ركب حقّة أو جذعة ثم دار في أصلها ما يبلغها حتى يسقط هرمًا، إنّ الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنّة، وما في الجنة نهر إلّا ويخرج من أصل تلك الشجرة. وفي رواية للترمذي(٢): أن رسول الله ﷺ قال وذكر له شجرة المنتهى: «**إن الراكب يسير في ظلّها ألفين، منها مائة فيها فراش الذهب، كأنما ثمرها القلال**». وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «**لما رُفِعْتُ إلى شجرة المنتهى في السماء السابعة رأيت نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ فقال: أما الباطنان، ففي**

---

(١) كتاب الجنة باب ١٥، وتفسير سورة ٣٢، باب ٢، وتفسير سورة ٥٦، باب ١.

(٢) كتاب الجنّة باب ١، ٩، وتفسير سورة ٥٦، باب ١، ٢.

الجنّة. وأمّا الظاهران، فالنيل والفرات»[(١)]. وفي الحديث: «**أن سدرة المنتهى صبر الجنّة**» يعني أعلاها، وصبر كلّ شيء أعلاه. وفي الحديث: «**أن نبق سدرة المنتهى ينفتق كل نبقة منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر**»، وفي رواية أخرى أن أعرابيًا قال: يا رسول الله هل في الجنّة فاكهة؟ قال: «**نعم شجرة تُدعى طوبى**»، فقال: يا رسول الله، أيّ شجر أرضنا يشبه؟ قال: «**لا يشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن هل أتيت الشام فإنّ هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق وتفترش أعلاها**» ـ أي تشبهها ـ قال: يا رسول الله، فما عظم أصلها؟ قال: «**لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً**»، قال: فهل فيها عنب؟ قال: «**نعم**»، قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: «**مسيرة الغراب الأبقع شهراً ولا يفتر**»، قال: فما قدر الحبّة منها؟ فقال: «**كالدلو العظيم**»، فقال: يا رسول الله إن هذه الحبّة لتشبعني وأهل بيتي، قال: «**نعم وعامة عشيرتك**»[(٢)]. وكان أبو عبيدة رضي الله عنه يقول: نخل الجنّة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى، وإن ماءها يجري في غير أُخدود، وكل عنقود من عنبها اثنا عشر ذراعًا.

وكان أبو أُمامة الباهلي رضي الله عنه يقول: طوبى شجرة في الجنة ليس فيها دار إلّا وفيها غصن منها، ولا صير حسن إلّا وهو فيها، ولا ثمرة إلّا وهي فيها. وكان الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: ليس في الدنيا شيء يشبه ثمار الجنّة إلا الموز؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥]، وأنت تجد الموز في الصّيف والشتاء. وعن أبي ذرّ: أنّه أهدى للنبيّ ﷺ طبق من تين، فأكل منه وقال لأصحابه: «**كلوا، فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنّة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة لا عجم لها فكلوها، فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه ١/ ٢٥، والقرطبي في تفسيره ١٣/ ٤٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٨٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ١٢٨.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يديّ.

ورُوِيَ عن عاصم بن ضمرة عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفكّهوا بالبطيخ وعظّموه، فإن ماءه من الجنّة وحلاوته من حلاوة الجنّة، وما من عبدٍ أكل منها لقمة إلا أدخل الله جوفه سبعين دواء وأخرج عنه سبعين داء وكتب الله له بكل لقمة عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٦]، ثم قال: «**إن الدباء والبطيخ من الجنة**»[١]، رواه الإمام القرطبي بسنده المتّصل إلى النبيّ ﷺ.

باب ما جاء أن شجر الجنّة وأنهارها تنفتق عن ثياب أهل الجنّة وخيلها ونجبها

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إنّ في الجنّة شجرة يقال لها طوبى، يقول لها تعالى لها: تفتّقي لعبدي عما شاء، فتنفتق له عن فرسٍ بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، وتنفتق عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كم شاء، وعن النجائب والثياب**».

وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب الجنّة، أخلقًا تُخلق أن نسجًا تُنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال: ممّ تضحكون إنّ جاهلًا يسأل عالمًا، فجلس يسيرًا ـ أو قال: قليلًا ـ فقال رسول الله ﷺ: «**أين السائل عن ثياب الجنّة؟**» قال: ها هو ذا يا رسول الله، قال: «**لا تنسج وإنما تشقق عنها ثمار الجنّة**» ـ قالها ثلاثًا[٢] ـ والله أعلم.

باب ما جاء في نخيل الجنّة وثمرها وزرعها، وأنه ليس في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**نخل الجنّة جذوعها زمرد أخضر وفروعها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنّة منها مقطعاتهم وحللهم،**

---

(١) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٠٣، ٢٢٥.

وثمرها أمثال القلال والدّلاء أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم». وفي الحديث: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنّة من نخل، فإني أحبّ النخل؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده لها جذوع من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب، وسعف كأحسن حلل يراها أحد من العالمين، وعراجين من ذهب، وشماريخ من ذهب، وأقماع من ذهب، وثمار كالقلال أشدّ لينًا من الزبد، وأحلى من العسل**»[١]. وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي عن رسول الله ﷺ: «**أنه أخذ عودًا بيده وقال: يا جرير لو طلبت في الجنّة مثل هذا العود لم تجده**»، قال: فقلت: فأين النخل والشجر؟ فقال: «**أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر**»[٢]. وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ما في الجنّة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[٣]. وروى البخاري: «**أنّ رسول الله ﷺ كان يومًا يحدّث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربّه في الزرع، فقال له ربّه: ألست فيما شئت؟ ـ يعني من النعيم ـ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، قال: فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال؛ فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأمّا نحن، فلسنا بأصحاب زرع؛ فضحك رسول الله ﷺ**»[٤]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في أبواب الجنّة
وكم هي ولمن هي وفي تسميتها وسعتها

قال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣]، قال جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية، فللجنّة ثمانية أبواب، واستدلّوا

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يديّ.
(٢) أخرجه بنحوه السيوطي في الدرّ المنثور ١/ ١٥٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ١٣٤.
(٣) أخرجه الترمذي حديث ٢٥٢٥.
(٤) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٣٨، والحرث باب ٢٠، وأحمد في المسند ٣/ ٥١١، ٥١٢.

بقوله ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضّأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنّة الثمانية، فيدخل من أيّها شاء**» رواه الإمام مسلم(١).

وجاء في حديث الموطأ والبخاري ومسلم تعيين هذه الأبواب لبعض العمّال، وهو قوله ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نُودِي في الجنّة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِي من باب الصلاة، ومَنْ كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومَنْ كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومَنْ كان مِنْ أهل الصّيام دُعِيَ من باب الريَّان**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يُدعى من هذه الأبواب كلّها من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**»، وزاد مسلم في رواية: «**على هذه الأبواب باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ وباب الرّاضين والباب الأيمن الذي يدخل منه مَنْ لا حساب عليه**»، وزاد أبو عبد الله الحكيم الترمذي أيضًا: «**باب محمّد ﷺ هو باب الرحمة**»(٢)، وقال بعضهم: إنه باب التوبة، فإن الله تعالى جعله مفتوحًا منذ خلقه لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها أُغلق فلم يُفتح إلى يوم القيامة، وسائر الأبواب مقسومة على أبواب البرّ من صلاة وصوم وزكاة وصدقة وحجّ وجهاد وصلة رحم وعُمْرة، وعلى هذا تُعَدّ أبواب الجنّة أحد عشر بابًا، كما ترى.

وروى الحافظ أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى عن رسول الله ﷺ: «**إن في الجنّة بابًا يقال له باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة ينادي مُنادٍ: أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوا الجنّة منه**»(٣)، وفي رواية للترمذي: «**إن للجنّة بابًا لا يختصّ بأحد، بل هو لسائر أُمّة محمّد ﷺ ممّن لم**

---

(١) كتاب الطهارة حديث ١٧.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب ٤، والجهاد باب ٣٧، وبدء الخلق باب ٩، وفضائل أصحاب النبيّ باب ٥، والترمذي في المناقب باب ١٦، والنسائي في الزكاة باب ١، والجهاد باب ٢٠، والدارمي في الجهاد باب ١٣، ومالك في الجهاد حديث ٤٩.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٩، والسيوطي في الدرّ المنثور ٥/ ٣٤٣.

يغلب عليهم عمل يُعْرفون به»[(١)]، ولهذا ورد أن الناس يزدحمون فيه حتى تكاد مناكبهم تزول من الزحام. وأمّا سعة أبواب الجنّة، فقد ورد عن عتبة بن غزوان الصحابي رضي الله عنه أنّه كان يقول في خطبته: لقد ذكر لنا «**أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين سنة، وليأتينّ عليه يوم وهو كظيظ من الزحام**»، وفي رواية: «**أنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّة وهجر، أو كما بين مكّة وبصرى**» أي وأوسع.

وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ليدخلنّ الجنة من أُمّتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف متماسكون آخذٌ بعضهم بعضًا لا يدخل أوّلهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**».

قال الإمام القرطبي: ويحتمل أن تكون أبواب الجنّة مختلفة الاتّساع، فبعضها أربعون سنة وبعضها كما بين مكّة وهجر وغير ذلك، فلا تناقض. قال: وقوله في الحديث: «**من أنفق زوجين في سبيل الله**»، المراد كل من جمع بين درهمين أو نعلين أو خفّين أو ثوبين. ويحتمل أن يُراد بذلك العمل من صلاة يومين أو صيام يومين، والأوّل أظهر لوروده في حديث أبي ذرّ عن رسول الله ﷺ في قوله: «**من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنّة**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**بعيرين درهمين ثوبين نعلين**» والله أعلم. وفي حديث الشيخين: «**أن باب الريان يدخل منه الصائمون، فإذا دخل آخرهم منه أُغلق، فلم يدخل منه أحد**»[(٢)].

قال الإمام القرطبي: وكذلك ينبغي القول في سائر بواب الجنّة الخاصة بأصحاب الأعمال. وروى أبو داود وغيره عن رسول الله ﷺ: «**انطلق برجل إلى باب الجنّة، فرفع رأسه فإذا على باب الجنّة مكتوب: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض الواحد بثمانية عشر**»[(٣)]، أي لأن صاحب القرض لا يأتيك إلّا وهو محتاج. وأمّا الصدقة، فربما وقعت في يد غنيّ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث ٧٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب ٤، ومسلم في الصيام حديث ١٦٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الصدقات باب ١٩.

باب ما جاء في درج الجنّة، وما يحصلها للمؤمن

روى البخاري[١] وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**في الجنّة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنّة الأربعة ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس**»، زاد في رواية أخرى: «**إن أوّل درجة من الجنّة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضّة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررهما ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلّا الله**». وفي رواية للترمذي[٢] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ في الجنة مائة درجة لو أن جميع العالمين اجتمعوا في إحداهنّ لوسعتهم**»، وفي رواية لابن ماجه[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: إذا دخل الجنّة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**». وفي رواية لأبي داود[٤]: «**إنّه يقال لقارىء القرآن: اقرأ وارْقَ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»، وفي رواية: «**أن درج الجنّة على قدر عدد آي القرآن، لكل آية درجة، فتلك ستّة آلاف ومائتا آية وستّ عشرة آية عدد آيات القرآن بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض، فينتهي به إلى أعلى عليّين لها سبعون ألف ركن، وهي ياقوته تضيء مسيرة أيام وليال**». وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: عدد آي القرآن على عدد درج الجنّة، فليس أحد يدخل الجنّة أفضل من قرّاء القرآن، انتهى.

قال الإمام القرطبي: قال علماؤنا: إن المراد بقرّاء القرآن وحملته هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه لا مطلق القرّاء والحَمَلة، فقد قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه، وقد تقدَّم في أبواب النار عقوبة العالم إذا لم يعمل بعلمه، فلا نعيد ذلك والله أعلم.

---

(١) كتاب التوحيد باب ٢٢، والجهاد باب ٥. (٢) كتاب الجنة باب ٤.
(٣) كتاب الزهد باب ٣٩. (٤) كتاب الوتر باب ٢٠.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه ولم يأخذ بما فيه وحرّفه كان له شفيعًا ودليلًا إلى جهنّم، ومن تعلَّم القرآن وأخذ بما فيه كان له شفيعًا ودليلًا إلى الجنّة**»[١]، وفي البخاري[٢]: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُترجّة طعمها طيّب وريحها طيّب، ومثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة طعمها طعمها طيّب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كالحنظلة طعمها مرّ ولا ريح لها**» الحديث بطرقه، وتقدَّم أنّ قارىء القرآن إذا عمل به جاز جميع درجات الجنّة، والله أعلم.

باب ما جاء في غرف الجنّة ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الزُمَر: الآية ٢٠] الآية، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سَبَأ: الآية ٣٧]، وهم في الغرفات آمنون. وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفُرقان: الآية ٧٥].

وفي حديث مسلم[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أهل الجنّة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤون الكوكب الدرّي الغابر في أُفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهما**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغه غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**». والغابر: الغارب كما في رواية، فهما بمعنًى واحد. وقوله: وصدقوا المرسلين، أي: وعَمِلوا بما أمروا به؛ إذ التصديق من غير عمل لا يعطي مثل ذلك؛ كما قاله العلماء.

وروى الترمذي[٤] وغيره عن رسول الله ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفُرقان: الآية ٧٥]، وفي قوله: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سَبَأ: الآية ٣٧]: أن الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درّة بيضاء ليس فيها قصم ولا وصل، وإنّ أهل الجنّة ليتراؤون الغرفة

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٣٧٦.
(٢) كتاب الأطعمة باب ٣٠، وفضائل القرآن باب ١٧، والتوحيد باب ٣٦.
(٣) كتاب الجنّة حديث ١٠، ١١. (٤) كتاب الجنّة باب ١٩.

منها كما تراؤون الكوكب الشرقي أو الغربيّ في أُفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما. ورُوِيَ عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**إن المتحابّين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم على أهل الجنّة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا، يقول أهل الجنّة بعضهم لبعض: انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابّين في الله تعالى، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم على أهل الجنّة كما تُضيء الشمس على أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندسٍ مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابّون في الله**»[١].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل عليّين لينظرون إلى أهل الجنّة، فإذا أشرف رجل من أهل عليّين أشرقت الجنة بضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟ فيقال: أشرف رجل من أهل عليّين الأبرار أهل الطاعة والصدق**»[٢].

وروى الترمذي[٣] عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ في الجنّة لغرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقام إليه رجل فقال: لمن هي يا رسول الله؟ فقال: لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلّى بالليل والناس نيام**»، وفي رواية: «**هي لمن أفشى السلام**» الحديث، زاد في رواية لأبي نعيم رحمه الله: فقال رجل: ومَنْ يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**أُمّتي تطيق ذلك، وسأخبركم بمن يطيق ذلك: مَنْ لَقِيَ أخاه المسلم فسلَّم عليه، فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم، فقد أطعم الطعام. ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام. ومن صلّى العشاء الآخرة في جماعة، فقد صلّى والناس نيام**» اليهود والنصارى والمجوس.

وفي الحديث: «**إن في الجنّة لغرفًا ليس لها معاليق من فوقها ولا عماد**

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٤٧٠٧.

(٢) أخرجه بنحوه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/٥٢٩.

(٣) حديث رقم ٢٥٢٧.

من تحتها»، قيل: يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها؟ فقال: يدخلونها أشباه الطير، قيل: يا رسول الله لمن هي؟ قال: «**لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى**»[(١)]، أخرجه الحافظ أبو القاسم الشحام.

وفي الحديث أيضًا: «**ليؤتينّ برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمنازله من الله، يكونون على منابرٍ من نور**»، قال: ومَنْ هم يا رسول الله؟ فقال: «**هم الذين يحبّبون الله إلى الناس ويحبّبون الناس إلى الله، ويمشون لله في الأرض نصحاء**»، فقال رجل: يا رسول الله هؤلاء يحبّبون الله إلى الناس، فكيف يحبّون الناس إلى الله؟ قال: «**يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله تعالى**»[(٢)]، انتهى. وهذا من باب تعليق الأسباب على مسبّباتها نظير: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]، والله أعلم.

باب ما جاء في قصور الجنّة ودورها وبيوتها، وبِمَ ينال ذلك المؤمن

روى الحافظ أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين وأبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ [التّوبَة: الآية ٧٢]، فقالا: على الخبير سقطت، سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال: «**قصر من لؤلؤة في الجنّة، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زبرجدة خضراء، في كل بيت سبعون سريرًا، على كل سرير سبعون فراشًا، من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونًا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة، فيعطي الله تعالى المئمن من القوّة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كلّه**»[(٣)]، وفي الحديث: «**إنه ليكون في القصر الواحد من قصور أهل الجنّة سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحُور العين، كل غرفة سبعون**

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٨١.
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٥٥٤.
(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٥٧.

بابًا يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنّة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر»(١)، قال: وهذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧].

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: الآية ١] **عشر مرات بُنِيَ له قصر في الجنّة، ومن قرأها عشرين مرّة بُنِيَ له قصران في الجنّة، ومن قرأها ثلاثين مرّة بنِيَ ثلاث قصور في الجنّة**»، فقال عمر: يا رسول الله إذن لتكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أوسع من ذلك**»(٢). وفي الحديث الصحيح: «**إذا قبض الله عزّ وجلّ ابن العبد، قال للملائكة: ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتًا في الجنّة وسمّوه بيت الحمد**»(٣)، فالله تعالى يجعلنا وأصحابنا من أهل هذه الدرجات آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ٣٤﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٤]

روى الترمذي(٤) أنّ رسول الله ﷺ قال في معنى هذه الآية: «**إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام**».

قال العلماء: الفرش كناية عن الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض، وقيل: الفرش كناية عن النساء اللاتي في الجنّة. والمعنى: ونساء مرتفعات الأقدار في الحسن والكمال، والعرب تسمّي المرأة فراشًا ولباسًا وإزارًا على الإشارة؛ لأن الفرش محل النساء. وفي الحديث: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»(٥)، وفي القرآن العظيم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، والله أعلم.

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤. (٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٦٨.

(٤) كتاب الجنّة باب ٨، وتفسير سورة ٥٦، باب ٣.

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣، والحدود باب ٢٣، ومسلم في الرضاع حديث ٣٦، ٣٨.

باب ما جاء في خيام الجنّة وأسواقها وغير ذلك

روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ في الجنّة لخيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستّون ميلًا في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن**»[١]، وفي رواية: «**طولها في السماء ستون ميلًا**»، وفي رواية لمسلم[٢]: «**إن في الجنّة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فتهبّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا**».

وروى الترمذي[٣] عن سعيد بن المسيّب أنّه لقي أبا هريرة يومًا، فقال له أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنّة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم؛ وذكر الحديث. وفي رواية: «**إنّ في الجنّة لسوقًا تحفّ به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع به الآذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُباع فيها ولا يُشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقي مَن هو دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيّل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها**».

وفي رواية للترمذي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إن في الجنّة لسوقًا ما فيها بيعٌ ولا شراء إلا الصور من الرجال والنّساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها**»، وفي الحديث: «**إن في الجنّة أسواقًا لا بيع فيها ولا شراء، ولكن إذا أفضى أهل الجنّة إليها جلسوا متّكئين على لؤلؤٍ رطب وتراب من مسك، فيتعارفون في تلك الجنان كما كانوا في الدنيا ويتذاكرون كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادتهم لربّهم، وكيف كانوا يُحْيُون اللّيل ويصومون النهار، وكيف كان فقر الدنيا وغناها، وكيف كان الموت، وكيف صرنا بعد طول البلى من أهل الجنّة**».

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٥٥، باب ٢، وبدء الخلق باب ٨.
(٢) كتاب الجنّة حديث ١٣. (٣) كتاب الجنّة باب ١٥.

باب لا يدخل أحد الجنّة إلا بجواز

روى أبو بكر الخطيب أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدْخِلوه جنّة عالية قطوفها دانية**»[(١)].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ولعلّ هذا في غير من يدخل الجنّة بغير حساب كما سيأتي قريبًا، والله تعالى أعلم.

باب أوّل الناس يسبق إلى الجنّة الفقراء

رُوِيَ أن رجلًا جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله أخبرني عن جُلساء الله يوم القيامة؟ فقال: «**هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذّاكرون الله كثيرًا**»، فقال: يا رسول الله أهم أوّل الناس يدخلون الجنّة؟ فقال: «**لا، أوّل الناس دخولًا الجنّة الفقراء المهاجرون يسبقون الناس إلى الجنّة، فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون: ارجعوا إلى الحساب، فيقولون: علام نُحاسب، والله ما كان لنا في الدنيا من مال نقبض فيه ونبسط، ولم نكن أُمراء فنعزل ونجور، ولكنّا قوم جاءنا أمر الله فعبدناه** ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٧]»[(٢)].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى ليقول يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: مَنْ هم يا ربّنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون الرّاضون بقضائي وقدري أدخلوهم الجنّة**»، قال: «**فيدخلون الجنّة فيأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يتردّدون**»[(٣)].

وروى الترمذي[(٤)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن فقراء المهاجرين يدخلون الجنّة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**»، زاد في رواية: «**وهو نصف يوم**»، زاد في رواية أخرى: فقيل: يا رسول الله، فكم العام من شهر؟ قال: «**خمسمائة**

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٤٣.

(٣) أخرجه بنحوه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ١٥.

(٤) كتاب الزهد باب ٣٧.

شهر»، قيل: فكم الشهر من يوم؟ فقال: «**خمسمائة يوم**»، قيل: فكم اليوم؟ قال: «**خمسمائة مما تعدّون**»، ذكره القتيبي. وفي صحيح مسلم[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**».

قلت: ولعلّ اختلاف المدّة يختلف باختلاف طبقات الفقراء شدّة وسهولة وسِعَةً وضعفًا، فكلّما كان أحدهم أضيق معيشة كانت مدّته التي يسبق بها أكثر، والله تعالى أعلم.

وفي حديث ابن ماجه[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من غنيّ ولا فقير إلّا ودَّ يوم القيامة أنه أُوتي من الدنيا كفافًا**»، وفي رواية: «**قوتًا**». وفي صحيح مسلم[(٣)] أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس**»، انتهى.

ومن هنا قال بعض العلماء: إن المراد بالفقراء هنا القانعون بيسير الدنيا وبالأغنياء هم أصحاب الأموال الكثيرة الغافلون بها عن الله عزّ وجلّ، وقد يكون العبد فقير اليد غنيّ القلب وعكسه، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في مراتب أهل الجنّة وسنّهم وطولهم وشبابهم وغرفهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم ونسائهم وليس في الجنة أعزب

روى مسلم[(٤)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أوّل زمرة يدخلون الجنّة من أُمّتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب درّيّ في السماء إضاءة**». زاد في رواية: «**ثم هم بعد منازل لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتفلون ولا يتمخّطون، أمشاطهم الذهب والفضّة، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة، وأزواجهم الحور العين**»، وفي رواية: «**لكلّ واحد منهم زوجتان يرى مخّ ساقهما من وراء اللّحم من حسن، لا اختلاف**

(١) كتاب الزهد حديث ٣٧.
(٢) كتاب الزهد باب ٩.
(٣) كتاب الزكاة حديث ١٢٠.
(٤) كتاب الجنة حديث ١٥، ١٦.

بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجلٍ واحد»، وفي رواية: «**أخلاقهم على خلق رجل واحد»**، وفي رواية: «**على طول أبيهم آدم»**، وفي رواية: «**على صورة أبيهم آدم ستّون ذراعًا في السماء»**. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: النساء في الجنّة أكثر من الرجال؛ لقوله ﷺ: «**لكلّ رجل منهم زوجتان اثنتان يُرى مخّ ساقهما من وراء اللّحم، وما في الجنة أعزب»**.

وروى الترمذي[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن المرأة من نساء أهل الجنّة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلّة، حتى إنه ليُرى مخّها، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٥٨]؛ **فأما الياقوت، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته»**.

وفي البخاري[2] عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**لو أن امرأة من أهل الجنّة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»**. وروى الترمذي[3] أن رسول الله ﷺ قال: «**أهل الجنّة جُردٌ مُردٌ مكحّلون أبناء ثلاثين أو ثلاثة وثلاثين سنة»**، وفي رواية: «**أهل الجنّة جرد مرد إلا موسى بن عمران، فإن له لحية إلى سرّته»**. وروى الترمذي[4] أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن رجلًا من أهل الجنّة اطّلع فبدت أساوره لطمست ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم»**، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «**كلّ مَنْ مات مِنْ أهل الجنّة من صغيرٍ وكبيرٍ يردّون بني ثلاث وثلاثين في الجنّة لا يزيدون عليها، وكذلك أهل النار»**، رواه الترمذي[5].

قلت: وفي كون أهل النار كذلك كلام طويل لأهل الكشف، والله أعلم.
فإن قال قائل: أيّ حاجة في الجنّة للأمشاط وشعورهم لا تتلبّد ولا تتّسخ؟ وأي حاجة للبخور وعرقهم وريحهم أطيب من المسك؟ أُجيب بأن نعيم أهل الجنّة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعترافهم، وكذلك أكلهم وشربهم ليس عن جوع ولا عطش، وكذلك تطيّبهم ليس عن نتن، وإنما هي لذّات متوالية ونِعَم متتابعة. ألا ترى إلى قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ

(١) كتاب القيامة باب ٣٥.
(٢) كتاب الجهاد باب ٦، والرقاق باب ٥١.
(٣) كتاب الجنة باب ٨، ١٢.
(٤) كتاب الجنّة باب ٧.
(٥) كتاب الجنة باب ١٢.

لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: الآيتان ١١٨، ١١٩]. والحكمة في ذلك أن الله تعالى نعَّم أهل الجنّة بنوعٍ ما كانوا يتنعّمون به في الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلم قدره إلا الله، وكذلك الحكمة في أهل النار في نحو قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: الآية ٧١]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمّل: الآية ١٢] الآية، فعذّبهم في النار بنوعٍ ما كانوا يُعذّبون به في الدنيا.

وكان الشعبي رضي الله عنه يقول: أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا لا والله، ولكنّهم إذا أرادوا أن يرتفعوا اشتعلت بهم، أي ثم نزلت بهم فهي لا تفارقهم، وكان ابن شهاب يقول: بلغنا أنّ لسان أهل الجنّة عربي، ولسانهم إذا خرجوا من القبور سرياني، وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: بلغنا أن الناس يتكلّمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنّة السريانية، فإذا دخلوا الجنّة تكلّموا بالعربية، والله أعلم.

باب في الحور العين وكلامهنّ وجواب نساء الآدميات وحسنهنّ

ذكر العلماء أن النساء الآدميات في الجنّة على سنٍّ واحد. وأمّا الحور العين، فأصناف مصنّفة صغار وكبار وعلى ما تشتهيه النفس في الجنّة. وروى الترمذي[١] عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنّة لمجتمعًا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنّا له**». وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إذا قالت الحور العين هذه المقالة أجابهنّ المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصلّيات وما صليتنّ، ونحن الصائمات وما صمتنّ، ونحن الموضّآت وما توضأتنّ، ونحن المتصدّقات وما تصدّقتنّ، قالت عائشة: فغلبنهنّ والله. وكان محمّد بن كعب القرظي رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إلـٰه إلّا هو لو أن امرأة من الحُور العين اطّلعت بسوارها من العرش لأضاء نورها

(١) كتاب الجنة باب ٢٤.

على نور الشمس والقمر؛ فكيف بالمتنوّرة؟ وكذلك القول فيما عليها من الثياب والحلي كلّه يغلب نوره على نور الشمس. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إنّ في الجنّة حوراء يقال لها العيناء، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن شمالها، كذلك وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر؟ وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إنّ في الجنّة حوراء يقال لها لعبة لو بصقت في البحر المالح لعذب ماء البحر كلّه، مكتوب على نحرها: مَنْ أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربّي عزّ وجلّ.

وفي حديث الإسراء أن رسول الله وصف حوراء ليلة الإسراء، وقال: «**لقد رأيت جبينها كالهلال طولها ألف وثلاثون ذراعًا في رأسها مائة ضفيرة، ما بين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة. والذوائب أبيض من البدر، وخلخالها مكلّل بالدُّرِّ وصنوف الجوهر، على جبينها سطران مكتوبان بالدرِّ والجوهر، في السطر الأوّل بسم الله الرحمٰن الرحيم، وفي السطر الثاني: مَنْ أراد مثلي فليعمل بطاعة ربّي، ثمّ قال لي جبريل: يا محمّد هذه وأمثالها لأُمّتك، فأبْشِر وبشِّر أُمّتك وأْمرهم بالاجتهاد في طاعة ربّهم عزّ وجلّ**». وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إنّ المرأة من الحُور العين ليُرى مخّ ساقها من وراء اللّحم والعظم ومن تحت سبعين حلّة، كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكان حيّان بن أبي جبلة رضي الله عنه يقول: إنّ من دخل الجنّة من نساء الدنيا يفضلن على الحُور العين وذلك بما عملن من الطّاعات في دار الدنيا، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ: «**إن الآدميات من نساء أهل الجنّة أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف**»، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥].

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأُصول عن أبي مسعود الغفاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ يصوم يومًا من رمضان إلا زُوِّج زوجة**

من الحور العين في خيمة من درّة مجوّفة مما نعت الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٧٢][١]**، على كل امرأة منهن سبعون حلّة ليس منها حلّة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهنّ سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشّحة بالدرِّ على كل سرير سبعون فرشًا على كل فراش أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وخدمتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام يجد أحدهم للآخر منها لذّة لم يجدها لما قبلها، ويُعْطَى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشّحان بياقوت أحمر؛ هذا بكل يوم صامه العبد من شهر رمضان سوى ما عَمِل من الحسنات»**. وتقدَّم قوله ﷺ في حديث الترمذي: «**إن الشهيد يزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ـ يعني غير الزوجتين ـ من نساء الآدميات**». وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كنس المساجد مهور الحور العين**»[٢]. وفي الحديث أيضاً: «**إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين**»، والقمامة هي الكناسة. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: يتزوّج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير، ويدع الحور العين باللّقمة والتمرة والكسرة. وكان الإمام سحنون رحمه الله تعالى، يقول: كان بمصر رجل يقال له سعيد، وكانت له أمّ من المتعبّدات وكان ولدها يصلّي بها في اللّيل إمامًا، فإذا غلبه النوم ونعس قالت له أمّه: يا سعيد إنّه لا ينام مَنْ كان يخاف النار أو يخطب الحور الحِسان، فيستيقظ مرعوبًا. ورأى ثابت البنانيّ امرأة في منامه من الحور العين، فقال لها: لمن أنت؟ فقالت للمتهجّدين بالليل والناس نيام. ورأى بعضهم حوراء أحسن الناس جمالًا، فقال لها: لمن أنت؟ فقالت: لمن يقرأ أربعة آلاف ختمة، فبلغنا أنه مات يوم فرغ من قراءتها، وهو نحيف البدن كالشنّ البالي. وكان الشيخ نصر القارىء رحمه الله يقول: غلبني النوم ليلة فنمت عن التهجّد، فرأيت في منامي جارية لم أرَ أحسن وجهًا منها ومعها ورقة فيها كتاب، فقالت لي: أتقرأ أيها الشيخ؟ فقلت لها: نعم، فناولتني

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ١٠٢.

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره ١٦/ ١٥٤.

الورقة، فإذا فيها مكتوب:

قد ألهتك اللّذائذ والأماني عن الفردوس والقطف الدواني
ولذّة نومة عن خير عيشٍ مع الخيرات في غرف الجنان
تيقّظ من مناك إن خيرًا من النوم التهجّد بالقرآن

وكان مالك بن دينار رضي الله عنه يقول: كان لي وردٌ في الليل أقرؤه كل ليلة، فنمت عنه ذات ليلة، فإذا بجارية جاءتني في المنام كأحسن ما يكون من الجمال وبيدها رقعة، فقالت لي: أتحسن القراءة؟ فقلت: نعم، فدفعت إليّ الرقعة فإذا فيها مكتوب:

لهاك النوم عن طلب الأماني وعن تلك الكوانس في الجنان
تعيش مخلّدًا لا موت فيها وتلهو في الخيام مع الحسان
تيقّظ من منامك إن خيرًا من النوم التهجّد بالقرآن

انتهى، والله تعالى أعلم.

باب في الحور العين من أي شيء خُلِقْن

رُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ سُئِل عن الحور العين من أيِّ شيءٍ خُلِقْن؟ فقال: **«من ثلاثة أشياء: أسفلهنّ من المسك، وأوسطهنّ من العنبر، وأعلاهنّ من الكافور، وشعورهنّ وحواجبهنّ سواد خطّ في نور»**. وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: **«قلت: يا جبريل أخبرني كيف يخلق الله الحور العين«؟ فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى خلقهنّ من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهنّ الخيام أوّل ما يُخلق منهنّ نهد من مسك إذفر أبيض عليه يلتئم البدن»**.

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الإذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلّة مثل شقائق النعمان إذا أقبل يتلألأ وجهها نورًا ساطعًا كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، ويُرى كبدها من رقّة ثيابها وجلدها في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الإذفر لكل ذؤابة منها وصيفة تردفع ذيلها، وهي تنادي هذا ثواب الأولياء جزاء بما كانوا يعملون، انتهى.

فاعملوا أيّها الإخوان صالحًا ولا تسأموا من الأعمال، فمن سَئِم بعد سماع هذا الجزاء العظيم، فالبهائم أحسن مالًا منه، والحمد لله ربّ العالين.

باب إذا تزوّج الرجل بكرًا في الدنيا كانت زوجته في الآخرة

روى مالك رحمه الله تعالى أن الزُّبير بن العوّام رضي الله عنه كان كثير الضّرب لزوجته أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما، فضربها يومًا حين خرجت بغير إذنه بعد أن عقد شعرها بشعر ضرّتها ضربًا شديدًا، وكانت الضرّة أحسن أنفًا منها، فكان الضرب بأسماء أكثر، فشكت إلى أبيها أبي بكر، فقال لها: أي بنيّة اصبري، فإنّ الزبير رجل صالح، ولعلّه أن يكون زوجك في الجنّة. قال: ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوّجها في الجنّة، انتهى.

قال الإمام أبو بكر بن العربي: فإن كانت المرأة ذات أزواج، فقد ورد عن النبيّ ﷺ أنها تخيّر في الأزواج، فأيّ زوج اختارته كانت له. وفي رواية أخرى أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال لزوجته: إن سرّك أن تكوني زوجتي في الجنّة إن جمعنا الله فيها فلا تتزوّجي أحدًا من بعدي، فإنّ المرأة لآخر أزواجها، انتهى. وخطب معاوية بن أبي سفيان أُمّ الدرداء، فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**إنّ المرأة تكون لآخر أزواجها في الآخرة، فلا تتزوّجي بعدي**».

وفي الحديث أنّ أُمّ حبيبة قالت: يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتان فيجتمعان في الجنّة، لأيّهما تكون للأوّل أو للآخر؟ فقال: «**تكون لأحسنهما خلقًا كان معها في دار الدنيا**»، ثم قال: «**يا أُمّ حبيبة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة**»، انتهى.

فاعلموا ذلك أيّها الإخوان وحسّنوا أخلاقكم مع مَنْ تحبّونها من زوجاتكم في دار الدُّنيا، لتكونوا معها في دار الآخرة، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء أن في الجنّة أكلاً وشربًا ونكاحًا حقيقة وأنه لا قذر فيها ولا نقص ولا شؤم ولا نوم

روى مسلم[١] عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغُوّطون ولا يتمخّطون**»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحمد كما يلهمون النفس**». وروى الترمذي[٢] عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يُعطى المؤمن في الجنة قوّة كذا وكذا من الجماع**»، قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟ قال: «**إن الرجل من أهل الجنّة ليُعطى قوّة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة**»، فقال رجل من اليهود: إن الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة؟ قال: «**إن جلده يفيض عرقًا فيصير بطنه مضمرًا**». وروى البزار أن رجلًا قال: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهنّ في الدنيا؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**». وروى البزار أيضًا عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنّة إذا جامعوا نساءهم يعدن أبكاراً**»، وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول: يؤتون ـ يعني أهل الجنّة ـ بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقًا من جلودهم أطيب من ريح المسك، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٢١]. وتقدَّم حديث أبي أُمامة رضي الله عنه: «**ما من أحد يُدْخله الله الجنّة إلا زوّجه الله مائة زوجة: ثلاثين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهنّ واحدة إلا ولها قبل شهيّ وله ذكر لا ينثني**».

قال العلماء: وقوله: من ميراثه من أهل النار، يعني: رجالًا دخلوا النار فورث أهل الجنّة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون. وروى الدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنّة؟ فقال: «**لا، والنوم أخو الموت والجنّة لا موت فيها**»، والله أعلم.

---

(١) تقدَّم الحديث مع تخريجه. (٢) كتاب الجنّة باب ٦.

باب ما جاء أن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنّة كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة واحدة كما يشتهى

روى الترمذي[١] عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنّة كان حمله ووضعه وسنّه في ساعة واحدة**»، وأخرجه ابن ماجه أيضًا.

قال الإمام القرطبي: وقد اختلف العلماء في هذا، فقال بعضهم: إنّ في الجنّة جماعًا ولا يكون منه ولد، وبه قال مجاهد وطاوس وإبراهيم النخعي. وقال إسحاق بن إبراهيم وغيره كما في الحديث: «**إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنّة كان في ساعة واحدة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي**». قال: وقد رُوِيَ عن أبي رُزين العقيلي أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أهل الجنّة لا يكون لهم فيها ولد**»، والله أعلم.

باب ما جاء أن كلّ ما في الجنّة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

روى مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**ينادي مُنادٍ ـ يعني في الجنّة ـ إن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]**». وتقدَّم قوله ﷺ: «**من يدخل الجنّة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، وقول الحور العين: نحن الخالدات فلا نبيد**»، انتهى.

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنّة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا

وكان عبد الله بن زيد رضي الله عنه يقول: بلغنا أن المرأة من نساء أهل الجنّة يقال لها: أتحبّين أن نُريك زوجك في أهل الدنيا؟ فتقول: نعم، فيُكشف

(١) كتاب الجنة باب ٢٣.
(٢) كتاب الجنة حديث ٢٢.

لها عن الحُجُب وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتُعاهده بالنظر، حتى إنها تستبطىء قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب، ولعلّه يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون من النساء وأزواجهنّ فتُغضبه زوجته فيشقّ ذلك عليها، وتقول لها: ويحك دعيه من شرّك إنما هو معك ليالي قلائل. وأخرجه الترمذي بمعناه عن النبيّ ﷺ قال: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتَلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا**»(١)، وفي هذا الحديث دليل على أن الحوراء تسمّى زوجة كالمرأة الآدمية، والله أعلم.

باب ما جاء في طير الجنّة وخيلها وإبلها

روى الترمذي(٢) عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه أنّه قال: سُئِل رسول الله ﷺ عن ماء الكوثر؟ قال: «**نهر أعطانيه الله ـ يعني في الجنّة ـ أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر**»، فقال عمر: يا رسول الله إن هذه لناعمة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**آكلها أنعم منها**». وفي رواية للثعلبي: «**إن في الجنة طيرًا مثل أعناق البخت تطيف على يد وليّ الله عزّ وجلّ، فيقول أحدهم: يا وليّ الله رعيت في مروج تحت العرش، وشربت من عيون التسنيم، فكل مني؛ فلا يزال ذلك الطير بين يديه حتى يخطر على باله أكله، فيخرّ بين يديه على ألوان مختلفة، فيأكل منه ما أراد، فإذا شبع تجمّعت عظائم الطائر ثم طار يرعى في الجنّة حيث شاء**».

وروى الترمذي(٣) أن رجلًا سأل النبيّ ﷺ: هل في الجنّة من خيل؟ فقال: «**إن أدخلك الله الجنّة فلا تشاء أن تحمل فيه على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت، إلا فعلت**». قال بريدة رضي الله عنه: وسأله رجل آخر فقال: يا رسول الله هل في الجنّة من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قاله لصاحبه، فقال: «**إن يُدخلك الله الجنّة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذّت عينك**». وفي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في النكاح باب ٦٢، وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٢.

(٢) كتاب الجنّة باب ١٠.

(٣) كتاب صفة الجنّة باب ١١.

صحيح مسلم[١] عن ابن مسعود قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لك يوم القيامة سبعمائة ناقة كلّها مخطومة**». وكان الحسن البصري يذكر عن رسول الله ﷺ: «**أن أدنى أهل الجنّة منزلة من يركب في ألف ألفِ من خدمه من الولدان المخلّدين على خيلٍ من ياقوتٍ أحمر لها أجنحة من ذهب**: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: الآية ٢٠]»، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**من نعيم أهل الجنّة أنهم يتزاورون على المطايا والنُّجب، وأنهم يؤتون في يوم الجمعة بخيل مسرّجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله**»، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنّة

روى البزار عن رسول الله ﷺ: «**أحسنوا إلى المِعزى وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دوابّ الجنّة**»[٢]. وروى ابن ماجه[٣] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشاة من دوابّ الجنّة**».

باب ما جاء أن الحنّاء سيد ريحان الجنّة، وأن الجنة حُفَّت بالريحان

رُوِيَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه كان يقول: إنّ الحناء سيد ريحان الجنّة، وإن فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب ما لا يُحصي عددها إلا الله. وتقدَّم حديث أبي هريرة موقوفًا: إن شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثّياب، ومثل هذا لا يقال إلّا عن توقف، فهو كالمرفوع. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى لمّا خلق الجنّة حفّها بالرَّيحان وحفّ الرَّيحان بالحنّاء، وما خلق الله تعالى شجرة هي أحبّ إليه من الحنّاء، وإن المختضب**

---

(١) كتاب الإمارة حديث ١٣٢.
(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٦/٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥٢٣٤.
(٣) كتاب التجارات باب ٦٩.

بالحنّاء لتصلّي عليه ملائكة السماء»[١]. وقال بعضهم: لم يصحّ هذا الحديث، وفي إسناده من لا يُعرف، والله أعلم.

باب ما جاء أن للجنّة ربضًا وريحًا وكلامًا

روى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: **«لمّا خلق الله تعالى جنّة عدن وغرس أشجارها بيده، قال لها: تكلّمي، فقالت:** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١]، **فقال: طوبى لك منزل الملوك»**[٢]. وفي رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال: **«خلق الله تعالى الجنّة لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وملاطها المسك الأذفر ـ أي طينها الذي بُنِيت به ـ وقال لها: تكلّمي، فقالت:** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١]، **ثم دخلها الملائكة فقالوا: طوبى لك منزل الملوك»**. وفي رواية: **«إن الجنّة لمّا تكلّمت قالت: طوبى لمن رضيت يا ربّ عنه»**. وروى النسائي[٣] عن فضالة بن عبيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا زعيم ـ أي ضامن ـ لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنّة ـ يعني أسفلها ـ وببيت في ربض الجنّة لمن ترك الكذب، وإن كان مادحًا، وببيت في أعلى الجنّة لمن لم يدع للخير مطلبًا، ولا من الشرّ مهربًا، يموت حيث شاء أن يموت»**. وروى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا في حديث: **«نساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة»**[٤]، رواه مالك أيضًا بسنده عن رسول الله ﷺ.

وروى أبو داود والترمذي عن النبيّ ﷺ: **«ألَا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمّة الله وذمّة رسوله فقد أخفر بذمّة الله، فلا يرح رائحة الجنّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»**[٥]، وفي رواية للبخاري: **«من مسيرة أربعين عامًا»**.

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٨٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧.
(٣) كتاب الجهاد باب ١٩.
(٤) أخرجه مسلم في الجنة حديث ٥٢، ومالك في اللباس حديث ٧.
(٥) أخرجه الترمذي في الديات باب ١١.

قال العلماء: ولعلّ ذلك يختلف باختلاف الناس في قوّة الشمّ وضعفه، والله أعلم.

باب ما جاء أن الجنة قيعان، وأن الذكر نفقة بنائها وأن غراس الجنّة سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر

روى الترمذي[(١)] وغيره عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام ليلة أُسري به، فقال: يا محمّد أقرىء أُمّتك مني السلام وأخبرهم أن الجنّة طيّبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر**». وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مرّ على أبي هريرة وهو يغرس نخلًا، فقال: «**ألا أدلّك على غراس هو خير من هذا: سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلّا الله والله أكبر، يُغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنّة**». وفي حديث الترمذي[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرِست له نخلة في الجنّة**». وروى الطبراني عن حكيم بن محمد الأحمسي رضي الله عنه أنه قال: بلغني أنّ الجنّة تُبنى بالذكر، فإذا حبسوا الذّكر كفّوا عن البناء، فيقال لهم في ذلك، فيقولون: حتى تجيئنا نفقته. وفي الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «**من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلّت صلاته وصومه أو صنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كَثُرت صلاته وصومه وصنيعه للخير**»[(٣)]، والله تعالى أعلم.

باب ما لأدنى أهل الجنّة منزلة وما لأعلاهم

روى مسلم[(٤)] أن رسول الله ﷺ قال: «**سأل موسى عليه الصّلاة والسلام ربّه، فقال: يا ربّ ما أدنى أهل الجنّة منزلة؟ فقال له: رجلٌ يأتي بعدما دخل أهل الجنّة الجنّة، فيقول له الحقّ جلّ وعلا: ادخل الجنّة، فيقول: يا ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل**

(١) كتاب الدعاء باب ٥٨. (٢) كتاب الدعوات باب ٥٩.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٩، والقرطبي في تفسيره ٢/١٧١.

(٤) كتاب الإيمان حديث ٣١٢.

ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربِّ، فيقول: لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيت ربِّ، فقال موسى: يا ربّ، فما أعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عينٌ ولم تسمع أُذنٌ ولم يخطر على قلب بشر». وفي البخاري[1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن آخر أهل الجنّة دخولًا الجنّة وآخر أهل النار خروجًا من النار رجل يخرج حبوًا، فيقول له ربّه: ادخل الجنّة، فيقول: ربّ الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات وفي كل ذلك يعيد عليه: الجنّة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات**».

وفي الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنّة منزلةً مَنْ له سبع قصور: قصر من ذهب، وقصر من فضّة، وقصر من درّ، وقصر من زمرّد، وقصر من ياقوت، وقصر لا تدركه الأبصار، وقصر من لون العرش؛ في كل قصر من الحليّ والحلل والحور العين ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ**»[2]. وتقدَّم أن أدنى أهل الجنّة منزلة مَنْ يركب في ألف ألفٍ من خدمه. وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنّة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله مَنْ ينظر إلى وجهه بكرةً وعشيًّا**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيتان ٢٢، ٢٣][3]. وفي رواية له: «**إن أدنى أهل الجنّة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتُنصب له قبّة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ما بين الجابية إلى صنعاء**»[4]. وكان مجاهد رضي الله عنه يقول: إن أدنى أهل الجنّة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم من ينظر إلى ربّه بالغداة والعشيّ، وسيأتي بسط ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الرقاق باب ٥١، والتوحيد باب ٣٦. (٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٩.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١٠/ ٥٤٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٦.

باب رضوان الله على أهل الجنّة أفضل ما في الجنّة

وروى البخاري[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقولون: لبّيك ربنا وسعديك والخير كلّه في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: أفلا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ، وأيُّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»، وأخرجه مسلم بمعناه بأطول من هذا، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن رؤية أهل الجنّة لربِّهم سبحانه وتعالى أحبّ إليهم من جميع نعيم أهل الجنّة

روى مسلم[٢] وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنّة الجنّة قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أُزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيضّ وجوهنا؟ ألم تُدْخلنا الجنّة وتُنْجِنا من النار؟ قال: فيكشف تعالى الحجاب ـ يعني عنهم ـ فما أعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربِّهم عزّ وجلّ**»، زاد في رواية: ثم تلا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يُونس: الآية ٢٦]. وفي رواية لأبي داود الطيالسي رحمه الله تعالى: «**إذا دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى مُنادٍ: يا أهل الجنّة إنَّ لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنجزكموه، قالوا: ألم يبيّض الله تعالى وجوهنا ويُثقل موازيننا ويُجِرْنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله تعالى شيئًا أحبّ إليهم من النظر، ولا أقرّ لأعينهم**».

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ سُئِل عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يُونس: الآية ٢٦]، فقال: «**أحسنوا هو العمل الصالح في الدنيا، والحسنى هي الجنّة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم**»[٣]. وفي رواية عن

---

(١) كتاب التوحيد باب ٣٧، والرقاق باب ٥١. (٢) كتاب الإيمان حديث ٢٩٧.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

أبي موسى الأشعري أنّه قال على منبر البصرة: «**إن الله تعالى يبعث يوم القيامة ملكًا إلى أهل الجنّة، فيقول: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحليّ والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهّرة، فيقولون: نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا، فيقول الملك: هل أنجزكم ما وعدكم؟ ـ ثلاث مرات ـ فلا يفقدون شيئًا مما وعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: بقي لكم شيء واحد، إن الله تعالى يقول:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]؛ **لأن الحسنى الجنّة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ورُوِيَ في صحيح الأخبار: «**أن الله تعالى إذا تجلّى لعباده رفع الحُجُب عن أعينهم، فإذا رأوه تدفّقت الأنهار وصفّقت الأشجار وتجاوبت السّرر والغرفات بالصّرير والأعين المتدفّقات بالخرير واسترسلت الريح المسيرة ونبت في الدور والقصور المسك الأذفر والكافور وغرّدت الطيور وأشرفت الحور العين**». وفي حديث مسلم[(١)] أن النبيّ ﷺ قال: «**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم عزّ وجلّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن**».

قلت: والمراد بالرّداء هو الحجاب عن الإحاطة به سبحانه وتعالى، فإن هذا هو الحجاب الذي لا يصحّ رفعه أبدًا؛ لأنه لو رُفِع لعرف الخلق ربّهم كما يعرف هو سبحانه وتعالى نفسه، وذلك مُحال والله تعالى أعلم.

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: كنّا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربّكم عيانًا كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته**»، أي لا تشكّون فيها «**فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»، ثمّ قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: الآية ١٣٠][(٢)].

وخرّج أبو داود عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أكلّنا نرى الله تعالى مخليًا به يوم القيامة؟ فقال: «**نعم**»، فقلت: يا

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٢٤، ومسلم في المساجد حديث ٢١١.

رسول الله وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**يا أبا رزين، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليًا به؟**» قلت: بلى، قال: «**فالله تعالى أعظم، إنما هو خلق من خلق الله تعالى**»(١) يعني القمر، والله تعالى أجلّ وأعظم.

باب في سلام الله تعالى على أهل الجنة، وفي قوله:

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: الآية ٣٥]

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال في حديثٍ طويل: «**بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم، فإذا الربّ تعالى قد أشرف عليهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة، وذلك قوله تعالى:** ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يٓس: الآية ٥٨]، **قال: فإذا نظروا إليه نسوا الجنّة ونعيمها حتى يحتجب عنهم، فإذا احتجب عنهم بقي نوره وبركته عليهم وفي ديارهم**»(٢). والمراد بقوله في حقّ الربّ جلّ وعلا: أشرف عليهم، أي أنه تعالى يكلّمهم وينظر إليهم، فكنى عن ذلك في حقه تعالى بالإشراف فافهم، وكذلك المراد بقوله: فإذا احتجب عنهم، أي: فإذا ردَّهم إلى شهود الجنّة ونعيمها رأوا الجنّة مع رؤيتهم لربّهم، لا أنهم حُجبوا عن رؤيته بردّهم إلى شهود الجنّة، بقرينة قوله: وبقي نوره وبركته عليهم وفي ديارهم، والله تعالى أعلم.

ورُوِيَ عن الحسن رضي الله عنه أنّه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أهل الجنّة ينظرون إلى ربّهم في كل يوم جمعة على كثيب من كافور لا يُرى طرفاه، وفيه نهرٍ جارٍ حافّتاه المسك عليه جَوارٍ يقرأن القرآن بأصوات لم يسمع الأوّلون والآخرون أحسن منها، فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كلّ رجل بيد مَنْ شاء منهنّ، ثم يمرّون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم؛ فلولا أن الله تعالى يُهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها لِما يحدّث الله تعالى لهم في كل جمعة من النعيم الذي يُذهل العقول عن مشاهدة غيره**». وكان بكر بن عبد الله المزني التابعي رضي الله عنه يقول: إن أهل الجنّة ليزورون ربّهم في مقدار كل عيد هو لكم؛ كأنه يقول: في كل سبعة أيّام مرة، فيأتون ربّ العزَّة في حللٍ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب ١٣، وأحمد في المسند ٤/ ١١، ١٢.

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٦/ ٥٧٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٣٣٩.

خُضرٍ ووجوه مشرقة وأساور من ذهب مكلّلة بالدُّرّ والزمرّد عليهم أكاليل الذهب ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربّهم، فيأمر لهم الربّ جلّ وعلا بالكرامة، انتهى.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: سارعوا إلى الجمعة، فإنّ الله تعالى يبرز لأهل الجنّة كلّ يوم جمعة في كثيب من كافورٍ أبيض، فيكون منهم في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا. وفي رواية: إلى الجمع في الدنيا، فيعطيهم من الكرامة ما لم يكونوا رأوه قبل ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: الآية ٣٥]. وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]: الزيادة هي النظر إلى وجه ربّهم الكريم، وليس شيء أحبّ إلى أهل الجنّة من يوم الجمعة؛ لأنه يوم المزيد الذي يرون فيه ربّهم جلّ وعلا، وكان بعضهم يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: الآية ٣٥]: المزيد ما يزوّجون به من الحور العين، وكان كثير بن مرّة رضي الله عنه يقول: إن من المزيد أن تمرّ السحابة بأهل الجنّة، فتقول لهم: ما تريدون أن أُمطركم؟ فلا يتمنّون شيئًا إلا أُمطروه؛ وكان يقول أيضًا: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولنّ لها: أمطري لنا جواري مزينات. وتقدّم حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه تعالى بكرةً وعشيًا**»، وفي رواية: «**غدوةً وعشيًا**».

قال الإمام القرطبي: وهذا يدلّ على أن أهل الجنّة مختلفو الحال في الرؤية، وكان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول: إنّ لله تعالى عبادًا لو حجبهم في الجنّة عنه ساعة لاستغاثوا من الجنّة ونعيمها، كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها، انتهى. والحمد لله ربّ العالمين.

باب فيما قاله العلماء في تفسير آيات تتعلّق بالجنّة

كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]: إن أول ما يدخل أهل الجنّة الجنّة يُعْرض لهم عينان يشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غلّ، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم

وتُعرف فيها نضرة النعيم. زاد في رواية عن عليّ رضي الله عنه: فلا تغيّر أبشارهم ولا تشعّث أشعارهم أبدًا، ثم تستقبلهم خزنة الجنّة فيقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُمَر: الآية ٧٣]. وفي رواية عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: إذا أراد أهل الجنّة دخول الجنّة وجدوا على باب الجنّة عينين، فإذا شربوا من إحداهما فلا تشعث شعورهم ولا تغير جلودهم بعدها أبدًا، كأنما دهنوا بالدهن، فإذا شربوا من الأخرى طَهُرت أجوافهم وغُسِلت من كل قذر ودرن، وتتلقّاهم على كلّ باب من أبواب الجنّة ملائكة يقولون: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ثمّ تتلقّاهم الولدان فيطوفون بهم كما يطوف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة الطويلة ويقولون له: أبشر بما أعدّ الله تعالى لك، قد أعدّ لك في الجنّة كذا وكذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من زوجاته، فيقول لها: قد جاء فلان باسمه الذي كان يُدعى به في دار الدنيا، فتقول له: أنت رأيته، ثم تستخفها العجلة من الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم ترجع، فيجيء فينظر إلى تأسيس بنيانه من جنادل اللؤلؤ من أخضر وأحمر وأصفر ومن كل لون، ثم يجلس فينظر فإذا زرابي مبثوثة وأكواب موضوعة، ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه، فلولا أنّ الله تعالى أقدره على رؤيته لذهب بصره؛ لأنه مثل البرق، ثم يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣].

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [النحل: الآية ٣١]، قال: «الجنان سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنّة عدن، وجنّة المأوى، وجنّة الخلد، وجنّة الفردوس، وجنّة النعيم». ورُوِيَ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: الآية ٣١]، قال: ليس أحد من أهل الجنّة إلّا وفي يديه ثلاثة أساور: سوار من ذهب، وسوار من فضّة، وسوار من لؤلؤ.

قال المفسّرون: والحكمة في ذلك أنّ ملوك الدنيا لما كانت تلبس الأساور والتّيجان جعل الله مثل ذلك لأهل الجنّة، فإنهم ملوك.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحجّ: الآية ٢٣]، قال: كلّ مؤمن له في الجنّة درّة مجوّفة في وسطها

شجرة تنبت الحلل في كلّ يوم سبعين حلّة منظمة باللؤلؤ والمرجان والزبرجد. وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: بلغني أن وليّ الله يلبس حلّة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح تقول التي على جسده: أنا أكرم على وليّ الله منك، أنا أمسّ بدنه وأنت لا تمسينه، وتقول التي على وجهه: أنا أكرم على وليّ الله منك إني أرى وجهه وأنت محجوبة عن وجهه لا ترينه.

وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول أن رسول الله ﷺ قال: «**من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع لروحانيّين**»، قيل: ومن الروحانيّون يا رسول الله؟ قال: «**قرّاء أهل الجنّة**»[1].

قال العلماء رضي الله عنهم: وكذلك القول فيما ورد فيمن لبس الحرير أو شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها يحرم ذلك في الآخرة. لكن إذا دخل الجنّة بالشفاعة تمكّن من لبس الحرير وشرب الخمر في الجنّة؛ لأن الجنّة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة إنّما العقوبة من حين الموت إلى مجاوزة الصّراط، والله تعالى أعلم.

ورُوِيَ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف: الآية ٣١]، أي: على السُّرر في الحجال؛ لأن الآرائك هي السُّرر. قال: وقد قال ﷺ: «**إنّ الرجل ليتزوّج في الشهر الواحد ـ أي في مقداره ـ ألف حوراء يعانق كل واحدة منهنّ بقدر عمره في الدنيا**». وفي رواية: أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول: «**إن الرجل من أهل الجنّة ليُعانق الحوراء مقدار سبعين سنة لا يملّها ولا تملّه، كلّما أتاها وجدها بكرًا، وكلّما رجعت إليه عادت إليه شهوته إليها بقوّة سبعين رجلًا ليس منه منيّ ولا منها منيّ**». وكان المسيّب بن شريك يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقِعَة: الآيتان ٣٥، ٣٦]، قال: هنّ عجائز الدنيا ينشئهنّ الله تعالى خلقًا جديدًا، كلّما أتاهنّ أزواجهن وجدوهنّ أبكارًا. ورُوِيَ هذا التفسير عن رسول الله ﷺ وأن عائشة لمّا سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، قالت: واوجعاه، فقال النبيّ ﷺ: «**ليس هناك وجع**».

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٠٦٦٠، ٤٠٦٦٦، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٥٤.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الرجل من أهل الجنّة ليتنعّم مع زوجته في اتّكاءة واحدة سبعين عامًا، فتناديه زوجة أخرى هي أبهى وأجمل من غرفة أخرى: أمَا آن لنا منك نصيب بعد؟ فيلتفت إليها فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من اللائي قال الله تعالى فيهن:** ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: الآية ٣٥]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]، **فيتحوّل إليها فيتنعم معها في اتّكاءة واحدة سبعين عامًا، فتُناديه أخرى من غرفةٍ أخرى هي أبهى وأجمل: أمَا آن لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول لها: مَنْ أنت؟ فتقول: أنا من اللائي قال الله تعالى فيهنّ:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]، **فيتحوّل إليها فيتنعّم معها في اتّكاءة واحدة سبعين عامًا، فهم كذلك يدورون أبد الآبدين**».

وكان قتادة رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ [يٓس: الآية ٥٥] أي في الآخرة، ﴿فِي شُغُلٍ﴾ [يٓس: الآية ٥٥] يعني بالشغل في افتضاض العذارى، ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [يٓس: الآية ٥٥] أي مسرورون ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يٓس: الآية ٥٦].

قلت: ولعلّه تعالى إنما قال في شغل ولم يقل في جماع ليُعلم عباده أن يكنوا عن الأُمور التي يستحيا من ذكرها في العرف، والله تعالى أعلم.

وقال العلماء في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريَم: الآية ٦٢]: ليس في الجنّة ليل ولا نهار، وإنّما هم في نور أبدًا، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

وروى الحكيم الترمذي أن رجلًا قال: يا رسول الله هل في الجنّة من ليلٍ ونهار؟ فقال النبيّ ﷺ: «**ليس هناك ليل وإنما هو ضوء ونور يرد الغدوّ على الرواح والرواح على الغدوّ، وتأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلّون فيها وتسلّم عليهم الملائكة**»[1]. ورُوِيَ عن مجاهد في قوله تعالى:

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٧٨، والقرطبي في تفسيره ١/ ١٢٧.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ [الإنسان: الآية ١٤] - يعني ظلال الشجرة - ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: الآية ١٤]، أي ذلّت لهم ثمارها يتناولون منها كيف شاؤوا إن أقام أحدهم ارتفعت بقدرة الله، وإن قعد تدلّت إليه، وإن اضطجع تدلّت إليه حتى ينالها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾ [الطُّور: الآية ٢٢]: الثمار كلّها رطبها ويابسها فاكهة.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن خلق أهل الجنّة إذا دخلوا الجنّة ستون ذراعًا كالنخلة السحوق يأكلون من ثمار الجنّة قيامًا**»، زاد في رواية: «**والذي نفس محمّد بيده إنّهم ليتناولون من قطوفها وهم متّكؤون على فرشهم، فما تصل الثمرة إلى فم أحدهم حتى يبدّل الله مكانها أخرى**»(١). وكان أبو الدرداء يقول في قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ [المطفِّفين: الآية ٢٥] هو الخمر ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطفِّفين: الآية ٢٦] هو شراب أبيض مثل الفضّة يختمون به آخر شرابهم، لو أنّ رجلًا وضع أُصبعه فيه ثم أخرجها لم يبقَ ذو روح إلّا وجد ريح طيبها، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطفِّفين: الآية ٢٦]، أي في الدنيا بالأعمال الصالحة. وكان يقول في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: الآية ١٧]: إنما مثل بالرحيق - يعني الخمر والزنجبيل - لكون العرب كانوا يستطيبون الزنجبيل والخمر إذا خُلِطا، فخاطبهم الله بما كانوا يعرفون ويحبّون؛ كأنه تعالى يقول لكم في الآخرة: مثل ما تحبّون في الدنيا من الطعام والشراب والفواكه إن متّم على الإيمان.

وكان مجاهد يقول في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصَّافات: الآية ٤٨]، أي: قاصرات الطرف على النظر إلى أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم، وإن المرأة منهنّ لتقول لزوجها: وعزّة ربّي ما أرى في الجنّة شيئًا أحسن منك. ومعنى عين: أي عظيمة العين. وقال في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧٢]: أنّ كلّ خيمة درّة مجوّفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وكان الحكيم الترمذي رضي الله عنه يقول: بلغنا أن سحابة مطرت من العرش، فخلق الله تعالى من كل قطرة خيمة

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

مجوّفة فيها حوراء لم يُرَ أحسن منها، وسِعَة كلّ خيمة منها أربعون ميلًا على شاطىء أنهار الجنّة، وليس لهذه الخيام أبواب، ولكن إذا دخل وليّ الله تعالى الخيمة انصدعت الخيمة عن باب، وذلك ليعلم وليّ الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم ترها قبل ذلك، وهذه الخيام والحور المذكورات جزاء الأعمال التي عملها العبد في دار الدنيا ولم يطّلع عليها إلا الله، فجازاه الله تعالى من جنس أعماله وأعطاه ما لم يخطر على قلب بشر.

وكان المعتمر بن سليمان رضي الله عنه يقول: إن في الجنّة لنهرًا يُنْبِت الجواري الأبكار، انتهى. وكان يقول: إن أهل الجنّة يركبون الرفارف الخضر فتسير بهم حيث شاؤوا، فإذا ركبوا الرفراف التي هي كالخيل ـ أو قال كالفرس ـ أخذ إسرافيل في السماع، فتميل الناس يمينًا وشمالًا وخفضًا ورفعًا من حلاوة سماع صوته.

وقد رُوِيَ في الخبر: أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أحسن صوتًا من إسرافيل، وأنه إذا شرع في السماع يقطع على أهل السمٰوات السبع صلاتهم وتسبيحهم، ثم إذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرافيل في السماع يكون غناؤه بأنواع الغناء لكن من التسبيح والتقديس للملك القدُّوس، فلم يتخلّف عن حضوره شجرة في الجنّة ولم يبق فيها ستر ولا باب إلا ارتجّ وانفتح، ولم تبق حلقة على باب إلا طنّت بأنواع الطنين كلّها، ولم يبقَ أجمّة من آجام الذهب ولا قصبة فيها إلا زمّرت بفنون الزمر، ولم تبقَ جارية من جوار الحور العين إلّا غنت بأنواع الغناء. وكذلك جميع طيور الجنّة، قال: وبلغنا أنّ الله تعالى يوحي إلى الملائكة أن جاوبوهم وأسمعوا عبادي الذين كانوا ينزّهون أسماعهم في دار الدنيا عن مزامير الشيطان، فيجاوبونهم بألحان وأصوات روحانية، فتختلط هذه الأصوات كلّها فتصير رجّة واحدة ما سمع بألذّ منها. قال: ثم إنّ الله تبارك وتعالى يقول لداود عليه الصّلاة والسلام: قم عند ساق عرشي فمجّدني، فيندفع داود يمجّد ربه بصوت يغمر الأصوات كلّها، فتتضاعف اللذّة أضعافًا مضاعفة، هذا وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوي بهم وتصعد كيف أرادوا وطلبوا، وقد حفّت بهم أفانين اللذّات والأغاني؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ١٥]، فإن الروضة هي اللذّة والسماع، انتهى.

وكان مجاهد يقول في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٧]، أي لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلًا وتحاببًا؛ لأن الأسرّة تدور بهم كيف شاؤوا.

قال بعض العلماء: من جملة التقابل أن عين أحدهم اليمنى تُقابل عين أخيه اليمنى، كما ينظر الشخص وجهه في المرأة عكس ما في الدنيا، والله أعلم.

باب ما جاء في أطفال المسلمين والمشركين

روى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول وابن عبد البرّ وغيرهما عن عليّ رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدَّثر: الآيتان ٣٨، ٣٩]، قال: هم أطفال المسلمين لم يكتسبوا، فيرتهنوا بكسبهم. قال ابن عبد البرّ: والجمهور على أن أطفال المسلمين في الجنّة، وذهب طائفة إلى الوقف فيهم. وفي أولاد المشركين، فلا يحكم عليهم بجنّة ولا نار. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الأطفال، فقال: «**الله أعلم بما كاوا عاملين**»[(١)]، وقال: هكذا أطلق الأطفال. ولم يخصّ طفلًا من طفل. وفي منهاج الحليمي ما نصّه: وقد توقف في ولدان المسلمين من توقف في ولدان المشركين، وقال: إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله تعالى منه أنه فاعله لو بلغ، فكذلك ولدان المسلمين. واحتجّ رحمه الله تعالى بأن صبيًا صغيرًا مات لرجل من المسلمين، فقالت إحدى نساء النبيّ ﷺ: طوبى له عصفور من عصافير الجنّة، فقال النبيّ ﷺ: «**وما يُدريك، فإن الله تعالى خلق الجنّة وخلق لها أهلًا، وخلق النار وخلق لها أهلًا**»[(٢)]، قال: فهذا يدلّ على أنه لا ينبغي أن يقطع في أطفال المسلمين بشيء.

قال الحليمي: وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكارًا من النبيّ ﷺ على التي قطعت بأن الصبي في الجنة؛ إذ القطع بذلك قطع بإيمان أبويه، ويحتمل

---

(١) أخرجه البخاري في القدر باب ٣، والجنائز باب ٩٣، ومسلم في القدر حديث ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم في القدر حديث ٣٠، ٣١، والنسائي في الجنائز باب ٥٨.

أن يكونا منافقين، فيكون الصبي ابن كافرين، فيخرّج هذا على قول من يقول: إنه يجوز أن يكون ولدان المشركين في النار، ويحتمل أن يكون إنكاره ﷺ إنما كان لعدم نزول الوحي عليه بشيء في ولدان المسلمين، ثم أنزل عليه بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطُّور: الآية ٢١]، فإنه تعالى ألحق بالذين آمنوا في الحياة الدنيا ذرّياتهم في الآخرة، فثبت بذلك أن ولدان المسلمين في الجنّة، انتهى.

وفي الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لما أُسري بي سمعت صوت أطفال، فقلت: يا جبريل مَنْ هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذرّية أهل الإسلام الذين ماتوا قبل آبائهم تكفّل بهم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام حتى يلحق بهم آباؤهم**»، انتهى. فدلّ هذا أيضًا أنهم في الجنّة، وأطال الإمام القرطبي في ذلك بنحو ثلاث أوراق، وقال: أصح ما في الباب أنّ أولاد المسلمين والكفار الذين لم يبلغوا الحلم في الجنّة، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في نزل أهل الجنة وتحفتهم إذا دخلوها

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ، قال: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفرة نزلًا لأهل الجنّة**»[١]، فجاء رجل من اليهود فقال: بارك الرحمٰن عليك يا أبا القاسم، ألا أُخبرك بنزل أهل الجنّة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: نزلهم خبزة واحدة، قال له: فما إدامهم؟ قال: نور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفًا، قال: وأما تحفتهم حين يدخلون الجنّة فهي زيادة كبد النون، قال: وأما غذاؤهم على أثر ذلك فهو ثور من الجنّة ينحر لهم كان يأكل من أطرافها، قال: وأما شرابهم عليه، فهو من عين تسمّى سلسبيلًا، انتهى. فقال النبيّ ﷺ لليهودي: «**صدقت**».

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٤٤، ومسلم في صفة المنافقين حديث ٣٠.

قال العلماء: والنزل هو ما يهيأ للضيف النازل على قوم أوّل نزوله عليهم. وأمّا التحفة، فهو ما يتحف به الضيف من الفواكه والطرف والمحاسن وزيادة كبد النون، وهي قطعة منه كالأصبع. وفي الحديث: «**سيّد إدام أهل الجنّة اللّحم**»، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء أن مفتاح الجنّة قول لا إلـه إلاّ الله والصلاة

روى أبو داود الطيالسي أن رسول الله ﷺ قال: «**مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنّة الصلاة**»[1]. وروى البيهقي عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «**إن سألك أهل الكتاب عن مفاتيح الجنّة، فقل لهم: هي شهادة أن لا إلـه إلا الله**»[2]. وفي حديث البخاري أنه قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنّة لا إلـه إلّا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلّا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك. والأسنان هي توحيد الله تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه لا توحيده فقط، والإيمان قول وعمل لا أحدهما فقط، كما يشهد لذلك قواعد الشريعة. وفي الحديث: «**أن ملك الموت حضر رجلًا عند الموت، فنظر في كل عضوٍ من أعضائه فلم يجد حسنة واحدة، ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئًا، ثم فكّ عن لحييته فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إلـه إلا الله، فقال: وجبت لك الجنّة بقولك كلمة الإخلاص**»، انتهى. أي: وهو تحت المشيئة فيما أخلّ به من اوامر والنواهي، فإن شاء الحقّ تعالى عذّبه ثم أدخله الجنّة، وإنْ شاء عفا عنه ثم أدخله الجنّة؛ لأن التوحيد بذاته يُدخل صاحبه الجنّة لا بدّ من ذلك، كما أنه لا يخلد في النار موحّد، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٣٠.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة

باب الكفّ عمَّن قال لا إلـه إلا الله

روى مسلم[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلـه إلّا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله تعالى**».

باب ما جاء في أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه، وفي تعظيم حرمته عند الله تعالى

روى ابن ماجه[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع: «**ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا، وإن أحرم البلاد بلدكم هذا. ألا وإنْ دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا وإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلَّغت؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، فقال: «**اللّهمّ اشهد**»، وأخرجه مسلم[3] من حديث أبي بكر وجابر بمعناه، وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ حين طائف بالكعبة: «**ما أطيبك وأطيب رائحتك وأعظم حرمتك، ولكن والذي نفس محمّد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك ماله ودمه وأن لا يظنّ به إلا خيرًا**»[4]. وفي حديث مسلم[5] أيضًا: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله**»، وفي حديث النسائي[6]: «**إن قتل المؤمن أعظم عند**

---

(١) كتاب الإيمان حديث ٣٤، ٣٥، ٣٦.
(٢) كتاب المناسك باب ٧٦، ٨٤.
(٣) كتاب الحجّ حديث ٤٤٥، ٤٤٦.
(٤) أخرجه ابن ماجه حديث ٢٩٣٢.
(٥) كتاب البرّ حديث ٣٢.
(٦) كتاب التحريم باب ٢.

الله من زوال الدنيا». وفي حديث الترمذي[١] عن النبيّ ﷺ: **«مَنْ أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة»**، والله أعلم.

وفي القرآن العظيم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النّساء: الآية ٩٣] الآية، وقال تعالى في سياق النهي عن الزّنا والقتل: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٨] الآية.

وروى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده ما عمل على وجه الأرض عملٌ أعظم عند الله بعد الشِّرك من سفك دم حرام، والذي نفسي بيده إن الأرض لتضجّ إلى الله تعالى من ذلك ضجيجًا ـ أو قال: عجيجًا ـ تستأذنه فيمن عمل ذلك على ظهرها أن تنخسف به»**. وفي حديث أبي داود[٢] أن رسول الله ﷺ قال: **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلّا مَنْ مات مشركًا أو مؤمنًا قتل مؤمنًا متعمّدًا»**. وفي الحديث: **«لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»**[٣]، وفي رواية: **«لا يزال المؤمن متقيًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بأج»**[٤]، أي انقطع ودخل النار، قاله الهروي. وفي الحديث أيضًا: **«مَنْ أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوبًا على جبهته آيس من رحمة الله»**[٥]، قال شقيق: وشطر الكلمة هو أن يقول في اقتل اق فقط دون التاء واللام، والله أعلم.

باب إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل، ومن أين تجيء، وفضل العبادة أيام الفتن

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: الآية ٢٥]، ونحوها من الآيات.

وفي حديث مسلم[٦] أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تكون فتن كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمْسي كافرًا، ويُمْسي مؤمنًا**

(١) كتاب الفتن باب ٤.
(٢) حديث ٤٢٧٠.
(٣) أخرجه البخاري في الديات باب ١، وأحمد في المسند ٢/ ٩٤.
(٤) أخرجه أبو داود في الفتن باب ٦.
(٥) أخرجه ابن ماجه حديث ٢٦٢٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٢٢.
(٦) كتاب الإيمان حديث ١٨٦.

ويُصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا». وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ خرج يومًا فزعًا محمرًا وجهه، يقول: «**لا إلـه إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب رضي الله عنها: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[١]. وفي الحديث عن أُسامة أنّ النبيّ ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة، ثم قال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[٢]، رواه وما قبله البخاري.

وروى البيهقي أن رجلًا سأل النبيّ ﷺ: هل للإسلام من منتهى؟ فقال النبيّ ﷺ: «**أيّما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام**»، فقال الرجل: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «**ثم وقوع الفتن كالظلل**»، فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله، قال: «**بلى والذي نفسي بيده لتعودنّ فيها أساود صبًّا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٣]، أي لتعودنّ يعلو بعضكم ويرتفع إذا أراد أن يؤذي أخاه المسلم؛ لأن الأساود جمع أسود، وهي الحية السوداء، إذا أرادت أن تنهس ارتفعت ثم انتصبت وانخفضت، قاله الأزهري.

وروى مسلم عن أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ قالت: استيقظ النبيّ ﷺ فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ مَنْ يوقظ صواحب الحجر ـ يريد أزواجه ـ لكي يصلينّ؟ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»[٤]. ورُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة، فقال: «**يا أصحاب الحجرات سعّرت النار وجاءت الفتن كأنّها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**». وفي الحديث عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من هـٰهنا ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له:** ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ٤، ٢٨، ومسلم في الفتن حديث ١، ٢.
(٢) أخرجه البخاري في المدينة باب ٨، والمظالم باب ٢٥، والفتن باب ٤.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٧٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠٢١.
(٤) أخرجه البخاري في الفتن باب ٦، والعلم باب ٤٠.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: الآية ٤٠]»[١]. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كالهجرة إليّ**»[٢].

قال العلماء: في حديث أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم... إلى آخره، وفي ذلك دليلٌ على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كَثُر الصالحون، فإن كثر المفسدون وقلّ الصالحون هلك الكل إذا لم يكرهوا ذلك ولم ينكروه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: الآية ٢٥]، بل يعمّ شؤمها من يتعاطاها، ومَنْ رَضِيَها هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره.

ورُوِيَ أنّ الله تعالى أمر ملكًا من الملائكة أن يخسف بقرية، فقال: يا ربّ إنّ فيها فلانًا العابد، فأوحى الله تعالى إليه: «**أنْ به فابدأ، فإنه لم يتغيّر وجهه حين انتهكت محارمي**». وكان وهب بن منبه يقول: لمّا أصاب داود عليه الصّلاة والسّلام الخطيئة قال: يا ربّ اغفر لي، فقال: قد غفرتها لك وألزمت عارها بني إسرائيل، فقال: كيف يا ربّ وأنت الحكم العدل الذي لا يظلم أحدًا أعمل أنا الخطيئة ويلزم عارها غيري، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنك لما اجترأت على تلك المعصية لم يعجّلوا عليك بالنكير. وفي حديث أبي داود[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا عُمِل بالخطيئة في الأرض كان مَنْ شهدها فأنكرها وكرهها كمن غاب عنها، ومَنْ غاب عنها فرَضِيَها كمن شهدها**». وبلغنا أنّ رجلًا حسن قتل عثمان عند الشعبي، فقال له: قد شاركت في دمه. وفي حديث الترمذي[٤]: «**أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده**»، انتهى. وكان الإمام مالك رحمه الله يقول: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارًا، ولا ينبغي الاستقرار فيها، واحتجّ بصنيع أبي ذرّ وخروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا وأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها، كما رُوِيَ في الصحيح. وكان مالك رحمه الله تعالى يقول

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٤٧، ٤٩، ٥٠.
(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ١٣٠، والترمذي في الفتن باب ٣١.
(٣) حديث ٤٣٤٥.
(٤) كتاب الفتن باب ٨.

أيضًا: إذا ظهر الباطل على الحقّ كان الفساد في الأرض، وكان يقول: إن لزوم الجماعة نجاة، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة، وكان يقول: ينبغي للناس أن يغضبوا لأمر الله إذا انتهكت فرائضه وحرمه وخالف الناس ما أتت به الكتب والأنبياء، وكان يقول: لا تنبغي الإقامة بأرض يكون العمل فيها بغير السنّة وما كان عليه السلف، وكان رحمه الله يقول: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والرّضا بأقلّ القوت، انتهى.

فإذا كان هذا القول من أهل المائة الثانية، فكيف بأهل النصف الثاني من القرن العاشر الذي صار القابض فيه على شيء من دينه كالقابض على الجمر، ومن يقدر على جمرة ترعى في كفّه ولا يرميها عنه، هذا كالتكليف بما لا يُطاق، إلا أن يحفّ العبد عناية الله عزّ وجلّ؛ فنسأل الله اللّطف بنا والموت على الشهادتين آمين، والحمد لله ربّ العالمين.

باب في رحى الإسلام ومتى تدور

روى أبو داود[1] عن عبد الله بن مسعود رضي ا عنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين أو ستّ وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن هلكوا فسبيل من هلك، وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا**»، قال: فقلت: مما بقي أو مما مضى؟ فقال: «**ممّا مضى**».

قال العلماء: دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبّههما بالرحى الدوّارة التي تطحن كلّ ما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس، والمراد بقوله: بخمس وثلاثين إلى آخره: أن هذه المدّة إذا انقضت حدث في الإسلام أمرٌ عظيم يُخاف على أهله الهلاك، فإنّ به تنقضي مدّة الخلاف وتحدث الفتن. قال: فدارت الرحى لسنة خمس، فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، ولسنة ستّ ففيها خرج طلحة والزبير إلى وقعة الجمل، ولسنة سبع ففيها كانت وقعة صفّين، فصلّى الله وسلّم على الصادق المصدوق الذي لا يخبر عن شيء إلّا ويأتي مثل فلق الصبح، ومعنى يقم لهم دينهم، أي:

---

(١) كتاب الفتن باب ١.

ملكهم وسلطانهم، وذلك من حين بايع الحسن معاوية إلى انقضاء خلافة بني أُميّة، وذلك من نحو سبعين سنة، والله أعلم.

باب ما جاء أنّ عثمان لمّا قُتِل سلّ سيف الفتنة

روى الترمذي[1] أنّ عثمان لما أُريد جاءه عبد الله بن سلام، فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني، فإنك خارج خير لي من داخل؛ فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس، فقال: أيُّها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسمّاني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت فيَّ آيات من كتاب الله نحو قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: الآية ١٠]، ونحو قوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: الآية ٤٣]، إنّ لله تعالى سيفًا مغمودًا عنكم، وإنّ الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيّكم ﷺ، فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردنّ جيرانكم الملائكة ولتسلنّ سيف الله المغمود عنكم، فلا يُغمد إلى يوم القيامة؛ فقالوا لبعضهم: اقتلوا هذا اليهودي، واقتلوا عثمان، انتهى.

ومثل هذا لا يقال من قِبَل الرأي؛ فلولا أنّ عبد الله سمع في ذلك شيئًا عن رسول الله ما قاله، وسيأتي قول حذيفة رضي الله عنه لعمر: إن بينك وبينها بابًا مغلقًا يُوشك أن يُكسر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ظهور الفتن
وأنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرّ منه

روى البخاري[2] عن الزبير بن عديّ رضي الله عنه قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاج بن يوسف الثقفي، فقال: «**اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلّا والذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربّكم**»، سمعت ذلك من نبيّكم ﷺ. وروى الشيخان عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**يتقارب الزمان**

---

(١) كتاب المناقب باب ٢٦.

(٢) كتاب الفتن ٦، ١٤.

وينقص العمل ويُلقى الشحّ وتظهر الفتن ويكثر الهرج»، قالوا يا رسول الله وما الهرج؟ قال: «**القتل القتل**»[١].

قال العلماء: ومعنى يتقارب الزمان، أي تقصر الأعمار وتقلّ البركة فيها. وقيل: المراد به قصر مدّة الأيام، كما يدلّ عليه حديث: «**إنّ الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة**»، رواه الترمذي[٢].

قال الخطابي: ويحتمل أن يكون تقارب الزمان من شدّة الالتذاذ بالعيش، كما في أيام المهدي عليه الصّلاة والسّلام، ومعنى يُلْقي الشيح أي: يتلقى وتتواصى الناس به ويدعون إليه ويتعلّمونه، ومنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٧] أي فتعلّمها.

قال الإمام القرطبي: ومعنى ذلك أنّ الشحّ يزيد لا أنه لا يوجد، فإنّ الشحّ لم يزل موجودًا قبل تقارب الزّمان، والله أعلم.

باب ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح فيها وحكم المُكره عليها وملازمة البيوت عند الفتن

روى مالك[٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن**». وروى مسلم[٤] عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن ثم فتن ثم فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإذا نزلت ـ أو قال: وقعت ـ فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومَنْ كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت مَنْ لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيكسره بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة. اللّهمّ**

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب باب ٣٩، والفتن باب ٥، ومسلم في العلم حديث ١١.

(٢) كتاب الزهد باب ٢٤.

(٣) كتاب الاستئذان حديث ١٦.

(٤) كتاب الفتن حديث ١٠.

هل بلّغت» ـ قالها ثلاثًا ـ فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفّين أو إحدى الفئتين فيضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار**»، والله تعالى أعلم.

وروى ابن ماجه[1] عن محمّد بن مسلمة، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فائتِ بسيفك جبل أُحد فاضربه حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منيّة قاضية**»، فقد وقعت وفعلت ما قال النبيّ ﷺ.

وروى أبو داود[2] عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمْسي كافرًا، ويُمْسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من السّاعي**»، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**»، أي الزموا بيوتكم كما يلزم الحلس ظهر الجمل. وفي مراسيل الحسن البصري رضي الله عنه وغيرها عن النبيّ ﷺ: «**نعم مواضع المؤمنين بيوتهم**»، أي مكانهم الذي يعتزلون فيه، وإلّا فقد تكون العزلة في الكهوف؛ كما قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: الآية ١٠].

وقد دخل سلمة بن الأكوع على الحجّاج، وكان ممّن خرج إلى الرّبذة حين قُتِل عثمان، فتزوّج امرأة هناك وولدت له أولادًا، فلم يزل بها إلى أنْ كان قبل موته بليال نزل المدينة، فقال له الحجّاج: ارتددت على عقبك، فقال: لم يكن ذلك، ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا في سكنى البادية، انتهى. ولم تزل الناس يعتزلون أيام الفتن، كما أن منهم من لم يزل يخالط الناس كل واحد على ما يعلم من نفسه ويتأتّى له من نفسه، ومنهم مَنْ يخالط أوّل عمره ثم يعتزل الناس آخر عمره وبالعكس، وبلغنا عن الإمام مالك أنه اعتزل الناس أواخر عمره، فأقام ثماني عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: ليس كل أحد يمكنه أن يُخبر بعذره، وقد اختلف أصحابه في عذره على ثلاثة

---

(١) كتاب الفتن باب ١٠.

(٢) كتاب الفتن باب ٢.

أقوال، فقيل: لئلا يرى المَناكير فلا يقدر على إزالتها، وقيل: لئلا يمشي إلى السلطان، وقيل: كانت به أبردة، فكان يرى تنزيه المسجد عنها، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله، والحمد لله ربّ العالمين.

باب منه وكيف التثبّت أيام الفتنة وذهاب الصالحين

روى ابن ماجه(١) أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل البصرة قال لأُهبان رضي الله عنه: ألا تُعينني يا أبا مسلم على هؤلاء القوم؟ فقال: بلى، ثم دعا بجارية فقال: يا جارية أخرجي لي سيفي، فأخرجته له فسلّ منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال: إن خليلي وابن عمّك رسول الله ﷺ عهد إليّ إذا كانت فتنة بين المسلمين أن أتّخذ سيفًا من خشب، وقد اتّخذته، فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك.

وفي حديث أبي داود(٢) أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ بين أيديكم فتنًا كقطع اللّيل المظلم**»، فذكر الحديث إلى أن قال: «**فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحدٍ منكم فليكن خير ابني آدم**»، يعني هابيل، وتلا هذه الآية: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المَائدة: الآية ٢٨].

وروى ابن ماجه(١) أنّ رسول الله ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان يُوشك أن يأتي فيُغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مُرِجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا، فكانوا هكذا**»، وشبك بين أصابعه ﷺ، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصّتكم، وتذرون عامَّتكم**». وفي رواية للنسائي أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**إذا رأيت الناس مرجت عهودهم ـ أي اختلطت ـ وخفّت أماناتهم، فالزم بيتك وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامّة**»(٣).

---

(١) كتاب الفتن باب ١٠. (٢) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٣) أخرجه أبو داود في الملاحم باب ١٧، وابن ماجه في الفتن باب ١٠.

وفي حديث الترمذي[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «**إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، وسيأتي على الناس زمان مَنْ عَمِل منهم بعشر ما أُمر به نجا**». وروى ابن ماجه[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتنتقون كما ينتق التمر من الحثالة، فليذهبنّ خياركم وليبقينّ شراركم، فموتوا إن استطعتم**». وروى البخاري[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يذهب الصالحون الأوّل فالأوّل، وتبقى حثالة كحثالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة**»، وفي رواية: «**لا يعبأ الله بهم**»، والحمد لله ربّ العالمين.

باب الأمر بتعلم القرآن واتّباع ما فيه، ولزوم الجماعة عند غلبة الفتن وظهورها، وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهر وأخذ المال

روى أبو داود[٤] عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت له يومًا: يا رسول الله أبعد هذا الخير من شرّ؟ فقال: «**يا حذيفة تعلَّم كتاب الله واتّبع ما فيه**» قالها ثلاث مرات، ثم قلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير من شرّ؟ فقال: «**يا حذيفة، تعلَّم كتاب الله واتّبع ما فيه**» قالها ثلاثًا، فقلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير من شرّ؟ فقال: «**فتنة وشرّ**»، فقلت: يا رسول الله، فبعد هذا الشرّ خير؟ فقال: «**يا حذيفة تعلَّم كتاب واتّبع ما فيه، فلا بدّ من وقوع فتن، لا ترجع قلوب أهلها إلى ما كانت عليه قبل ذلك**». وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، أبعد هذا الخير شرّ؟ قال: «**فتنة عمياء صمّاء عليها دعاة على أبواب النار، فإن متّ يا حذيفة وأنت عاضّ على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم**». والجذل أصل الشجر كما سيأتي.

وروى أبو نعيم عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدِّين فلا تأخذوه ولستم**

---

(١) كتاب الفتن باب ٧٩.
(٢) كتاب الفتن باب ٢٤.
(٣) كتاب الفتن باب ١٣.
(٤) كتاب الفتن باب ١.

بتاركيه، بل تمنعكم من ذلك الحاجة والفقر. ألا إن رحى الإسلام دائر، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أُمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوهم، وإن أطعتموهم أضلّوكم»، قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: «**كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام، نُشِروا بالمناشير وحُمِلوا على الخشب. والذي نفسي بيده لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله**»[1].

وفي حديث الشيخين عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**»، فقلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنّون بغير سنّتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، قلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنّم مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فقلت: يا رسول الله صِفْهم لنا، قال: «**هم قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلّها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**».

وفي رواية: «**يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهديي، ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع، وإن ضُرِب ظهرك وأُخذ مالك، فاسمع وأطِعْ**». وفي رواية لأبي داود قال حذيفة: يا رسول الله، ثمّ ماذا؟ ـ يعني بعد الشرّ الواقع ـ قال: «**يخرج الدجّال معه نهر ونار، فمن دفع في ناره وجب أجره وحطّ وزره، ومَنْ وقع في نهره وجب وزره وحطّ أجره**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**هو قيام الساعة**». ورُوِيَ: «**إنّه لا تقوم الساعة حتى يقع**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٢٨١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٦٥.

الفساد في القلوب، فيتقوّل بعضهم بعضًا ويظهرون الصُّلح والاتفاق، وفي باطنهم خلاف ذلك»[١]، والله أعلم.

باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

روى مسلم[٢] عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا توجّه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، قال: فقلت ـ أو قال ـ: فقيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه أراد قتل صاحبه**». وفي رواية: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**».

قال العلماء: وهذا محمول على مَنْ قاتل على الدنيا لا على الدِّين والإصلاح، كقتال البغاة بدليل حديث البزار مرفوعًا: «**إذا اقتتلتم على الدنيا، فالقاتل والمقتول في النار**» بخلاف قتال نحو معاوية وعليّ، فإنه على الدين لا على الدنيا، والله أعلم.

وروى مسلم[٣] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فِيمَ قُتِل، ولا المقتول فيما قُتِلَ**»، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرج القاتل والمقتول في النار**». ورُوِيَ أنه ﷺ قال: «**سيكون بين أصحابي فتنة يغفر الله لهم بصحبتهم إياي، ثم يستنّ بها قوم من بعدهم، فيدخلون النار بسببها**»[٤]، انتهى.

وفي هذا الحديث دليل على أن قتال الصحابة مغفور، لأنه بتأويل صحيح، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء أن الله تعالى جعل بأس هذه الأُمّة بينها

قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ [الأنعام: الآية ٦٥]، وروى مسلم[٥] عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله زوى**

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ١١، والمناقب باب ٢٥، ومسلم في الإمارة حديث ٥١.
(٢) كتاب الفتن حديث ١٤، ١٥. (٣) كتاب الفتن حديث ١٨.
(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٥) كتاب الفتن حديث ١٩.

لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أُمّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» يعني الذهب والفضّة، كما قاله ابن ماجه. **«وإني سألت ربّي لأُمّتي أن لا يُهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربّي قال: يا محمّد إنّي إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرَدّ، وإني قد أعطيتك لأُمّتك أن لا أُهلكهم بسنة عامة، وأن لا أُسلّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»**، زاد في رواية أبي داود: **«وإنّما أخاف على أُمّتي الأئمّة المضلّين، وإذا وُضِع السيف في أُمّتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمّتي بالمشركين، وإنه سيكون في أُمّتي ثلاثون كذّابون كلّهم يزعم أنه نبيّ وأنه اتم النبيّين لا نبيّ بعدي، ولا تزال طائفة من أُمّتي على الحقّ ظاهرين لا يضرّهم مَنْ خالفهم حتى يأتي أمر الله»**.

وروى ابن ماجه[(١)] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ يومًا صلاة فأطال فيها، فلمّ انصرف قلت: يا رسول الله أطلت اليوم الصلاة؟ قال: **«إني صلّيت رغبة ورهبة سألت الله فيها لأُمّتي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين وردَّ عليّ واحدة: سألته أن لا يسلّط عليهم عدوًّا من غيرهم، فأعطانيها. وسألته أن لا يُهلكهم غرقًا، فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردّها على ظاهرها»**.

وفي رواية لمسلم[(٢)]: **«سألت ربّي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربّي أن لا يهلك أُمّتي بالسنة، فأعطانيها. وسألته أن لا يُهلك أُمّتي بالغرق، فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها»**. وروى ابن ماجه[(٣)] عن أبي موسى الأشعري، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ **«أنّ بين يديّ الساعة لهرجًا»**، فقلت: يا رسول الله، ما الهرج؟ قال: **«القتل، القتل»**، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنّا نُقتل الآن في العام الواحد من المشركين

---

(١) كتاب الفتن باب ٩. (٢) كتاب الفتن حديث ٢٠.

(٣) كتاب الفتن باب ١٠، ٢٥، ٢٦.

كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضًا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمّه وذا قرابته**»، الحديث.

باب ما يكون من الفتن التي أخبر النبيّ ﷺ بها وذكر الفتنة التي تموج موج البحر

روى مسلم عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به حَفِظَه مَنْ حَفِظَه، ونَسِيَه مَنْ نَسِيه قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[١]. وفي رواية لأبي داود[٢]: والله ما أدري أنَسِيَ أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته.

وروى مسلم[٣] عن حذيفة قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلّا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في ذلك شيئًا لم يحدّثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال وهو يعدّ الفتن: «**منهنّ ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهنّ فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار**». قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلّهم غيري.

وروى أبو داود[٤] عن عبد الله بن عمر، قال: كنّا قعودًا عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فأكثر فيها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقالوا: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: «**هي هرب وخرب، ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتّقون، ثم تصطلح الناس على رجل كودك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأُمّة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت**

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ١.
(٢) كتاب الفتن باب ١.
(٣) كتاب الفتن حديث ٢٢.
(٤) كتاب الفتن باب ١.

يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمْسي كافرًا حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجّال من يومه أو من غده». وروى الترمذي[١] عن أبي سعيد الخدري، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ثم قام خطيبًا، فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حَفِظَه مَنْ حفظه ونَسِيه مَنْ نسيه. وقوله في الحديث السابق: فتنة الأحلاس، مراده بها: فتنة الدوام، أي: يطول زمنها كما يلزم الحلس ظهر البعير، يقال: فلان حلس بيته، أي: لا يكاد يبرح منه. وأمّا قوله: وخرب، فالمراد به زوال الأهل والمال، يقال: خرب الرجل، فهو خرب إذا سلب أهله وماله.

قال الإمام القرطبي: وفي هذه الأحاديث دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون الكوائن إلى يوم القيامة، لكنهم لم يُشيعوها كما أشاعوا أحاديث الأحكام المتعلّقة بأعمال المكلفين، ويؤيّد ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: أمّا أحدهما، فبثثته فيكم. وأمّا الآخر، فلو بثثته لقُطِع منى هذا البلعوم[٢] ـ أي مجرى الطعام ـ.

وأما الفتنة التي تموج موج البحر، فهو قول النبيّ ﷺ: «**هلاك أُمّتي على يدي أُغيلمة من سفهاء قريش**»[٣]. وروى الشيخان وابن ماجه عن حذيفة قال: كنّا جلوسًا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيّكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: أنا، فقال: إنك لجريء، وكيف قال؟ قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تُكفّرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»، فقال عمر: ليس هذا أريد، إنما أُريد به الفتنة التي تموج كموج البحر؟ قال: فقلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين إنّ بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: أفيُكسر الباب أم يُفتح؟ قال: قلت: لا، بل يُكسر. قال: ذلك أجدر أن لا يُغلق أبدًا. قال شقيق لحذيفة: أكان عمر يعلم مَن الباب؟ فقال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إني

---

(١) كتاب الفتن باب ٢٦. (٢) أخرجه البخاري في العلم باب ٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في الفتن باب ٣ (في الترجمة).

حدّثته حديثًا ليس بالأغاليط، قال: فهِبْنا أن نسأل حذيفة مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سَلْه، فقال: هو عمر[(١)].

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب أنّ عمر بن الخطاب دخل على ابنته فوجدها تبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقالت: هذا اليهودي لكعب الأحبار يقول إنك باب مِنْ أبوابِ جهنّم، فقال عمر: ما شاء الله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خلقني سعيدًا، قال: ثم خرج فأرسل إلى كعب، فلما جاءه كعب قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجّة حتى تدخل الجنّة، فقال عمر: أيّ شيء هذا مرّة في الجنّة ومرّة في النار؟ فقال: والذي نفسي بيده إنّا لنجدك في كتاب الله على بابٍ من أبواب جهنّم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة.

وروى البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**هلاك أُمّتي على يدي أُغيلمة من قريش**»، فقال مروان: لعنة الله عليهم من أُغيلمة، فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت. قال عمرو بن يحيى بن سعيد: فكنت أخرج مع جدّي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلمانًا أحداثًا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم.

قال الإمام القرطبي: وكان من هؤلاء الأغيلمة ـ والله أعلم ـ يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن ينزل منزلتهم من أحداث ملوك بني أُميّة، فقد صدر عنهم ما لا يخفى من الفساد وقتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكّة، وغير خافٍ ما صدر من الحجّاج وعبد الملك بن مروان وولده من سفك الدماء وإتلاف الأموال وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغيرهما، وقد حصروا مَنْ قتلهم الحجاج، فوجدوا مائة وعشرين ألف نفس.

وبالجملة، فقد قابل بنو أُمية وصيّة رسول الله ﷺ على أهل بيته بالمخالفة والعقوق، فسفكوا دماءهم وأخذوا أموالهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب ١٧، ومسلم في الإيمان حديث ٢٣١، والفتن حديث ٢٧، وابن ماجه في الفتن باب ٩.

وخرّبوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا لعنهم وسبّهم، فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيّته وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته، فواخجلهم إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة يطلبون منه الشفاعة، ويا فضيحتهم يوم يُعرضون عليه في ذلك اليوم العظيم؛ فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

باب ما جاء أن اللّسان في الفتنة أشدّ من وقع السيف

روى أبو داود[(١)] عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها في النار**»، أي ترميهم، والاستنظاف الرمي «**اللّسان فيها أشدّ من قتل السيف**». وفي رواية أخرى أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ستكون فتنة عمياء صمّاء بكماء من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللّسان فيها كوقع السيف**». وفي رواية لابن ماجه: «**إياكم والفتن، فإن اللسان فيها مثل وقع السيف**»، أي من حيث الكذب عند أهل الجور ونقل أخبار الناس إليهم، فربّما نشأ من لك النهب والقتل والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر من وقوع الفتنة نفسها. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي إليها بالًا**»[(٢)]، وفي رواية: «**ما يتبيّن فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»، وفي رواية: «**يهوي بها في النار سبعين خريفًا**». وفي الحديث عن النبيّ ﷺ: «**ويل للذي يتكلّم الكلمة من الكذب ليضحك الناس ويلٌ له ويلٌ له**»[(٣)]، انتهى. فنسأل الله من فضله أن يحفظنا من الوقوع فيما يسخط ربّنا من غيبة أو نميمة أو بهتان أو فحش إنه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين.

باب الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها، وإن السعيد من جُنِّب الفتن

روى أبو داود عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف بك إذا أصاب الناس موتٌ يكون البيت بالرصيف**»؟ ـ أي القبر ـ قال: فقلت:

---

(١) كتاب الفتن باب ٣.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٢٣، والترمذي في الزهد باب ١٢.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٨٠، والترمذي في الزهد باب ١٠.

الله ورسوله أعلم، قال: «**عليك بالصبر**» ـ أو قال ـ «**تصبر**»، ثم قال لي: «**يا أبا ذرّ**»، قلت: لبّيك وسعديك، فقال: «**وكيف أنت إذ رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم**»؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله؟ قال: «**عليكم بمن أنت منه**»، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: «**شاركت القوم إذن**»، قال: فما تأمرني؟ قال: «**تلزم بيتك**»، قال: قلت: فإن دخل أحد عليّ بيتي، قال: «**وإن خشيت أن ينهرك شعاع السيف، فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك**»[1]، وزاد في رواية ابن ماجه[2] بعد ذلك: «**كيف بك يا أبا ذرّ في جوعٍ يصيب الناس حتى تأتي مسجدك، فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك، أوَ لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك**»، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**عليك بالعفّة**»، ثم قال: «**كيف أنت يا أبا ذرّ وقتلٌ يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم**»، فذكر الحديث إلى أن قال: «**فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار**». وحجارة الزيت موضع بالمدينة تكون الملحمة عندها، وكانت ثلاثة أحجار يضع الزيّاتون عليها رواياهم.

وفي رواية ابن مسعود في حديث الفتنة، قال: فإن دخل عليَّ بيتي؟ فقال: «**الزم بيتك وكن مثل الجمل الأورق الثقال الذي لا ينبعث إلا كرهًا ولا يمشي إلا كرهًا**». وروى أبو داود[3] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابْتُلِيَ فصبر فواهًا**». وروى الترمذي[4] عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر**».

قال الإمام القرطبي: الصحيح عند علمائنا أنَّ مَنْ دخل على إنسان بيته ليقتله لا يجوز له الاستسلام له بل يقاتله؛ لما في صحيح مسلم عن أبي هريرة: أنّ رجلًا جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، فقال: أرأيت إن قاتلني؟ فقال: «**قاتله**»، قال:

---

(١) كتاب الفتن باب ٢.
(٢) كتاب الفتن باب ١٠.
(٣) كتاب الفتن باب ٢.
(٤) كتاب الفتن باب ٧٣.

أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»[(١)]. وقد ثبت في الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد**»[(٢)]. وثبت عن جماعات من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللّصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم، وبه قال ابن عمر والحسن البصري وقتادة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد وإسحاق والنعمان.

قال ابن المنذر وأبو بكر بن العربي: وبهذا قال عوامّ أهل العلم إن للرجل أن يُقاتل عن نفسه وماله إذا أُريد ظلمًا للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخصّ فيها وقتًا من الأوقات ولا حالًا من الأحوال إلّا السلطان، فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أنّ من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه؛ للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ بالصّبر على ما يكون من السلطان من الظلم والجور، انتهى.

وقال جماعة: يجب على المسلم أن يستسلم للقتل إذا أُريدت نفسه ولا يدفع عنها، وحملوا الأحاديث على ظواهرها، وقالوا: كل من المسلمين يرى أنه محقّ في قتاله، والله أعلم.

باب جعل في أول هذه الأمّة عافيتها وفي آخرها بلاؤها

روى مسلم[(٣)] عن عبد الله بن عمر قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فنادى مُناديه: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبيّ إلّا كان حقًّا عليه أن يدلّ أُمّته على خير ما يعلمه لهم، وإن أُمّتكم هذه تُجعل عافيتها في أوّلها، وسيصيب آخرها بلاء وأُمور تُنكرونها، وتجيء فتن يتلو بعضها بعضًا تجيء فتنة، فيقول المؤمن: هذه تُهلكني، ثم تنكشف وتجيء فتنة، فيقول: هذه هذ، فمن أحبّ أن يُزَحْزح عن النار أو يدخل الجنّة، فلتأته فتنة وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس بالذي يحبّ أن يُؤتى إليه. ومَنْ**

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في المظالم باب ٣٣، ومسلم في الإيمان حديث ٢٢٦.

(٣) كتاب الإمارة حديث ٤٦.

بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليُطِعْه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر». وكان عبد الله بن عمر يقول: أطِعْه ـ يعني السلطان ـ في طاعة الله واعْصِهِ في معصية الله.

قال بعض العلماء: والمراد بقوله: فاضربوا عنق الآخر هو عزله لا قتله وموته. وقال بعضهم: المراد به قطع رأسه وإذهاب نفسه يدلّ على هذا قوله في حديثٍ آخر: «**فاضربوه بالسيف كائنًا مَنْ كان**»، وهو ظاهر الحديث لكن شرط في ذلك أن يكون الأوّل عدلًا، والله أعلم.

باب جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء في أن بطن الأرض خيرٌ من ظهرها

روى مالك[1] رحمه الله تعالى أنّ رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللّهمّ إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين، وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**».

قال مالك: وكان أبو هريرة إذا لقي الرجل يقول له: مت إن استطعت، فيقول له: لِمَ؟ فيقول: تموت وأنت تدري علام تموت خيرٌ لك من أن تموت وأنت لا تدري علام تموت عليه. قال مالك: والذي أراه أن عمر بن الخطاب ما كان يطلب الشهادة إلا خوفًا من التحويل والتغيير والفتن. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، موتوا إن استطعتم**»[2].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حيث جعل الموت خيرًا من مباشرتها، وفي حديث الترمذي[3] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان أُمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها؛ وإذا كان أُمراؤكم شراركم**

---

(١) كتاب القرآن حديث ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٧، والفتن باب ٤، ٢٨، ومسلم في الفتن حديث ١.

(٣) كتاب الفتن باب ٧٨.

وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها».

وفي البخاري[١] عن النبيّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني كنت مكانه**»، زاد في رواية: «**لما به من البلاء**». وكان عبد الله بن مسعود يقول: ليأتينّ على الناس زمان يأتي الرجل القبر، فيقول: يا ليتني مكان هذا ليس به حبّ الله تعالى، ولكن من شدّة ما يرى من البلاء ـ أي من شدّة الأنكاد والمشاقّ والمحن الواقعة للإنسان ـ في نفسه وولده وماله حتى يذهب أكثر دينه، والله تعالى أعلم.

باب مقتل السيد الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. قال الإمام القرطبي في ترجمته ولا رضى عن قاتله، انتهى. والحقّ أن قاتله إن مات على الإسلام فمن المعروف سؤال الله العفو عنه، والله تعالى أعلم

ذكر الحافظ أبو شعيب عثمان بن السكن رحمه الله تعالى بسنده عن أنس بن الحارث، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ ابني هذا يُقتل بأرض من أرض العراق، فمن أدركه منكم فلينصره**»[٢]، قال: فقتل أنس هذا مع الحسين رضي الله تعالى عنهما.

وخرّج الإمام أحمد[٣] في مسنده عن أنس: أن ملك المطر استأذن أن يأتي النبيّ ﷺ، فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: «**املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد**»، قال: فجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبيّ ﷺ وعلى منكبيه وعلى عاتقه، فقال الملك للنبيّ ﷺ: أتحبّه؟ فقال: «**نعم**»، قال: فإن أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه، ثم ضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أُمّ سلمة فصرّتها في خمارها. قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٢٥٢.

(٣) المسند ٣/ ٢٤٢.

قال مصعب بن الزبير: وحجّ الحسين رضي الله عنه خمسًا وعشرين حجّة ماشيًا، وكانت تُقاد الجنائب بين يديه لا يركبها، وقال النبيّ ﷺ فيه وفي الحسن: «**إنهما سيّدا شباب أهل الجنّة**»(١)، وكان يقول: «**هما رَيْحانتاي من الدنيا**»(٢)، وكان إذا رآهما هشّ لهما وربما حملهما؛ كما روى أبو داود(٣): أنهما دخلا المسجد وهو يخطب فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما، وقال: «**قد رأيت هذين فلم أصبر**»، وكان يقول فيهما: «**اللّهمّ إنّي أحبّهما، فأحبّهما وأحِبَّ مَنْ يحبّهما**»(٤)، وقُتِل رحمه الله.

قال القرطبي: ولا رحم قاتله في يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بالقرب من موضع يقال له الطفّ من الكوفة. قال أهل التاريخ: ولمّا مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد ولده، وذلك في سنة ستّين ووردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل إلى الحسين بن علي، وإلى عبد الله بن الزبير ليلًا، فأُتِيَ بهما فقال: بايعا، فقالا: مثلنا لا يُبايع ليلًا، أو قالا: سرًا، ولكنّا نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من أهلهما إلى مكّة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكّة شعبان ورمضان وشوّالًا وذا القعدة، وخرج يوم التروية يريد الكوفة، فبعث عبيد الله بن زياد خيلًا لمقتل الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فأدركه بكربلاء، وقيل: إن عبيد الله بن زياد كتب إلى الحواء بن يزيد الرياحي أن جعجع بالحسين.

قال أهل اللغة: أراد احبسه وضيّق عليه، والجعجع والجعجاع الموضع الضيّق من الأرض، ثم أمدَّه بعمر بن سعد في أربعة آلاف، ثم ما زال عبيد الله يزيد العساكر ويستنفر الجماهير إلى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفًا، وأميرهم عمر بن سعد ووعده أن يملكه مدينة الريّ، فباع الفاسق الرشد بالغيّ؛ وفي

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب ٣٠، وابن ماجه في المقدمة باب ١١.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٢٢، والأدب باب ١٨، والترمذي في المناقب باب ٣٠.

(٣) كتاب الصلاة باب ٢٢٧.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٤٦، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٣٣.

ذلك يقول:

لأنزل ملك الري والريّ منيتي ... وأرجع مأثومًا بقتل حسين

فضيّق عليه اللعين أشدّ تضييق وسدّ بين يديه واضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت العاشر من المحرم. وقال ابن عبد البرّ: وقيل: يوم الأحد لعشرٍ مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له: كربلاء، ويعرف أيضًا بالطفّ وعليه جبّة من خزّ دكناء، وهو ابن ستّ وخمسين سنة. قال نسّابة قريش الزبير بن بكار: وكان مولده لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وفيها كانت غزوة ذات الرّقاع، وفيها قصرت الصلاة، وفيها تزوّج النبيّ ﷺ أمّ سلمة، واتفقوا على أنه قُتِل رضي الله عنه يوم عاشوراء العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين، ويسمّى عام الحزن، وقُتِل معه اثنان وثمانون رجلًا من أصحابه مبارزةً فيهم الحسن بن يزيد؛ لأنه بارز وقُتل مع الحسين ثم قُتِل جميع بنيه إلّا عليًا المسمّى بزين العابدين، فإنه كان مريضًا فأُخِذ أسيرًا بعد قتل أبيه وقُتِل أكثر إخوة الحسين وبني أعمامه:

عين إبكي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرّسول

سبعة كلّهم لصلب عليّ ... قد أُصيبوا وتسعة لعقيل

قال الإمام جعفر الصادق: وُجِدَ بالحسين ثلاثة وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة. واختلفوا فيمن قتله، فقال يحيىٰ بن معين: أهل الكوفة، يقولون: إن الذي قتل الحسين عمر بن سعد بن أبي وقاص. قال يحيىٰ: وكان إبراهيم بن سعيد يروي فيه حديثًا أنه لم يقتله عمر بن سعد. وقال ابن عبد البرّ: إنّما نُسِبَ قتل الحسين إلى عمر بن سعد؛ لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين وأمّر عليهم عمر بن سعد، ووعد أن يوليه الريّ إن ظفر بالحسين وقتله، وكان في تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن، وكان سليمان بن قنة يقول: إن دم الحسين اشترك فيه جماعة، ولعلّهم من ذكرنا من أهل مصر واليمن، وقيل: قتله سنان بن أُويس النخعي، وقال مصعب النسّابة الثقة: قتل الحسين بن علي بن أبي سنان النخعي، وهو جدّ شريح القاضي ويصدّق ذلك قول الشاعر:

وأيّ رزيّة عدلت حسينًا ... غداة تبيره كفّا سنان

وقال خليفة بن خياط: الذي وُلّي قتل الحسين هو شمر بن ذي الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد، وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، فخرّ رأسه وأتى به إلى عبيد الله بن زياد، وقال:

أوقر ركابي فضّة وذهبًا ... إني قتلت الملك المحجّبا

قتلت خير الناس أمًّا وأبًا ... وخيرهم إن ينسبوه نسبا

انتهى. ذكره ابن عبد البرّ. وقال غيره: تولّى حمل الرأس بشر بن مالك ودخل به على ابن زياد، وهو يقول هذا الشعر، فغضب ابن زياد من قوله، وقال: فإذا علمت أنّه كذلك، فلِمَ قتلته؟ والله لا نلت مني خيرًا أبدًا ولألُحقنّك به، ثم قدَّمه فضرب عنقه. قال بعضهم: إن يزيد بن معاوية هو الذي قتل قاتل الحسين. وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ نصف النهار أشعث أغبر ومعه قارورة فيها دم يتتبعه من الأرض ويلتقطه فيها، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه من الأرض منذ اليوم. قال عمار بن ياسر: فحفظنا ذلك اليوم، فوجدنا الحسين قد قُتِل ذلك اليوم.

قال الإمام القرطبي: وهذا سند صحيح لا مطعن فيه.

قال ابن عباس: وساق القوم حرم رسول الله ﷺ في ذلك اليوم كما تساق الأسارى حتى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون إليهم، وكان في الأسارى يومئذ عليّ بن الحسين رضي الله عنهما، وكان شديد المرض قد جُمِعت يده إلى عنقه وزينب بنت عليّ من فاطمة الزهراء وأُختها أُمّ كلثوم وفاطمة وسكينة بنتا الحسين وساق الفسقة معهم رؤوس القتلى، وكان محمّد بن الحنفية رضي الله عنه يقول: قُتِل مع الحسين بن عليّ ستّة عشر رجلًا كلّهم من ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول: قُتِل مع الحسين بن عليّ ستة عشر رجلًا من أهل بيته لم يكن على وجه الأرض لهم شبيه. وقال غيره: إنه قتل مع الحسين بن عليّ من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلًا، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: أُتي برأس الحسين إلى عبيد الله بن زياد، فجُعِل في طشتٍ، فجَعَل ينكت فيه ويقول في

حسنه شيء، وكان أنس يقول: كذب عبيد الله بن زياد، كان الحسين أشبه الناس برسول الله ﷺ وكان مخضوبًا بالوسمة.

قال أهل اللغة: ومعنى ينكت، أي: أي يضرب الرأس بالقضيب الذي في يده حتى يؤثر فيه.

قال أصحاب السِّير: ثم أمر عبيد الله بن زياد من فوره بالرأس حتى يُنصب في الرِّيح، فتحاماه أكثر الناس، فقام رجل يقال له طارق بن المبارك، بل هو المشؤوم الملعون المذموم، فقوّره ونصبه بباب ولد عبيد الله بن زياد، ونادى في الناس ثم جمعهم في المسجد الجامع وخطب بهم خطبة لا يحلّ لمسلم ذكرها، ثم دعا بزياد بن حرّ الجعفي فسلّم إليه رأس الحسين ورؤوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه، ودعا بعليّ بن الحسين فحمله وحمل عمّاته وأخواته إلى يزيد على بعير وطيء والناس يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل حتى قَدِموا دمشق، فأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السّبي، ثم وضع الرأس المكرّم بين يدي يزيد، فأمر أن يجعل في طشت من ذهب وجعل ينظر إليه ويقول:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة ... وأسيافنا يقطعن كفًّا ومعصما

فـفـلـق هـامًـا مـن رجـالٍ أعـزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

ثم تكلّم بكلامٍ قبيح وأمر بالرأس أن تُصلب بالشام، ولما رأى خالد بن عبيد الله ذلك قال:

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمّد ... مـتـزمّـلًا بـدمـائـه تـزمـيـلا

وكأنّما بك يا ابن بنت محمد ... قتلوا جهارًا عامدين رسولا

قـتـلوك عطشانًا ولـم يـترقَّـبوا ... في قتلك التَّنزيل والتأويلا

ويـكـبـرون بـأن قـتـلـت وإنـمـا ... قـتـلـوا بـك الـتـكـبير والـتّـهـلـيـلا

وكان خالد هذا من أجلّ عباد التابعين، وقد اختفى شهرًا وهم يطلبونه ليقتلوه فلم يظفروا به. واختلف الناس في موضع الرأس المكرّم وأين حُمِل من البلاد، فروى الحافظ أبو العلاء الهمداني أنّ يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة مع أقوامٍ بني هاشم وضمّ إليهم جماعة من موالي أبي

سفيان، وبعث بنقل الحسين ومن بَقِيَ من أهله معهم ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلّا وقد أمر لهم بها، وكان الذي تلقّى رأس الحسين بالمدينة حين قَدِموا بها عمر بن سعيد بن العاصي، وهو إذ ذاك عامل على المدينة ليزيد، فقال عمر: وددتُ أنه لم يُبْعَث به إليّ، ثم أمر عمر بن سعيد برأس الحسين فكُفِّن ودُفِن بالبقيع عند قبر أُمّه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما.

قال الإمام القرطبي: وهذا أصحّ ما قيل به، وبه قال الزبير بن بكّار الذي هو أعلم بالأنساب.

وقال الإمامية: إن الرأس أُعيد إلى الجثّة بكربلاء بعد أربعين يومًا.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: وما ذُكِرَ من أنّه دُفِن بعسقلان في المشهد المعروف بها أو بالقاهرة، فهو شيء باطل لا يصح، انتهى.

قلت: قد ثبت أن طلائع ابن رزيك الذي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فتلقّاها من خارج مصر حافيًا مكشوف الرأس هو وعسكره، وهي في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسي من خشب الآبنوس ومفروش هناك نحو نصف أردبّ من الطِّيب، كما أخبرني بذلك خادم المشهد، ومما وقع لي أنّني قلت لسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي مفتي المسلمين رضي الله عنه: أترى أن تزور معنا رأس الحسين في المشهد بخان الخليلي؟ فقال: إنه لم يثبت كون الرأس هناك، فقلت له: نزوره بالنيّة على تقدير صحة ذلك، فقال: نعم؛ فلما دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ: اجلس مراقبًا بقلبك للرأس، فجلس متخيّلًا لها في ذهنه، فحصل له ثقل رأس فنام، فرأى نقيبًا مشدود الوسط قد خرج من القبر، فما زال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبي وعبد الوهاب الشعراني يزوران رأس ولدك الحسين، فقال ﷺ: «**تقبّل الله منهما**»، انتهى. فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه، وقال: آمنت وصدّقت بأن الرأس هنا. وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات، فزُرْ يا أخي هذا المشهد بالنِّيّة الصالحة إن لم يكن عندك كشف.

فقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: إن دفن الرأس في مصر باطل صحيح في أيام القرطبي، فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبي، فافهم والله تعالى أعلم.

قال الإمام القرطبي: وقد قتل الله تعالى قاتل الحسين المسمّى شمرًا أشدّ قتلة وقاسى حزنًا طويلًا، وأُلقي رأسه المذموم في الموضع المذموم في الموضع الذي كان أُلقي فيه رأس الحسين رضي الله عنه، وذلك بعد قتله الحسين بستّة أعوام، وبعث المختار به إلى المدينة فوُضِع بين يدي بني الحسين رضي الله عنهم، وكذلك ضُرِبت أعناق عمر بن سعد وأصحابه وماتوا شرّ قتلة، وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول: لو لم يكن على قاتل الحسين من الإثم والمقت لا إغضاب رسول الله ﷺ لكان في ذلك كفاية. ثم إنه رضي الله عنه يحلف ويقول: والله لو أنه كان لي في دم الحسين مدخل وخُيِّرت بين دخول الجنّة والنار، لاخترت النار خوفًا أن يراني رسول الله ﷺ في الجنّة فينظر إليّ نظرة غضب، انتهى.

وروى الترمذي عن عمارة بن عمر، قال: لمّا جِيءَ برأس عبيد الله بن زياد وأُلقيت تلك الرؤوس في رحبة المسجد صار كل مَن دخل يقول: خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا دنياهم وآخرتهم. ثم تباكى الناس حتى انتحبوا من البكاء على الحسين وأولاده وأصحابه؛ فبينما الناس كذلك، إذ جاءت حيّة سوداء فدخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت، فغابت ثم جاءت فدخلت منخريه ثانيًا حتى فعلت ذلك ثلاث مرات من بين تلك الرؤوس، والناس يقولون: قد خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا.

قال العلماء: وكان ذلك مكافأة له على ما فعل برأس الحسين، وهي من علامات العذاب الظاهر الذي حلّ به فضلًا عن العذاب الباطن. ثمّ إنّ الله تعالى سلّط المختار على أصحاب عبيد الله كلّهم فقتلهم أشرّ قتلة حتى أوردهم النار. وذلك أنّ الأمير مذحج بن إبراهيم بن مالك لَقِيَ عبيد الله بن زياد على خمسة فراسخ من الموصل، وعبيد الله في ثلاثة وثمانين ألفًا وإبراهيم في أقلّ من عشرين ألفًا، فتطاعنوا بالرّماح وتراموا بالسهام وتضاربوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام، فنظر إبراهيم إلى رجل عليه بردة حسنة ودرع سابغة وعمامة من خزّ

دكناء وديباجة خضراء من فوق الدرع، وقد أخرج يده من الدِّيباجة ورائحة المسك تفوح منه وفي يده صحيفة مذهّبة، فقصده الأمير إبراهيم لا لشيء وإنّما هو ليأخذ من يده تلك الصحيفة مع الفرس الذي تحته؛ فلما قَرُب منه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه، فتناول الصحيفة وفرّ الفرس فلم يقدر عليه. وكان الناس لا يُبصر بعضهم بعضًا من شدّة الظلمة، فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى، فأصبح الناس وقد فقدوا من أهل العراق ثلاثة وسبعين رجلًا، وقُتِل من أهل الشام سبعون ألفًا؛ فلما أصبح الناس وجدوا فرس عبد الله فردّوه إلى الأمير إبراهيم، وعلم أنّ الذي كان قتله في الظلمة هو عبيد الله بن زياد، فكبّر الأمير إبراهيم وخرّ ساجدًا لله عزّ وجلّ، وقال: الحمد لله الذي أجرى قتله على يديّ، ثم بعث به إلى المختار ومع الرأس سبعون ألف رأس، ذكره الحافظ أبو الخطّاب بن دحية رحمه الله.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ومثل ما فُعِلَ بعبيد الله بن زياد كذلك فُعِل ببشر بن أرطاة العامري الذي هتك الإسلام وسفك الدَّم الحرام وقتل أهل بيت رسول الله ﷺ ولم يرع له الذِّمام، وذبح ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أُمّهما يمرحان، وهما قثم وعبد الرحمٰن، فذُهِل عقل أُمّهما وصارت كالمجنونة. وروى ابن أبي شيبة في مسنده أنّ معاوية أرسل بشر بن أرطاة في جيش عظيم بعد تحكيم الحكمين، فساروا من الشام حتى قدموا المدينة، وعامل المدينة يومئذ من جهة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، ففرّ أبو أيوب الأنصاري ولحق بعليّ رضي الله عنه، ودخل بشر المدينة فصعد منبرها وقال: أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس؟ - يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه - ثم قال: والله يا أهل المدينة لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركت المدينة محتلمًا إلا قتلته، ثم أمر أهل المدينة أن يُبايعوا لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة، وقال: ما لكم عندي أمان ولا سابقة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فأُخبر بذلك جابر فانطلق حتى دخل على أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ، فقال: يا أُمّاه إنهم يطلبون أن أُبايع لمعاوية، فقالت له: أرى أن تُبايع وإلّا قتلوك، فقال: هذه بيعة

ضلالة، ثم إنّ جابرًا أتى بشرًا وبايعه لمعاوية وهدم بشر دورًا كثيرة بالمدينة، ثم انطلق حتى أتى مكّة وبها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، فخاف أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب، فقيل ذلك لبشر، فقال: ما كنت لأقتله بعد أن خلع عليًّا، فلم يطلبه بشر بعد ذلك، ثم كتب أبو موسى إلى اليمن: إنّ خيلًا مبعوثة إليكم من معاوية لينذر أصحاب عليّ وعامله باليمن، فقَبِل الناس من أبي موسى ذلك، ثم مضى بشر إلى اليمن، وكان عامل عليّ فيها عبيد الله بن العباس، فلما بلغه أمر بشر فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليًّا واستخلف على المدينة عبد الله بن المدائني الحارثي، فأتى بشر فقتله وقتل معه ابنه ورجع إلى الشام.

قال أبو عمرو الشيباني: ولمّا وجّه معاوية بشرًا إلى قتل شيعة عليّ رضي الله عنه سار حتى أتى المدينة، فقتل ابني عبيد الله بن العباس، وفرّ أهل المدينة حتى دخلوا الحَرَّة ـ حرّة بني سليم ـ ثم في هذه السفرة أغار بشر على همدان، فقتل رجالهم وسبى نساءهم، فكنّ أوّل نساء سُبِينَ في الإسلام، وقتل خلقًا كثيرًا من أحياء بني سعد وربطوا الخيل في مسجد رسول الله ﷺ، وراثت الخيل بين القبر والمنبر، وأُزيلت بكارة نحو ألف بكر.

قال العلماء: وأرسل معاوية بشرًا إلى اليمن في سنة أربعين، وعليها عبيد الله بن العباس أخو عبد الله بن العباس رضي الله عنهم، فلما فرّ عبيد الله أقام بشر على اليمن وباع دينه بأبخس ثمن وذبح ولدي عبيد الله بن العباس وباع المسلمات وهتك الحرمات، ولما بعث عليّ إليه حارثة بن قدامة الأشعري هرب بشر إلى الشام ورجع عبيد الله بن عباس إلى بلاد اليمن، ولم يزل واليًا بها حتى قُتِل عليّ رضي الله عنه.

قال أحمد بن حنبل وغيره من الأئمّة: ولم يثبت لبشر هذا صحبة مع رسول الله ﷺ؛ لأن رسول الله ﷺ قد قُبِض وبشر صغير، قالوا: وخرف بشر في آخر عمره، وكان رجل سوء، انتهى. قال ابن دحية: وكانت خاتمته خاتمة سوء بدعوة عليّ رضي الله عنه، فإنه لمّا بلغه أنه ذبح ابني عبيد الله بن عباس، قال: اللّهمّ أطل عمره وأذهب عقله، فاستجاب الله تعالى دعاء عليّ فيه، وكانت له أخبار سوء في جانب عليّ وأصحابه رضي الله عنهم.

قال ابن دحية: ولمّا ذبح الصغيرين وفقدت أُمّهما عقلها كانت تقف في الموسم وتُنشد الأشعار التي تهيّج الأحزان وتُبكي العيون حتى ينتحب الناس. ورُوِيَ أن السيدة سكينة أخت الحسين أخرجت رأسها من الخباء فوق الجمل، وأنشدت تقول:

ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم؟
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ووجدوا حجرًا قديمًا من أيام الجاهلية مكتوبًا عليه:

أترجو أُمّة قتلت حسينًا ... شفاعة جدّه يوم الحساب

ورُوِيَ أنه قُتل بسبب زكريا عليه الصّلاة والسّلام لما قتل سبعون ألفًا، وقتل بسبب الحسين سبعمائة ألف أو كما قال، انتهى. وروى الحافظ أبو نعيم أن الفسقة لما قتلوا عليًّا الأكبر ولد الحسين طلبوا زين العابدين الذي هو عليّ الأصغر ليقتلوه، فوجدو مريضًا فتركوه، وكان عمره حين قتلوا أخاه ثلاث عشرة سنة، ثم إنهم قتلوه بعد ذلك بمدّة وحملوا رأسه إلى مصر في مشهده قريبًا من مجراة القلعة من نيل مصر رأيته مكتوبًا على قبره بخطٍّ قديم وعنده رأس السيّد زيد أخيه وبالقرب منهما مما يلي جامع القرّاء قبر الإمام الحسن أخي زين العابدين والد السيدة نفيسة كما هو مكتوب في عمود رخام موضوع على رأس القبر، وإنّما يقول الناس عن السيّدة نفيسة: يا بنت زين العابدين، لكونه ربّاها حين قُتِل أبوها وإلّا فهو عمّها لا أبوها، وممّن علمناه من أهل البيت الذين أُخرجوا من ديارهم إلى مصر السيّدة سكينة أخت الإمام الحسين المدفونة عند حارة المخللاتية بالقرب من المراغة، والسيد محمد الأنور أخو زين العابدين بالقرب منهما مما يلي جامع ابن طولون والسيّدة زينب ابنة الإمام عليّ بجوار قناطر السّباع، ورأيت سيدي عليًّا الخواص يخلع نعله من القنطرة ويمشي حافيًا حتى يُجاوز قبرها.

وكذلك مما علمناه دخل مصر من أولاد السيد عليّ السيدة أُمّ كلثوم والسيّدة فاطمة المدفونتان على رأس الزقاق الذي يُدخل منه إلى قبر الإمام

الليث بن سعد، والسيدة رقية المدفونة بالقرب من جامع شجرة الدرّ بالقرب من دار الخليفة أمير المؤمنين العباسي، وقيل: إنها من إماء السيد عليّ لا من بناته. وكذلك ممن علمناه دخل مصر من أهل البيت السيّدة عائشة بنت جعفر الصادق المدفونة بجوار باب القرافة، وعلى باب تربتها منارة قصيرة. وكذلك ممّن علمناه دخل مصر من أهل البيت رأس الإمام إبراهيم ابن الإمام زيد المدفونة خارج المطرية.

وممّن علمناه دُفِن من أهل البيت بمصر بإجماع السيدة نفيسة، وإنما اختلفوا في تعيين قبرها. قال شيخنا سيدي علي الخوّاص رحمه الله: والحقّ أنها دُفِنت بالمراغة تجاه القبرين الطويلين في الشارع بالقرب من باب القرافة مما يلي جامع ابن طولون، ولكنها ظهرت في المكان الذي هي فيه الآن، وكانت تعبد الله تعالى فيه حال حياتها، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يصلّي بها التراويح في رمضان فيه، فلتعلّق قلبها به ظهرت منه وخاطبت أهل الكشف منه؛ لأن القبر الذي هو باب البرزخ إذا نزل فيه الميت كان حكمه حكم من دُلِّي في تيار البحر، فتارة يطفو من قريب، وتارة من بعيد، وقد طفت السيدة نفيسة من هذا الموضع الذي هي فيه الآن، ثم إذا نُفِخ في الصور وبُعْثر ما في القبور طلعت من المراغة من المحل الذي أنزلوها القبر منه، وفي ذلك جمعٌ بين الأقوال، والحمد لله ربّ العالمين.

باب أسباب الفتن والمحن والبلاء

روى الحافظ أبو نعيم: أن جبريل أتى النبيّ ﷺ فقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال النبيّ ﷺ: إنا لله وإنا إليه راجعون، فممّ ذلك؟ قال: إن أُمّتك ستُفتن بعدك بقليل زمان من دهرك غير كثير، فقلت: فتنة كفر أو فتنة ضلال؟ فقال: كل ذلك سيكون، فقلت: من أين؟ وإنما فيهم كتاب الله تعالى؟ فقال: بكتاب الله تعالى يُفتنون، وذلك من قِبَل أُمرائهم وقرّائهم، يمنع الأُمراء القرّاء الحقوق، فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها، فيقتتلون ويفتتنون، ويتبع القرّاء أهواء الأمراء فيمدّونهم في الغيّ ثم لا يقصرون، فقلت: يا جبريل، فكيف يسلم من يسلم؟ فقال: بالكفّ والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوا تركوه**».

وروى البزار وابن ماجه[١] عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان، ولا منعوا زكاة أموالهم إلّا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلّا سلّط الله عليهم عدوّهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، ولا ترك أئمّتهم الحكم بكتاب الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم**». وكان عطاء الخراساني رضي الله تعالى عنه يقول: إذا كان خمس كان خمس، إذا أكلوا الرّبا كان الخسف والزلازل، وإذا جار الحكّام قُحط المطر، وإذا ظهر الزّنا وأعلنوا به كان الموت وكَثُر في الناس، وإذا مُنِعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا تعدّى على أهل الذّمة كانت الدولة. وروى الترمذي[٢] عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مشت أُمّتي المطيطاء وخدمتهم أبناء فارس والروم سلّط شرارهم على خيارهم**»، والمطيطاء التبختر في المشي.

وروى ابن ماجه[٣] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيّروه أوشك أن يعمّهم الله بعذاب**». وروى مسلم[٤] أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فتح عليكم فارس والروم تنافستم وتحاسدتم وتدابرتم وتباغضتم، ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**». وروى مسلم[٥] أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما أتى أبو عبيدة بمال البحرين: «**أبْشِروا وأمّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسِطت على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»، وفي رواية: «**فتلهيكم كما ألهتهم**».

وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرّجال من النساء**»[٦]. وروى ابن ماجه[٧] أن رسول الله ﷺ: «**ما من صباح إلّا**

(١) كتاب الفتن باب ٢٢.
(٢) كتاب الفتن باب ٧٤.
(٣) كتاب الفتن باب ٢٠.
(٤) كتاب الزهد حديث ٤.
(٥) كتاب الزهد حديث ٦.
(٦) أخرجه البخاري في النكاح باب ١٧، والترمذي في الأدب باب ٣١.
(٧) حديث ٣٩٩٩.

وملكان يناديان: ويلٌ للرجال من النساء، وويلٌ للنساء من الرجال». وروى البخاري[١] أنّ رسول الله ﷺ قام خطيبًا وكان فيما قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها وناظر كيف تعملون، ألا فاتّقوا الله واتّقوا النساء**»، وأخرجه مسلم[٢] أيضًا. وفي رواية له: «**فاتّقوا النار واتّقوا النساء، فإنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

وروى الترمذي[٣] أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل أُمّة فتنة، وإن فتنة أُمّتي المال**». وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن**»[٤]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية

روى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عزّ وجلّ يقول: أنا الله لا إلـه إلّا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك في يدي، وإن العباد إذا أطاعوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد إذا عصوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذِّكر والتضرّع إليّ أكْفِكم ملوككم**»[٥] اهـ. فاعلموا ذلك واعملوا به، والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب ٤٧، ٥٠. (٢) كتاب الزكاة حديث ٩٦.
(٣) حديث ٢٣٣٦. (٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/٣٧١، ٤٤٠.
(٥) أخرجه بنحوه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٣/١٤٧.

أبـواب الملاحـم

باب أمارات الملاحم

روى أبـو داود[1] عـن مـعـاذ بـن جـبـل رضـي الله عـنـه قـال: قـال رسول الله ﷺ: «**إن عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجّال**». وروى البخاري[2] عن عوف بن مالك: أتيت النبيّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبّة أُدم، فقال: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلّ ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلّا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفًا**». والغاية: هي الراية، كما سيأتي في الباب بعده، والله أعلم.

باب ما ذُكِر في ملاحم الروم وتواترها وتداعي الأُمم على أهل الإسلام

فيه الحديث السابق آخر الباب قبله. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**ستصالحكم الروم صلحًا آمنًا ثم تغزون أنتم وهم عدوًّا فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع الرجل بين أهل الصليب الصليب فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه، فعند ذلك يغزو الروم ويجتمعون للملحمة، فيأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا**»، زاد أبو داود: «**وتثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيُكرم الله تعالى تلك العصابة بالشهادة**». وفي رواية أخرى لأبي

(١) كتاب الملاحم باب ٣.

(٢) كتاب الجزية باب ١٥.

داود[١] وغيره أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر**». وفي رواية لابن ماجه والترمذي: «**بين الملحمة وفتح المدينة ستّ سنين، وخروج الدجال في السابعة**»[٢]. وروى مسلم[٣]: أن ريحًا حمراء هاجت بالكوفة، وهناك عبد الله بن مسعود، فأتاه رجل فقال: جاءت الساعة، فقال ابن مسعود: إن الساعة لا توم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح لغنيمة. ثم قال بيده هكذا، ونحا بها نحو الشام، وقال: عدوّ يجتمعون لأهل الإسلام ويجتمع لهم أهل الإسلام، فقلت له: الروم تعني؟ قال: نعم. قال: ويكون عند ذلك القتال ردّة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتلون ويقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسي، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهض إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة لم يُرَ مثلها حتى إن الطير ليمرّ بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخرّ ميتًا، فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بَقِيَ منهم إلا الرجل الواحد، فبأيّ غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك فجاءهم الصريخ، فقال: إن الدجّال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ـ أو قال ـ من خير فوارس يومئذ**».

وروى أبو داود[٤] عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشك الأُمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: من قلّة نحن يومئذ؟ فقال: «**بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيف، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة وليقذفنّ في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حبّ الدنيا وكراهة الموت**»، وبنو الأصفر هم الروم، وسمّوا

---

(١) كتاب الملاحم باب ٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن باب ٥٨، وابن ماجه في الفتن باب ٣٥.

(٣) كتاب الفتن حديث ٣٧. (٤) كتاب الملاحم باب ٥.

بذلك لنسبتهم إلى بني الأصفر من الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وقيل غير ذلك.

وفي حديث حذيفة الطويل: «**إن الله تعالى يُرسل إلى المهدي في الصلح ملكًا يقال له: ضمارة صاحب الملاحم، وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ولا يبقى لروميّ حركة ويكسرون لهم الصليب، ثم يرجع المسلمون إلى دمشق، فبينما الناس كذلك إذا برجلٍ من الروم قد التفت، فرأى أبناء الروم وبناتهم في القيود والأغلال، فتعزّ نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته، ويقول: ألا مَنْ كان يعبد الصليب فلينصره، فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب، ويقول: الله أغلب وأعزّ وأنصر، فحينئذٍ يغدرون وهم أولى بالغدر، فيجمعون عند ذلك ملوك الروم في بلادهم خفية، فيأتون إلى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون، والمسلمون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة، فإنهم مقيمون على الصلح، فيأتون إلى أنطاكية في اثني عشر ألف راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا، فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بأنطاكية نصرانيّ إلّا ويرفع الصليب؛ فعند ذلك يبعث المهدي إلى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يعرفهم بخروج الروم وجمعهم، ويقول لهم: أعينوني على جذاذ عدوّ الله وعدوّكم، فيبعث إليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدوّ من خراسان على ساحل الفرات وحلّ بنا وأشغلنا عنك، فيأتي إليه بعض أهل الكوفة والبصرة، فيخرج المهدي ومعه المسلمون إلى لقائهم فيأتي الرّوم إلى دمشق، فيكونون عليها أربعين يومًا فيسدّون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار. ثم إنّ الله تعالى ينزل صبره ونصره على المسلمين، فيخرجون إليهم فتشتدّ الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير، فيا لها من وقعة ومقتلة ما أعظمها وأعظم هولها، ويرتدّ من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهد وغسان وطيء، فيلحقون بالروم وينتصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم. ثم إن الله تعالى ينزل الصبر والنصر والظفر على المسلمين، فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل في دمائهم وتشتعل الحرب بينهم، حتى إن الحديد يقطع بعضه بعضًا، وإن الرجل**

من المسلمين ليطعن العلج بالسفود فيقدّه وعليه الدرع من الحديد، فيقتل المسلمون من المشركين خلقًا كثيرًا حتى تخوض الخيل في الدماء، وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين، وذلك رحمة من الله تعالى لهم؛ فلعصابة المسلمين يومئذ خير خلق الله تعالى. وأمّا المخلصون من عباد الله، فليس لهم مارد ولا مارق ولا شارق ولا مرتاب ولا منافق. ثمّ إنّ المسلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن، فتقع أسوارها بقدرة الله تعالى، فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويَسْبون النساء والأطفال وتكون أيام المهدي أربعين سنة: عشرة منها بالمغرب، واثنتا عشرة سنة بالمدينة، واثنتا عشرة سنة بالكوفة، وستّة بمكة، وتكون منيّته فجأة؛ فبينما الناس كذلك إذ تكلّم الناس بخروج الدجّال»، وسيأتي من أخبار المهدي ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى، والحمد لله ربّ العالمين.

باب ما جاء في قتال الترك

روى البخاري[١] عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين، كأنّ وجوههم المجانُ المطرقة نعالهم الشعر**». وفي رواية لمسلم[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**تقاتلون بين يدي الساعة قومًا نعالهم الشعر**»، وفي رواية: «**يلبسون الشعر ويمشون في الشعر**»[٣] رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وفي رواية لابن ماجه[٤]: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين عراض الوجوه، كأنّ أعينهم حدق الجراد كأنّ وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتّخذون الدرق ويربطون خيولهم بالنخيل**»، وفي رواية لأبي داود[٥]: «**يقاتلونكم قوم صغار الأعين**» يعني الترك «**تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم**

(١) كتاب الجهاد باب ٩٥، ٩٦، والمناقب باب ٢٥.
(٢) كتاب الفتن حديث ٦٢.
(٣) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٦٥، وأبو داود في الملاحم باب ٨، والنسائي في الجهاد باب ٤٢.
(٤) كتاب الفتن باب ٣٦. (٥) كتاب الملاحم باب ٨.

بجزيرة العرب، فأمّا في السياقة الأُولى فينجو من هرب منهم. وأمّا في الثانية، فينجو بعض ويهلك بعض. وأمّا في الثالثة فيصطلحون».

قال الإمام القرطبي: والترك هم بنو قنطوراء، كما في رواية. وقنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم عليه الصّلاة والسّلام ولدت له أولادًا من نسلهم كان الترك، وقيل: هم من ولد يافث، وهم أجناس كثيرة منهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم في رؤوس الجبال والبراري والشِّعاب ليس لهم غير الصيد، ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم في مصران فأكله، وكذلك يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين، ومنهم مَنْ كان على دين المجوسية.

وقال وهب بن منبه: الترك بنو عمّ يأجوج ومأجوج، والله تعالى أعلم.

وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال: «**يُوشك الله تعالى أن يملأ أيديكم من العجم، ثم يجعلهم أشدّاء لا يفرّون منكم، فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم وغنائمكم**»[1]، والله تعالى أعلم والحمد لله ربّ العالمين.

باب منه وفيما جاء في البصرة وبغداد واسكندرية وما جاء في فضل الشام وأنه معقد الملاحم، أي مستقرّها وموضعها

روى أبو داود الطيالسي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لتنزلنّ طائفة من أُمّتي أرضًا يقال لها البصرة ويكثر فيها عددهم وخيلهم، ثم تجيء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار العيون حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له دجلة، فيتفرّق المسلمون ثلاث فرق: فرقة تأخذ بأذناب الإبل، فتلحق بالبادية فتهلك. وفرقة تأخذ على أنفسها وتكفر، فهذه وتلك سواء. وفرقة جعلت عيالهم خلف ظهورهم وقاتلوا عنهم، فقتيلهم شهيد**»، قال: «**ويفتح الله على بقيّتهم**»[2].

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٩، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٩٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٥.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُبنى مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بني العباس، وهي الزوراء، يكون فيها حرب مقطعة تُسبى فيها النساء ويُذبح فيها الرجال كما تُذبح الغنم**»، فقيل لعليّ: يا أمير المؤمنين لم سمّاها رسول الله ﷺ بالزوراء؟ فقال: لأن الحرب يزور في جوانبها حتى يطبقها[(١)] . اهـ.

قلت: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوّة، فقد قتل التتار من أهل بغداد حين دخولهم فيها نحو خمسمائة ألف إنسان، وهي المرّة التي استقر خرابها عليها إلى الآن، فبذلك كوشف الشيخ نجم الدين الشهيد، فإنهم سألوه أن يسأل الله في تخميد الفتنة، فقال: هذه فتنة لا تُخمد إلا بعد قتل ثلث أهل بغداد، قال: وأوّل ما يضرب فيها عنقي ثم عنق فلان ثم فلان حتى عدّ جماعة، فكان الأمر كما قال، وكان وقع بينه وبين بعض العلماء مجادلة في أن محل العقل في الرأس أو في القلب، فقال لأصحابه: إذا قطعت رأسي فطأطأت وأخذت رأسي ومشيت بها، فاعلموا أن العقل في القلب لا في الرأس، فلما ضربوا عنقه طأطأ وأخذ الرأس ومشى بها ثم وقع في مكان دفنه الآن، هكذا أخبرني شيخي الإمام المحدّث الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري رحمه الله، والله تعالى أعلم.

وذكر ابن وهب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّه قيل له بالإسكندرية: إن الناس قد فزعوا، فأمر بسلاحه وفرسه، فجاءه رجل فقال: من أين هذا الفزع؟ فقال: سفر تراب من ناحية قبرس، فقال: انزعوا عن فرسي، فقلنا له: أصلحك الله إنّ الناس قد ركبوا، فقال: ليس هذه ملحمة الإسكندرية، إنما يأتون من ناحية المغرب من نحو طرابلس، فتأتي مائة ثم مائة حتى عدّ تسعمائة.

وروى الوائلي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنّه قال: وجدت في كتاب الله المُنْزل على موسى بن عمران عليه الصّلاة والسّلام أن للاسكندرية شهداء يستشهدون في بطحائها خير من مضى وخير من بقي، وهم الذين يباهي الله تعالى بهم شهداء بدر، انتهى.

---

(١) أخرجه القاضي عياض في الشفاء ١/ ٦٧٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٨٧٢٥.

وروى البزار عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احْتُمِل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري، فعُمِد به إلى الشام. إلا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»**. وفي رواية: عمود الإسلام بدل عمود الكتاب.

قال الإمام القرطبي: ولعلّ هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله تعالى أعلم.

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ استيقظ من منامه فزعًا، فقالت له عائشة رضي الله تعالى عنها: يا رسول الله ما لي أراك فزعًا؟ فقال: **«سلّ عمود الإسلام من تحت رأسي، ثم رميت ببصري فإذا هو غرز في وسط الشام، فقيل لي: يا محمّد إنّ الله تعالى اختار لك الشام وجعلها لك محشرًا ومنعة وعزًّا»**[(١)].

ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ قال: **«من أراد الله به خيرًا أسكنه الشام وأعطاه نصيبه منها، ومن أراد به شرًّا أخرجه منها»**[(٢)]. ورُوِيَ أنّ الله تعالى عزّ وجلّ قال للشام: **«أنت صفوتي من أرضى وبلادي أسكنتك خيرتي من خلقي، وإليك المحشر من خرج منك رغبة عنك، فإنما ذلك بسخط مني عليه، ومن دخلك رغبة فيك، فإنما ذلك رضًا مني عليه»**.

وروى أبو داود[(٣)] عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: **«فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام»**. وروى ابن أبي شيبة أنّ رسول الله ﷺ قال: **«معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال بيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور»**[(٤)]. وروى ابن ماجه[(٥)] أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشًا من الموالي هم أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيّد الله بهم الدين»**، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٥٠٥، ٣٨٢٢٦.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) كتاب الملاحم باب ٦.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦٢، وابن أبي شيبة ٥/ ٣٢٤.

(٥) كتاب الفتن باب ٣٥.

باب ما جاء في المدينة ومكّة وخرابها

روى مسلم[١] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تبلغ المساكن إهاب»**، قيل لزهير: وما إهاب؟ فقال: سألت عنه سهيلًا، فقال: هو من المدينة على كذا وكذا ميلًا. وروى أبو داود[٢] عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح»**. قال الزهري: وهو مكان قريب من خيبر. وروى مسلم[٣] عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي»** يعني السّباع والطير **«ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما»**، وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى قيام الساعة، فما منه شيء إلّا وقد سألته عنه إلّا أني لم أسأله عمّا يخرج أهل المدينة من المدينة؟ زاد في رواية لابن أبي شيبة عن أبي هريرة مرفوعًا: **«يُخرجهم منها أُمراء السوء»**، وفي رواية أخرى: **«يخرج أهل المدينة من المدينة ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تملأ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدًا»**، قيل: فمن يأكل رطبها وبسرها؟ قال: **«الطير والسّباع»**.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: **«والذي نفسي بيده ليكوننّ بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد»**. وعن الشيباني قال: لتخربنّ المدينة والفتوة قائمة.

وروى مسلم[٤] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يخرّب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة»**. وروى البخاري[٥] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«كأني به أسود أفحج يقلعها ـ يعني الكعبة ـ حجرًا حجرًا»**. وفي حديث حذيفة الطويل: **«كأني بحبشي أفحج الساقين أزرق العينين أفطس**

---

(١) كتاب الفتن حديث ٤٣.

(٢) كتاب الفتن باب ١، والملاحم باب ٧. (٣) كتاب الحجّ حديث ٤٩٩.

(٤) كتاب الفتن حديث ٥٧، ٥٨، ٥٩. (٥) كتاب الحجّ باب ٤٧، ٤٩.

الأنف كبير البطن وأصحابه يقضونها» يعني الكعبة **«حجرًا حجرًا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر»**، وكان أبو عبيد القاسم بن سلام رضي الله عنه يقول: استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصعل أصمع خمش الساقين قاعد عليها وهي تُهدم. والأصعل: صغير الرأس، والأصمع: صغير الأذن.

وروى أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: **«يبايع رجل بين الرّكن والمقام، وأوّل من يستحلّ هذا البيت أهله، فإذا استحلّوه فلا تسأل عن هلاك العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده، وهم الذين يستخرجون كنزه»**. وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«المدينة كالكير تنفي خبثها»**[1]، وفي رواية: **«لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد»**، ورواه مسلم وغيره أيضًا.

وذكر الحليمي أن هدم الكعبة يكون في زمن عيسى عليه الصّلاة والسّلام يأتيه الصراخ بأن ذا السويقتين الحبشي قد سار إلى الكعبة يهدمها، فيرسل له عيسى طائفة ما بين الثمان إلى التسع. وقال بعضهم: إنّ ذلك يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، وذلك بعد موت عيسى، فالله تعالى أعلم بحقيقة الحال. ورُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ أراد لأهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»**[2]. وفي الحديث: **«لا يصبر أحد على المدينة ولأوائها وشدّتها إلا كنت له شفيعاً»** أو قال: **«شهيدًا يوم القيامة»**. وفي الحديث: **«من استطاع أن يموت بالمدينة فيلمت، فإني أشفع لمن مات بها»**[3].

قال الإمام القرطبي: وما ورد من الحثّ على سكنى المدينة إنما محلّه قبل توارد الفتن والأهوال عليها كما في حياته ﷺ، أمّا بعدها فلا حرج على المؤمن في خروجه منها، والله تعالى أعلم. فقد خرج منها كثير من الصحابة كما هو مذكور في كتب التواريخ.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ٢، ١٠، ومسلم في البرّ حديث ٥٣.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي حديث ٣٩١٧، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١٧٩.

قال الإمام القرطبي: وقد وقع ما أخبر به النبيّ ﷺ من خراب المدينة لما ارتحل أهلها منها وتحوّلت الخلافة إلى الشام، وكانت معقل الخلافة، فوجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة في جيشٍ عظيم من أهل الشام، فنزل بالمدينة وقاتل أهلها حتى هزمهم وقتلهم بحرّة المدينة قتلًا ذريعًا واستباح المدينة ثلاثة أيام، فسُمِّيت وقعة الحرّة، وذكر أهل الأخبار أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها للطير والسّباع، كما أخبر رسول الله ﷺ ثم تراجع الناس إليها، وفي حال خلائها عدت الكلاب على سواري المسجد، وفي رواية عن كعب الأحبار قال: ليغشينّ أهل المدينة أمر يُفزعهم حتى يتركوها وهي مذلّلة - يعني بالثمار - حتى تبول السنانير على قطائف العنب ما يردّها عن ذلك أحد، وحتى تمشي الثعالب في أسواقها ما يروّعها أحد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمّى بالمهدي وعلامة خروجه

روى مسلم[1] عن أبي نضرة، قال: كنا جلوسًا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ فقال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يُوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينار ولا مدى - أي مدّ - قلنا له: من أين ذاك؟ فقال: من قِبَل الروم، ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أُمّتي خليفة يحثي المال حثيًا ولا يعدّه عدًّا**»، قيل لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ قالا: لا.

وروى أبو داود[2] عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ عن النبيّ ﷺ: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكّة فيأتيه ناس من أهل مكّة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيضاء بين مكّة والمدينة، فإذا رأى الناس**

(١) كتاب الفتن حديث ٦٧، ٦٨. (٢) كتاب المهدي باب ١.

ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش أخوال كلب، فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيُقسم المال ويعمل في الناس بسنّة نبيّهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفّى ويُصلّي عليه المسلمون».

وذكر ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يجيء جيش من قِبَل الشام حتى يدخل المدينة، فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء ويقولون للحبلى في البطن: اقتلوا صبابة السوء، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خُسِف بهم، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم، ولا أعلهم أسفلهم. وفي الحديث: «**أن جيشًا يؤمّون البيت الحرام، فإذا استووا على البيداء نادى أوّلهم آخرهم: ارفقوا خسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم وذراريهم إلى يوم القيامة**»، ثم قال: قال عبد الله بن عمرو: إذا خسف بالجيش بالبيداء، فذلك علامة على خروج المهدي .اهـ. وسيأتي له علامات أُخر قريبًا إن شاء الله تعالى.

باب منه في المهدي وخروج السفياني عليه وبعث الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي خُسف به

رُوِي عن حذيفة أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة، فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، يعني مدينة بغداد. قال: فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفتضون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من ولد العباس، ثم يخرجون متوجّهين إلى الشام، فتخرج راية المهدي من الكوفة، فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم، ثم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحلّ جيشه الثاني بالمدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجّهين إلى مكّة حتى إذا كان بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام، وقال له: اذهب فأهلكهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم؛

وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ [سَبأ: الآية ٥١]، فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، ومن هنا قيل:

عند جهينة الخبر اليقين

ولفظ حديث ابن مسعود أطول من هذا الحديث، وفيه: ثم إن محمد بن عروة السفياني يبعث جيشًا إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشًا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه. فأمّا الجيش الأوّل، فإنّه يصل إلى الكوفة فيغلب عليها ويسبي مَنْ كان فيها من النساء والأطفال، ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال. ثم يرجع، فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أُمراء بني تميم يقال له شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرجع إلى الكوفة. وأمّا الجيش الثاني، فإنه يصل إلى مدينة رسول الله ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد، ثم يصيرون إلى مكّة لمحاربة المهدي ومَنْ معه، فإذا وصلوا إلى البيداء مسخهم الله أجمعين»، زاد في رواية ابن ماجه: «**فلا يبقى منهم إلا الشريد الذي يُخبر عنهم**»[1].

وروى ابن ماجه[2]: «**إذا طلعت الرّايات السود من قِبَل المشرق، فإنه خليفة الله المهدي، فبايعوه إذا رأيتموه ولو حبوًا على الثلج**». وروى ابن ماجه أيضًا[2] عن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج أُناس من المشرق فيوطؤون للمهدي كرسيّ سلطانه**»، وفي رواية لأبي داود[3]: «**يخرج رجل من وزراء المهدي يقال له الحارث بن حراث على مقدّمته رجل يقال له منصور يوطىء أو يمكن لآل محمّد ﷺ عليهم، كما مكنت قريش للنبيّ ﷺ ويجب على كلّ مؤمن نصرته**»، أو قال: «**إعانته**»، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٦، والنسائي في المناسك باب ١١٢، وابن ماجه في الفتن باب ٣٠، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٦.

(٢) كتاب الفتن باب ٣٤. (٣) كتاب المهدي باب ١٢.

باب منه فيما جاء في ذكر المهدي وصفته واسمه وعطائه ومكثه وأنه يخرج مع عيسى عليه الصّلاة والسّلام فيساعده على قتل الدجّال

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يكون في أُمّتي المهدي إن قصر فسبع، وإلا فتسع، وينمو المال في زمنه ويكثر عنده يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ**»[١]. وفي حديث أبي داود[٢] أيضًا: «**المهدي مني واسع الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين**». ورُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ليصيبنّ هذه الأُمّة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله تعالى رجلًا من عترتي أهل بيتي يملأ به الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئًا إلا صبّته مدرارًا، ولا تدع الأرض من نباتها شيئًا إلا أخرجته حتى يتمنّى الأحياء العيش يمكث على ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين**»[٣]. وفي حديث أبي داود[٤]: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك حتى يبعث الله تعالى فيه رجلًا من أُمّتي أو من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**»، وخرّجه الترمذي[٥] بمعناه، وقال: حسن صحيح. وفي رواية له أيضًا: «**لو لم يبق من الدنيا لا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يليهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الإسلام ويكثر فيه المال، ويأتيه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»[٦]. وفي رواية للحافظ أبي نعيم أن رسول الله ﷺ قال: «**المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله عزّ وجلّ في ليلة ـ أو قال ـ في يومين**»[٧]. وروى ابن ماجه وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزداد الأمر إلا شدّة، ولا الدنيا إلا**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن باب ٣٤.
(٢) كتاب المهدي باب ١.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٤) كتاب المهدي باب ٤.
(٥) كتاب الفتن باب ٥٢.
(٦) أخرجه الترمذي في الفتن باب ٥٢.
(٧) كتاب الفتن باب ٢٤.

إدبارًا، ولا الناس على الدنيا إلا شحًا، ولا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم».

قال الإمام القرطبي: وهذا لا ينافي ما تقدّم في أحاديث المهدي لأن معناه تعظيم شأن عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام على المهدي: أي أنه لا مهدي إلا عيسى لعصمته وكماله، فلا ينافي وجود المهدي؛ كقولهم: ما فتى إلا عليّ، والله أعلم. ويؤيّد ذلك حديث: «**المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا، وأنه يخرج مع عيسى عليه الصّلاة والسّلام يساعده على قتل الدجال بباب لدّ من أرض فلسطين، وأنه يؤمّ هذه الأُمّة ويصلّي خلفه عيسى ابن مريم**»، والله تعالى أعلم.

باب من أين يخرج المهدي، وفي علامة خروجه، وأنه يبايع مرّتين ويقاتل عروة بن محمد السفياني ويقتله

تقدَّم حديث أبي هريرة وغيره أن المهدي يبايع بين الركن والمقام، ورُوِيَ: أنه يخرج في آخر الزمان رجل يقال له المهدي من أقصى المغرب يمشي النصر بين يديه أربعين ميلًا راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم، مكتوب فيها فلا تهزم له راية، وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجَادلة: الآية ٢٢]، وأطال في الحديث إلى أن قال: فيأتي الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بمكّة بين الركن والمقام، وهو كاره لهذه المبايعة بعد البيعة الأُولى التي بايعها الناس بالمغرب. ثم إن المهدي يقول: أيُّها الناس اخرجوا إلى قتال عدوّ الله وعدوّكم، فيجيبونه ولا يعصون له أمرًا، فيخرج المهدي ومَنْ معه مِنَ المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومَنْ معه من كلب، ثم يتبدّد جيشه، ثم يوجد عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية، والخائب مَنْ خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو تكبيرة أو صيحة. وفي الحديث أن حذيفة رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف يحلّ قتلهم وهم مسلمون موحّدون؟ فقال النبيّ ﷺ: «**إنما**

إيمانهم على ردّة، لأنهم خوارج ويقولون برأيهم إن الخمر حلال، ومع ذلك إنهم يحاربون الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [المائدة: الآية ٣٣]» إلى آخر الآية.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«ستفتح بعدي جزيرة تسمّى بالأندلس، فيتغلّب عليهم أهل الكفر، فيأخذون أموالهم وأكثر بلادهم ويسبون نساءهم وأولاهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار وترجع أكثر البلاد فيافي وقفارًا، ويتخلّى أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم، فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى إلا أقلّها، ويكون في المغرب الهرج والخوف، ويستولي عليهم الجوع والغلاء، وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضًا، فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهو المهدي القائم في آخر الزمان، وهو أوّل أشراط الساعة».**

قال الإمام القرطبي: وقد شاهدنا جميع هذه الأُمور وعايناها في بلادنا إلّا خروج المهدي، انتهى. وفي حديث شريك: **«أن الشمس تكسف مرتين في رمضان قبل خروج المهدي»**، والله أعلم.

باب ما جاء أن المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وأنطاكية وكنيسة الذهب، وغير ذلك

روى ابن ماجه[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّله الله عزّ وجلّ حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية»**، وإسناده صحيح. **«ثم إن المهدي ومَنْ معه مِنَ المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر فيكبّرون عليها ثلاث تكبيرات، فيقع سورها في البحر بقدرة الله عزّ وجلّ، فيقتلون الرجال ويسبون والنساء والأطفال ويأخذون الأموال، ثم يملك المهدي أنطاكية ويبني فيها المساجد وتعمر بعمارة أهل الإسلام، ثم يسيرون إلى رومية والقسطنطينية**

---

(١) كتاب الجهاد باب ١١.

وكنيسة الذهب فيستفتحون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المدائن والحصون ويأخذون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأتون كنيسة الذهب، فيجدون فيها الأموال التي كان المهدي قد أخذها أوّل مرّة، وهذه الأموال هي التي أودعها فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس، فوجد في بيت المقدس هذه الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة كما أخذها ما نقص منها شيء، فيأخذ المهدي تلك الأموال فيردّها إلى بي المقدس»، زاد في رواية: فقال حذيفة: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيمًا جسيم الخطر عظيم القدر، فقال رسول الله ﷺ: «هو من أجلّ البيوت ابتناه الله على يد سليمان بن داود عليهما الصّلاة والسّلام من ذهب وفضّة ودرّ وياقوت وزمرّد، وذلك أن سليمان بن داود عليهما الصّلاة والسّلام سخر الله تعالى له الجنّ فأتوه بالذهب والفضّة من المعادن وأتوه باليواقيت والجواهر والزمرّد من البحار يغوصون، كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [صٓ: الآية ٣٧]، فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها، فجعل فيه بلاطًا من ذهب وبلاطًا من فضة، وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة، وزيّنه بالدرّ والياقوت والزمرّد، وسخّر الله تعالى له الجنّ، فأتوه حتى بنوه من هذه الأصناف»، قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الأنبياء سلّط الله تعالى عليه بختنصّر، وهو من المجوس، وكان ملكه سبعمائة سنة، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: الآية ٥] الآية، فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من الأصناف المذكورة، فاحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل وينتهكونهم بالخزي والعقاب والنّكال مائة عام، ثم إنّ الله عزّ وجلّ رحمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن يستنقذ مَنْ في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل إلى أرض بابل، فاستنقذ من بَقِيَ من بني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحلى الذي كان في البيت المقدّس وردّه إليه، كما كان أوّل مرّة، وقال لهم:

يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا إليكم بالسَّبي والقتل»، وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: الآية ٨]، يعني: إن عدتم إلى المعاصي عدنا إليكم بالعقوبة، فلمّا رجعت بنو إسرائيل إلى البيت المقدّس عادوا إلى المعاصي، فسلّط الله تعالى عليهم ملك الروم قيصر، فهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ [الإسراء: الآية ٥] الآية، فغزاهم في البرّ والبحر وسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ جميع حلي بيت المقدس واحتمله على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهديّ ويردّه إلى البيت المقدّس، ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشِّرك بعد ذلك؛ فعند ذلك يرسل الله ملك الروم وهو الخامس من أهل هرقل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء في فتح القسطنطينية، ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجّال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه

روى مسلم[1] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية؛ فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال يسوّون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فيؤمّهم فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله تعالى بيده فيريهم دمه في حربته**». وروى ابن ماجه عن عمرو بن عوف عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء**»،

---

(١) كتاب الفتن حديث ٣٤.

ثم قال ﷺ: **«يا عليّ، يا عليّ، يا عليّ»**! فقال: بأبي بأبي يا رسول الله، فقال: **«إنكم ستقاتلون بني الأصفر ويقاتلونهم من بعدكم حتى تخرج إليهم روقة الإسلام، وروقة الإسلام أهل الإسلام الذين لا يخافون في الله لومة لائم يفتتحون قسطنطينية بالتسبيح والتكبير، فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسمونها بالأترسة، فيأتي آت فيقول: إن المسيح قد خرج في بلادكم، ألا وهي كاذبة، فالآخذ نادم والتارك نادم»**.

وروى مسلم[1] عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأصحابه يومًا: **«سمعتم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب منها في البحر؟»** قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **«لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إلـه إلّا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها»**. قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر، **«ثم يقول الثانية لا إلـه إلّا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقول الثالثة: لا إلـه إلّا الله والله أكبر، فتفرج لهم فيدخلونها فيغنمون؛ فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون»**.

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة، والقسطنطينية مدينة الروم وتُفتح عند خروج الدجال، وقد فُتحت في زمان عثمان رضي الله عنه ثم دخل سنة سبع وعشرين، ففيها كان فتح إفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح؛ وذلك أن عثمان لما ولّى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحدًا إلا عن شكاية، وكان عبد الله بن أبي سرح من جند مصر، فأمره عثمان على الجند ورماه بالرحال إلى إفريقية، وسرح معه عبد الله بن قانع بن عبد القيس، وعبد الله بن نافع ابن الحصين الفهريّين، فلمّا فتح الله تعالى إفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس، فأتياها من قِبَل البحر، وكتب عثمان إلى من انتدب إلى الأندلس: أمّا بعد، فإن القسطنطينية إنما تُفتح من قبل الأندلس، وإنكم إن افتتحتموها كنتم

---

(١) كتاب الفتن حديث ٧٨.

الشركاء في الأجر، فيقال: إنها فُتحت في تلك الأزمان، وستُفتح مرة أخرى؛ كما في الأحايث.

قال القرطبي رحمه الله: حديث أبي هريرة أوّل الباب يدلّ على أنها تُفتح بالنّبال، وحديث ابن ماجه يدلّ على أنها تُفتح بغير ذلك، ولعلّ فتح المهدي لها يكون مرّتين: مرة بالقتال ومرّة بالتكبير، كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرّتين، فإن المهدي إذا خرج بالمغرب انحاز إليه أهل الأندلس، فيقولون له: يا وليّ الله انصر جزيرة الأندلس، فقد تلفت وتلف أهلها وتغلّب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم، فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب، وهم قولة وجدالة وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن انصروا دين الله وشريعة محمّد ﷺ، فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره، ويكون على مقدمة عسكره صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغرّاء وصاحب المهدي وناصر دين الإسلام ووليّ الله حقًّا. فعند ذلك يبايعه ثمانون ألفًا من المقاتلة ما بين فارس وراجل قد رضي الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجَادلة: الآية ٢٢]، فباعوا أنفسهم لله، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٥]، فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص وهي إشبيلية، فيصعد المهدي المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة، فيأتي إليه أهل الأندلس، فيبايعه جميع أهل الإسلام فيها، ثم يخرج بجميع المسلمين متوجّهًا إلى بلاد الروم، فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الرّوم يخرجها من يدي العدوّ عنوة، ثم إن المهديّ ومَنْ معه يَصِلُون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالًا عظيمة، فيأخذها المهدي فيقسمها بين الناس بالسويّة، ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيه عكازة عيسى وعصا موسى عليهما الصّلاة والسّلام، وهي العصا التي هبط بها آدم عليه الصّلاة والسّلام من الجنّة حين أُخرج منها، وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من البيت المقدّس واحتمل جميع ما فيه من المَتاع والأموال إلى كنيسة الذهب، فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدي، فإذا أخذ المسلمون العصا تَنازعوا فيها، وكل واحد منهم يريد أن تكون له، فإذا أراد الله قيام أهل الإسلام من الأندلس خذل رأيهم وسلب ذوي الألباب عقولهم، فيقتسمون

العصا على أربعة أجزاء، فيأخذ كل عسكر منهم جزاءهم يومئذ أربع عساكر، وإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الظّفر والنصر ووقع الخلاف بينهم وظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحار، فيبعث الله عليهم ملكًا في صورة إبل، فيجوز بهم من القنطرة التي بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصّة، فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا إلى مدينة فارس والروم وراءهم، فلا يزالون كذلك، وكلّما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك، حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم، فيتملكون مصر إلى الفيوم ثم يرجعون، والله تعالى أعلم.

أبواب أشراط الساعة وعلاماتها

أمّا وقت قيامها، فلا يعلمه إلا الله، وفي حديث جبريل الذي رواه مسلم[1]: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

وفي القرآن العظيم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧].

ورُوِيَ عن الشعبي، قال: لقي جبريل عيسى عليهما الصّلاة والسلام، فقال له عيسى: متى الساعة؟ فانتفض جبريل في أجنحته وقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ثَقُلت في السمٰوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة. وروى الحافظ أبو نعيم عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**للساعة أشراط**»، قيل: يا رسول الله، ما أشراطها؟ قال: «**علوّ أصوات أهل الفسق في المساجد، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف**»، فقال أعرابي: فما تأمرني يا رسول الله؟ فقال: «**دع ما تُنكر وخذ ما تعرف**»، وقال: «**كن حلس بيتك**»[2]، أي الزم الجلوس في بيتك كلزوم الحلس لظهر الدابّة.

قال العلماء رحمهم الله تعالى: والحكمة في تقديم أشراط الساعة عليها تنبيه الناس من رقدة الغفلة وحثّهم على الأخذ بالاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة وتأدية الحقوق إلى أربابها قبل أن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ومن قبل أن يُحال بينهم وبين سعادتهم.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: فيبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة على أُهبة واستعداد لقيام الساعة الموعود بها، فإنْ تلك الأشراط قد جعلها الله تعالى علامة على انتهاء مدّة الدنيا؛ فمنها خروج الدجّال، ونزول

---

(١) كتاب الإيمان حديث ١، ٥، ٧.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٨٨.

عيسى وقتله الدجّال، وخروج يأجوج ومأجوج والدابّة التي تخرج من الأرض تكلّمهم، أي تَسِم الناس في وجوههم من مسلم وكافر، ومنها طلوع الشمس من مغربها؛ فهذه هي الآيات العظام.

وأما ما تقدّم هذه الآيات من قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمر واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الأُمّة أوّلها وكثرة الهرج ـ يعني القتل بغير حقّ ـ فإنّما هي أسباب حادثة مصدّقة لرسول الله ﷺ فِيمَ أخبر وأنذر، فهي من مُعجزاته ﷺ، والحمد لله ربّ العالمين.

باب قول النبيّ ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»

رُوِيَ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**»[1]، قال: وضمّ السبابة والوسطى. وقد رُوِيَ هذا الحديث من طرق في البخاري والترمذي وغيرهما ومعناها كلّها على اختلافها تقريب أمر الساعة التي هي القيامة وسُرعة مجيئها. وقد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمّد: الآية ١٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: الآية ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ١]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: الآية ١]. وكان الضحّاك والحسن يقولان: أوّل أشراط الساعة هو محمّد ﷺ. وكان الإمام زين العابدين رضي الله عنه قول: مِن اقتراب الساعة ظهور الجذام والبواسير وموت الفجأة، والله تعالى أعلم.

قال العلماء: وليس في الحديث السابق ما يعلم منه أن رسول الله ﷺ كان يعلم وقت قيام الساعة لاحتمال أن يكون مراده ﷺ أنه آخر نبيّ يكون، فليس بعده إلا الساعة؛ كما أنه ليس بعد السّبابة إلا الوسطى. وقال بعض العلماء: إن

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٩، والطلاق باب ٢٥، ومسلم في الجمعة حديث ٤٣، والفتن حديث ١٣٢ ـ ١٣٥.

الله أطلع رسول الله ﷺ على اليوم الذي تقوم فيه الساعة، لا على وقتها من ذلك اليوم، والله أعلم.

باب ذكر أمور تكون بين يدي الساعة

روى البخاري[(١)] عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجّالون كذّابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزّمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ ربّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي فيه، وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون؛ فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومنّ الساعة قود نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه إبله، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته فيه فلا يطعمها**».

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: فهذه ثلاث عشرة علامة رواها أبو هريرة في حديثٍ واحد، ولا حاجة لما ورد في الأحاديث الضعيفة من العلامات المؤذنة بوقوع أُمور معيّنة في سنين معينة، كما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنّ في سنة ثمانين يكون كذا وكذا، وفي سنة عشر ومائتين يكون كذا وكذا، وفي العشرين ومائتين كذا، وفي الثلاثين ومائتين كذا، وفي سنة عشر ومائتين يكون كذا وكذا، وفي العشرين ومائتين كذا، وفي الثلاثين ومائتين كذا، وفي سنة ستّين ومائتين تكسف الشمس ساعة فيموت نصف الإنس والجنّ، انتهى. وقد مضت هذه المدّة ولم يقع شيء مما قيل، ولو أنه وقع لم يخف على الناس نقله لمن بعدهم، وأيضًا فإنّ التاريخ إنما وضع في زمن عمر بن الخطاب، بعد

---

(١) كتاب الفتن باب ٢٥.

موت النبيّ ﷺ على أنه قد مضى كثير من العلامات في حديث حذيفة الصحيح، وإنما الكلام في تعيين التاريخ لا غير.

وحاصل الأمر أنّ جميع ما أخبر به النبيّ ﷺ من الفتن والكوائن لا بدّ من وقوعه. وأمّا تعيين وقته، فيحتاج إلى طريقٍ صحيح، والحمد لله ربّ العالمين.

ومعنى حديث: «**لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»، أي: لما يرى في ذلك الزمان من شدّة البلاء، وتعظيم الجهّال، وظهور رئاستهم، وخمول العلماء، وغُبن الأولياء واستيلاء الباطل في الأحكام وعموم الظلم والجهر بالمعاصي واستيلاء الحرام على أموال الخلق والتحكّم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حقّ.

قال الإمام القرطبي: وقد وُجِدَ غالب هذا في زماننا هذا، قال: وروينا عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه كان يقول: يُوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ ـ يعني الذي لا أهل له ولا ولد ـ كما يُغبط اليوم أبو عشرة من الأولاد، ويغبض الرجل ببعده عن السلطان كما يغبط اليوم بقربه منه لمصالح العباد، وتمرّ الجنازة في السوق فيهزّ الناس رؤوسهم وقولون: ليت أحدنا كان مكانه. قال عُبادة بن الصَّامت: يا أبا ذرّ إن هذا الأمر عظيم، فقال: نعم الأمر أعظم مما تظنّون.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وهذا هو ذلك الزَّمان، فقد استولى فيه الباطل على الحقّ، وتغلّب فيه العبيد على الأحرار وباعوا الأحكام ورضي بذلك منهم الحكّام، فصار الحكم مكسًا والحق عكسًا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه بدّلوا دين الله وغيّروا حكم الله، سمّاعون للكذب، أكّالون للسُّحت. وفي الحديث: «**لتتبعنّ سُنن من قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟[1]

ولقد أحسن ابن المبارك في قوله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٥٠، والاعتصام باب ١٤، ومسلم في العلم حديث ٦.

قال الإمام القرطبي: ومن علامات الساعة أيضًا قول رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر الزَّمان عبّاد جهّال وقرّاء فسقة**»[١]، انتهى. وقد وُجِدت الصّفتان.

وكان مكحول رحمه الله تعالى يقول: يأتي على الناس زمان يكون عالِمهم أنتن من جيفة حمار. وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون في آخر الزّمان ديدان القرّاء، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوّذ بالله من شرِّه وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد، فلا يستحيا يومئذ من الرياء والمستمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين**»، قالوا: منّا أو منهم؟ فقال: «**بل منكم**»[٢]. وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يُبلى الثوب، يتهافت يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذّة يلبسون جلود الضّأن على قلوب الذّئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف إن قصروا قالوا: سنبلغ، وإن أساؤوا قالوا: سيغفر لنا إنا لم نشرك بالله شيئًا. وتقدَّم في باب قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤] عدّة أحاديث تُشير إلى أن من قرأ القرآن وقال: من أقرأ مني؟ فهو أوّل من تسعر به النار. وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه**»[٣]، وفيه أيضًا: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»[٤]، وفي البخاري ومسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيء أعناق الإبل ببصرى**»[٥]. وروى الترمذي[٦]: أن رسول الله ﷺ قال: «**ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل يوم القيامة**»، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**». وفي البخاري[٧] أن رسول الله ﷺ قال: «**أوّل أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**». وفي الترمذي[٨]: أن رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١/ ٣٤٩.
(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ١/ ٣٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٨٦٣١.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٨٤. (٤) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٧٣.
(٥) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٤٢. (٦) حديث ٢٢١٧، وأحمد في المسند ٢/ ٦٩.
(٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب ١، والفتن باب ٢٤.
(٨) كتاب الفتن باب ٩.

قال: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويلي أُموركم شراركم**». وفي الحديث أيضاً: «**والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلّم السِّباع الإنس، ويكلّم الرجل سوطه ونعله ويخبره بحديث أهله**»[١]، وفي رواية: «**حتى يكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، وحتى يفيض المال فيخرج الرجل بزكاته فلا يجد مَنْ يقبلها، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**». وفي الحديث: «**لا تذهب اللّيالي والأيام حتى تُعبد اللّات والعُزّى**»[٢].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقوله ﷺ: «**حتى تخرج نار من أرض الحجاز**»، فقد خرجت نار عظيمة وكان بدؤها زلزلة عظيمة، وذلك ليلة الأربعاء بعد الفجر الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستّمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرّة تُرى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن، ويرى رجال يقودونها لا تمرّ على جبلٍ إلا دكّته وأذابته، ويخرج من مجموع لك نهر أحمر ونهرٌ أزرق له دويّ كدويّ الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه، وينتهي إلى محطّ الركب العراقي، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة، وكان مما يلي المدينة نسيم بارد ببركته ﷺ، وكانوا يشاهدون من هذه النار غلياناً كغليان القدور، وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها.

قال الإمام القرطبي: وذكر لي بعض أصحابي أن رأى تلك النار صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة أيام من المدينة المشرّفة، وذلك من أعلام النبوّة.

قال القرطبي رحمه الله: وفشا بعد هذه النار نار أخرى أرضية بحرم المدينة، فأحرقت جميع الحرم حتى أنها أذابت الرّصاص الذي في العمد، فوقعت العمد ولم يبق غير السور واقفًا، وفشا بعد ذلك أخذ بغداد بتغلّب التتار

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ١٩، وأحمد في المسند ٣/ ٨٤.

(٢) أخرجه ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٨٥.

عليها، فقُتِل مَنْ كان فيها وسبي، وذلك عمود الإسلام ومأواه، فانتشر الخوف وعَظُم الكرب وعمّ الرعب وكَثُر الحزن وبقي الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا إمام، انتهى.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لتقصدنّكم نار هي اليوم خامدة في وادٍ يقال له: برهوت تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدُّنيا كلّها في ثمانية أيام تطير طير الرِّيح والسَّحاب، حرّها باللّيل أشدّ من حرّها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دويّ كدويّ الرعد القاصف، هي من رؤوس الخلائق أدنى من العرش**»، فقال حذيفة: يا رسول الله، أسليمة هي يومئذٍ على المؤمنين والمؤمنات؟ قال: «**وأين المؤمنون والمؤمنات؟ الناس يومئذٍ شرّ من الحمر يتسافدون كتسافد البهائم، وليس هناك رجل يقول لأحدهم: مه مه**»[١]، رواه الحافظ أبو نعيم.

قال الإمام القرطبي: ولعلّ هذه النار المُرادة بقوله ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت**»، والله تعالى أعلم.

بـاب منه

رُوِيَ عن ابن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم حتى يكون التسليم على الخاصّة دون العامّة، وحتى تفشو التجارة وتُعيب المرأة زوجها على التجارة، وحتى تُقطع الأرحام ويفشو الظلم وتظهر شهادة الزّور وتُكتم شهادة الحقّ**»، وفي رواية: «**ويفشو العلم بدل الظلم**»، والمراد به ظهور كثرة الكتّاب، كما رواه أبو داود الطيالسي. وفي رواية: «**ومن أشراط الساعة أن تظهر التجارة ويظهر العلم**»، وفي رواية: «**لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويفيض المال ويظهر الجهل**»[٢]. قال الحسن: ولقد أتى علينا زمان إنَّما كان يقال فيه كاتب بني فلان، أو تاجر بني فلان، ما يكون في الحيّ إلا الكاتب الواحد أو التاجر الواحد، انتهى. وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إنّ من أشراط

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٩٢.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٩٨، ٢٧٣، ٢٨٩.

الساعة أن تُتّخذ المساجد طرقًا، وأن يسلّم الرجل على الرجل بالمعرفة، وأن يتّجر الرجل وامرأته جميعًا، وأن تغلو مهور النّساء والخيل، ثم يرخص فلا يغلو إلى يوم القيامة.

وروى البخاري[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ من أشراط الساعة أن يقلّ العلم ويظهر الجهل ويظهر الزّنا وتكثر النساء وتقلّ الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد**». وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ليأتينّ على الناس زمان يطوف الرجل بالصّدقة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه، وأن يُرى الرجل الواحد تتبعه أربعون امرأة**»[٢]، يريد ـ والله تعالى أعلم بذلك ـ أن النساء يلذن بالرجل الواحد من قلّة الرجال وكثرة النساء، وذلك لقتل الرجال في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل، فتراهنّ يقبلن على الرجل الواحد يقوم بمصالحهنّ من بيع وشراء وأخذٍ وعطاء.

وقال بعضهم: إنّما ذلك لغلبة الشَّبق على النساء وقلّة الرجال، فيتبع الرجل الواحد أربعون امرأة، كل واحدة تقول له: انكحني انكحني، والمعنى الأوّل أشبه.

وكان عبد الله بن مسعود يقول: سيأتي عليكم زمان يقلّ فيه العلم ويظهر فيه الجهل بالكتاب والسنّة، وكان يقول: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، وإنّما حفظه بإقامة حدوده، وفي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، وإنما ينزعه بقبض العلماء فتبقى ناس جهّال فيستفتون فيفتون برأيهم، فيَضِلُّون ويُضَلُّون**»[٣]. وروى أبو داود[٤] أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة، فلا يجدون إمامًا يصلّي بهم**»، والله تعالى أعلم.

---

(١) كتاب العلم باب ٢١. (٢) أخرجه البخاري في النكاح باب ١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب ٣٤، ومسلم في العلم حديث ١٣.

(٤) كتاب الصلاة باب ٥٩.

باب ما جاء أن الأرض تُخرج ما في جوفها من الكنوز والأموال

روى أئمّة الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الفرات أن ينحسر عن كنزٍ من ذهب، فمن حضر فلا يأخذ منه شيئًا**». وفي رواية للشيخين: «**عن جبلٍ من ذهب**»، وفي رواية لمسلم: «**يُحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب، فيقتتل الناس عليه فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل واحد: لعلّي أكون أنا الذي أنجو**». وفي رواية لابن ماجه: «**فيقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل عشرة تسعة**»[١]. وفي رواية لمسلم والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضّة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قُطِعَت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا**»[٢].

قال الحليمي: ويشبه أن يكون ها في الزمن الذي أخبر النبيّ ﷺ أنّ المال يفيض فيه فلا يقبله أحد، وذلك في زمن عيسى عليه الصّلاة والسّلام؛ فلعلّ الجبل الذي حصل من ذلك الفيض العظيم مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين. قال: ويحتمل أن يكون نهيه ﷺ على الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراط الساعة، فإنّ الركون إلى الدنيا والاستكثار منها مع شهود ذلك جهل واغترار، ويحتمل أن يكون سببه خوف التدافع والتقاتل عليه، كما يدلّ عليه الحديث، وهذا أوْلى والله تعالى أعلم.

باب في ولاة آخر هذا الزّمان وفيمن يتكلم في أمر العامّة

روى البخاري[٣]: أن أعرابيًّا دخل على رسول الله ﷺ وهو يحدّث أصحابه، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ فقال بعض القوم: سمع ما

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ١٢، والجهاد باب ٣٩، وأبو داود في الجنائز باب ٥٩، ومسلم في الطهارة حديث ٨١، والنسائي في الطهارة باب ٨٦، وابن ماجه في المساجد باب ١٩.

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ٢، ٦، والترمذي في الفتن باب ٣٦.

(٣) كتاب العلم باب ٢.

قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع رسول الله ﷺ ما قال، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين السّائل عن الساعة؟**» قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيّعت الأمانة، فانتظر الساعة**»، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة**». وفي حديث جبريل الطويل الذي رواه مسلم[١] وغيره: أن جبريل سأل النبيّ ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تَلِد الأمَة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». وفي رواية فقال: «**إذ رأيت الأَمَة تَلِد ربّتها، فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصمّ البكم ملوك الأرض، فذلك من أشراطها**». وروى الترمذي[٢] أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**». وفي رواية: «**لا تقوم الساعة حتى يكون المطر قيظاً والولد غيظاً**»[٣]، وسيأتي في رواية أن رسول الله ﷺ قال: «**سيأتي على الناس سنوات خدعات يصدّق فيها الكاذب ويُكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**»، قيل: يا رسول الله، وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه ينطق في أمر العامّة**»[٤]، والتافه هو الخسيس من الناس الخامل الذِّكر. وفي رواية: «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويُخوّن الأمين ويُؤتمن الخائن، وتهلك الوعول وتظهر التحوت**»، قالوا: يا رسول الله، وما الوعول وما التحوت؟ قال: «**الوعول وجوه الناس، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم**»[٥].

قال العلماء: وقد وجدت هذه العلامات وصار الولاة لا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية صمّ عن استماع الحقّ، بكمٌ عن التكلّم به، عُمْيٌ عن الإبصار له؛ فالله تعالى يلطف بنا وبولاتنا ويُميتنا وإيَّاكم على الإسلام آمين.

---

(١) تقدّم الحديث مع تخريجه. (٢) حديث ٢٢٠٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٩.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٨٥٩٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٠٣٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٢.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٦٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٧.

باب إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء

روى الترمذي[١] عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء**»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**إذا كان المغنم دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أُمّه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شرّه، وشُرِبت الخمور، ولُبِس الحرير، واتّخذت القينات والمعازف، ولعَن آخر هذه الأُمّة أوّلها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا أو مسخًا**»، زاد في رواية أخرى على الخمسة عشر: «**وتعلّم العلم لغير الدين، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شرّه**»، الحديث وفيه: «**إذا فعلت الأُمّة ذلك تتابعت الآيات كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع**».

وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال: «**يُمسخ قوم من أُمّتي آخر الزّمان قردة وخنازير**»، زاد في روايةٍ أخرى: فقيل: يا رسول الله ويشهدون أنْ لا إلٰه إلّا الله وأنك رسول الله ويصومون؟ قال: «**نعم**»، قيل: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «**يتّخذون المعازف والقينات والدّفوف ويشربون الأشربة، فبينما هم على شربهم ولهوهم إذ أصبحوا وقد مُسِخوا قردة وخنازير**»[٢]. وفي حديث ابن ماجه[٣]: «**ليشربنّ ناس من أُمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها، تُضرب على رؤوسهم المعازف والقينات يخسف الله تعالى بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير إلى يوم القيامة**». وروى الخطيب عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنه وجّه نضلة بن معاوية إلى القادسية، فلمّا دخل وقت العصر أذّن نضلة، فقال: الله أكبر الله أكبر، فإذا مجيب من الجبل يجيبه: كبّرت كبيرًا يا نضلة، ثمّ قال: أشهد أن لا إلٰه إلّا الله، فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة، ثم قال: أشهد أن محمّدًا رسول الله، قال: هو النذير

---

(١) حديث ٢٢١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٤٤٥١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/١١٩. (٣) حديث ٤٠٢٠، وأحمد في المسند ٥/٣٤٢.

وهو الذي بشّر به عيسى ابن مريم عليهما الصّلاة والسّلام وعلى رأس أُمّته تقوم الساعة، ثم قال: حيّ على الصلاة، قال: طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها، ثم قال: حيّ على الفلاح، قال: أفلح مَنْ أجاب محمّدًا ﷺ، وهو البقاء لأُمّة محمد ﷺ، قال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله، قال: أخلصت الإخلاص كلّه يا نضلة، فحرّم الله تعالى جسدك على النار، فلما فرغ نضلة من أذانه وقاموا قالوا له ـ يعني لمن كان يجيب المؤذّن من ناحية الجبل ـ: مَنْ أنت يرحمك الله؟ أَمَلَكٌ أنت أم ساكن من الجنّ أم طائفة من عباد الله؟ أسمعتنا صوتك فأرِنا صورتك، فإنّا وفد الله ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه؟ قال: فانفلق الجبل عن هامة كالرُّحى أبيض الرأس واللّحية وعليه طمران من صوف، فقال: السلام عليم ورحمة الله وبركاته، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا زرنب بن يرتملا وصيّ العبد الصالح عيسى ابن مريم أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرّأ مما استحلّته النصارى، فأما إذا فاتني لقيّ محمّد ﷺ فأقرئوا عمر مني السلام، وقولوا له: يا عمر سدّد وقارب، فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها، فإذا ظهرت في أُمّة محمّد ﷺ فالهرب الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا في غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقّر صغيرهم كبيرهم، وترك المعروف فلم يؤمر به، وترك المنكر فلم يُنْهَ عنه، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظاً والولد غيظاً، وطوّلوا المنارات، وفضّضوا المصاحف، وشيّدوا البناء، واتّبعوا الشهوات، وباعوا الدّين بالدنيا، واستخفُّوا بالدماء وقطيعة الأرحام وبيع الحكم وأكل الرّبا، وصار الغنى عزًّا، وخرج الرجل من بيته فقام له مَنْ خير منه فسلّم عليه، وركبت النساء السروج، ثم غاب عنا ـ يعني زرنب بن يرتملا ـ فلم نره، فكتب بذلك نضلة إلى سعد بن أبي وقاص، فكتب به سعد إلى عمر، وكتب عمر رضي الله عنه إلى سعد: يا سعد لله أبوك، سِرْ أنت مَتْ معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبل، فإن لقيته فأقرئه منّي السلام، فإنّ رسول الله ﷺ أخبرنا أنّ بعض أوصياء عيسى ابن مريم عليه

السّلام قد نزل ذلك الجبل ناحية العراق، قال: فخرج سعد في أربعة آلاف من المُهاجرين والأنصار حتى نزل ذلك الجبل أربعين يومًا ينادي بالأذان في كل وقت صلاة، فلا جواب. انتهى.

وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون في أُمّتي فزعة، فتصير الناس إلى علمائهم، فإذا هم قردة وخنازير**».

قال العلماء: وإنما مسخ الله هؤلاء العلماء قردة وخنازير لأن المسخ تغيير الخلقة عن جهتها، فعُوقبوا بنظير ما فعلوا من تغيير الحقّ عن جهته وتحريف الكلم عن مواضعه، فكما مسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحقّ، كذلك مسخ الله صورهم وغيّر خلقتهم، كما بدّلوا الحقّ باطلًا، والله تعالى أعلم. فنسأل الله من فضله أن يحفظنا وإخواننا من الفقهاء من الزّيغ عن الحقّ ويُميتنا على الإسلام، آمين اللّهمّ آمين.

باب في رفع الأمانة والإيمان من القلوب

روى الشيخان وغيرهما عن حذيفة قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدّثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ـ يعني وسط قلوبهم ـ ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة**» الحديث. وفي رواية: «**إنّ الأمانة تُرفع من قلب الرجل وهو نائم، فينام الرجل النَّومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظلّ أثرها مثل الوكت، ثم ينام النَّومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فتنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتتايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، وحتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان**»[1] الحديث، نسأل الله اللّطف بنا وبالمسلمين آمين.

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٥، والفتن باب ١٣، ومسلم في الإيمان حديث ٢٣٠.

باب في ذهاب العلم ورفعه، وما جاء أن الخشوع وعلم الفرائض أول علم يُرفع من الناس

روى ابن ماجه[١] عن زياد بن لبيد، قال: ذكر النبيّ ﷺ شيئًا فقال: «**ذاك عند أوان ذهاب العلم**»، قلت: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقريه أبناءنا وتقريه أبناؤنا لأبنائهم إلى يوم القيامة؟ فقال: «**ثكلتك أمّك يا زياد، إن كنت لأراك أفقه رجل بالمدينة، أوَ ليس هؤلاء اليهود والنصارى يقرئون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيءٍ منهما**». وخرّج الترمذي[٢] عن أبي الدّرداء، قال: كنّا مع النبيّ ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء**»، فقال زياد: يا رسول الله كيف يُختلس منّا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرؤه ولنقرئنّه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: «**ثكلتك أُمّك يا زياد، إن كنت لأعدّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تُغني عنهم**». وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول: إن شئتم لأحدّثنكم بأوّل علم يُرفع من الناس: الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعًا، وإسناده صحيح؛ كما قاله الإمام القرطبي رحمه الله.

قال العلماء: والمُراد برفع العلم رفع العمل، كما قاله عبد الله بن مسعود كان يقول: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده.

قال القرطبي رحمه الله: ثم بعد رفع العلم من القلوب يُرفع الرقم والكتابة ولا يبقى في الأرض من القرآن آية واحدة على ما يأتي في الباب بعده. وروى ابن ماجه والدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**تعلَّموا الفرائض وعلّموه الناس، فإنه نصف العلم وهو يُنْسى، وهو أوّل شيء يُنزع من أُمّتي**»، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) كتاب الفتن باب ١٢، ٢٦.

(٢) كتاب العلم باب ٥.

باب ما جاء في انْدِراس الإسلام وذهاب القرآن

روى ابن ماجه[1] عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدرس الإسلام كما يُدْرس وشي الثوب حتى لا يُدْرَى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، فيقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إلـه إلّا الله، فنحن نقرّ بها**»، فقال له صلة: فما تُغني عنهم لا إلـه إلّا الله؟ وهم لا يدرون ما صلاة وما صيام وما صدقة ولا نسك؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّدها عليه ثلاثًا كلّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل حذيفة عليه فقال: يا صلة تُنجيهم من النار، قالها ثلاثًا.

قال الإمام القرطبي: وهذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه الصّلاة والسّلام، لا عند خروج يأجوج ومأجوج كما تقدَّم. والحمد لله ربّ العالمين.

باب الآيات العشر التي تكون قبل الساعة

رُوِيَ عن حذيفة قال: كنّا جلوسًا بالمدينة في ظلّ حائط، وكان رسول الله ﷺ في غرفة فأشرف علينا، وقال: «**ما يحبسكم**»؟ فقلنا: نتحدّث، فقال: «**في ماذا؟**» قلنا: عن الساعة، فقال: «**إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، أوّلها طلوع الشمس من مغربها، ثم الدخان، ثم الدجّال، ثم الدابّة، ثم ثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، ويكون آخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن من قعر عدن لا تدع خلفها أحدًا إلا تسوقه إلى المحشر**»[2]. وخرّج مسلم بمعناه عن حذيفة. وفي رواية: وعدّ من العشر: نزول عيسى عليه الصّلاة والسّلام.

---

(١) كتاب الفتن باب ٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٣٩، أبو داود في الملاحم باب ١٢.

وفي البخاري[١] أن رسول الله ﷺ قال: «**أوّل أشراط الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**». وروى مسلم[٢] عن عبد الله بن عمر قال: حفظت من رسول الله ﷺ أنّه قال: «**أوّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على الناس ضحًى**».

قال الإمام القرطبي: وأيّهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريبًا منها. وفي روايةٍ أخرى: «**إذا هُدِمت الكعبة وطرحوا حجارتها في البحر، فعند ذلك يكون علامات منكرات: طلوع الشمس من مغربها، ثم الدجّال، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدابّة**» الحديث. وفي صحيح مسلم مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ريح يلقي الناس في البحر**».

وبالجملة، فقد جاءت الآيات مرتّبة وغير مرتّبة، فالله أعلم بما يقع قبل، والحمد لله ربّ العالمين.

قال الإمام القرطبي: وقد جاء في الروايات «**إذا خرج يأجوج ومأجوج وقتلهم الله بالنغف في أعناقهم وقبض الله تعالى نبيّه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منهم، وتطاولت الأيام على الناس، وذهب معظم دين الإسلام وأخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق، كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجّة عليهم ثم قبضه، فيُخرج الله تعالى لهم دابّة من الأرض فتميّز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفّار عن كفرهم والفسّاق عن فسقهم، ويستبصروا ويرجعوا عمّا هم فيه من الفسوق والعصيان، ثم تغيب الدابّة عنهم ويمهلون، فإذا أصرّوا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم، ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبًا، لأن الله تعالى يقول:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريَات: الآية ٥٦]، **فإذا قُطِع عنهم التعبّد لم يقرّهم بعد ذلك في الأرض زمانًا طويلًا**»، هكذا قال بعض العلماء رحمهم الله.

---

(١) كتاب أحاديث الأنبياء باب ١، والفتن باب ٢٤.

(٢) كتاب الفتن حديث ١١٨.

وأما الدخان، فقد رُوِيَ عن حذيفة عن النبيّ ﷺ: «**أنّ من أشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يومًا، فأمّا المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام. وأمّا الكافر، فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره**». وقيل: هذا الدخان من آثار جهنّم يوم القيامة، رُوِيَ ذلك عن عليّ وغيره من أكابر الصحابة، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدّخان: الآية ١٠]. وقال ابن مسعود: في هذه الآيات إن الدخان هو ما أصاب قريشًا من القحط والجهد حتى صار الرجل منهم يرى بينه وبين السماء دخانًا من شدّة الجهد حتى أكلوا العظام. وكان ابن مسعود يقول: إذا وقع الدخان والبطشة الكبرى، فعند ذلك يبعث الله الرِّيح الجنوب من اليمن فتبض روح كل مؤمن ويبقى شرار النّاس.

وأمّا الدابّة، فقد ذكر الله تعالى فيها أنها تكلّم الناس، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النّمل: الآية ٨٢]. وذكر أهل التفسير أنها خلق عظيم تخرج من صدع من الصّفا لا يفوتها أحد، فتَسِمُ المؤمن فتُنير وجهه، وتَسِمُ الكافر فتسودّ وجهه، وتكتب بين عينيه: كافر بالله. وكان عبد الله بن عمر يقول: إن هذه الدابة هي الجسّاسة، كما سيأتي في خبر الدجّال. ورُوِيَ عن ابن عباس أنّه الثعبان الذي كان ببئر الكعبة، فاختطفته العقبان، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وفي البخاري: أن أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر نصفين والجبل بينهما، فقال: «**اشهدوا**». ويؤيّده قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القَمَر: الآية ١].

وقال بعض العلماء: إن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القَمَر: الآية ١]، أي: سينشقّ؛ كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية ١]، أي يأتي.

قال الحليمي: فإن كان المراد بانشقاق القمر هذا الذي وقع بمكّة، فقد أتى. قال: وقد رأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقًّا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، وما زلت أنظر إليهما حتى اتّصلا كما كانا، ولكنّهما صارا في شكل أُترجّة، ولم أمِلْ طرفي عنها إلى أن غابت، وكان معي جماعة من الأشراف والعلماء، فرأوا كما رأيت. قال: وأخبرني من

أَثِقَ به أيضًا أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقًا نصفين. قال الحليمي: فقد ظهر أن قول الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القَمَر: الآية ١] إنما خرّج على الانشقاق الذي هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسول الله ﷺ، والله أعلم.

باب ما جاء أن الآيات بعد المائتين

روى ابن ماجه[1] عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الآيات بعد المائتين**». وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمّتي على خمس طبقات، فأربعون سنة أهل برّ وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلونهم إلى ستّين ومائة أهل تدابر وتقاطع، ثم الهرج الهرج النجاء النجاء**». وفي روايةٍ أخرى: «**أُمّتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عامًا. فأمّا طبقتي وطبقة أصحابي، فأهل علمٍ وإيمان. وأمّا الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين، فأهل برٍّ وتقوى**»[2]، ثم ذكر نحو ما تقدم، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء فيمن يخسف به أو يُمسخ

روى أبو داود[3] عن أنسٍ أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**يا أنس، إنّ الناس يمصرون أمصارًا، وإن مصرًا منها يقال له البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أُمرائها، وعليك بضواحيها، فإنّه يكون لها خسفٌ وقذفٌ ورجفٌ وقومٌ يبيتون فيُصبحون قردة وخنازير**».

وروى ابن ماجه أنّ رجلًا أتى ابن عمر، فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام، فقال: إنه بلغني أنه أحدث، فإن أحدث فلا تقرئه منّي السلام، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون في أُمّتي ـ أوقال: في هذه الأُمّة ـ خسفٌ ومسخٌ وقذف**»، وتقدّم في حديث مسلم ذكر الجيش الذي يخسف به، وهو خارج لمكّة لقتال المهديّ. وفي حديث البخاري: «**إذا فعلت أُمّتي خمس عشرة خصلة**

---

(١) حديث ٤٠٥٧، والحاكم في المستدرك ٤/٤٢٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٠٥٨.

(٣) كتاب الملاحم باب ١٠.

حلّ بها الدَّمار»، فذكر فيها «**أنّ قومًا يبيتون على لهوٍ ولعبٍ فيصبحون وقد مُسِخُوا قردة وخنازير**». وروى الثعلبي أن رسول الله ﷺ قال: «**تُبْنى مدينة بين دجلة ودحيل وقطربل والبصرة تجتمع فيها جبابرة الأرض التي تُجبى إليها الخزائن يُخسف بها**». وفي رواية: «**يُخسف بأهلها، فلهنّ أسرع ذهاباً في الأرض من الوتد الجيّد في الأرض الرخوة**»، انتهى. ويقال إنها بغداد، والله تعالى أعلم.

باب ذكر الدجال وصفته وبعثه ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما يُنجي منه وأنه يُبرىء الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى

روى مسلم[١] عن أبي الدّرداء أن نبيّ الله ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عُصِمَ من الدجّال**»، وفي رواية: «**من آخر الكهف**». ورُوِيَ عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجّال أعور عين اليسرى، جفال الشعر، معه جنّة ونار، فناره جنّة وجنّته نار**»[٢]. وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أعلم بما مع الدجّال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج. فأما أدركنّ أحد، فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه، فإنه ماءٌ بارد. وإنّ الدجّال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن من كاتب وغير كاتب**»[٣]. قال أبو الخطاب بن دحية: كذا رواه عنه مسلم. فأما أدركنّ ولم عرف إدخال نون التوكيد على لفظ الماضي إلّا هٰهنا، وصوابه ما قرّره العلماء في صحيح مسلم: فأما أدركه أحد، والله تعالى أعلم.

وعن عبد الله بن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجّال، فقال: «**إن الله ليس بأعور، إلا أن المسيح الدجّال أعور العين اليُمنى، كأن عينه عنبة طافية**»[٤]. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**أراني اللّيلة في**

---

(١) كتاب صلاة المسافرين حديث ٢٥٧.
(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ١٠٤.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٩١.
(٤) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٩٥، ١٠٠، والإيمان حديث ٢٧٤.

المنام عند الكعبة، فإذا رجلٌ آدم كأحسن ما يرى من آدم ابن آدم، تُضرب لته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعًا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجّال»(١). وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**الدجّال أعور جعد هجان أقمر، كأن رأسه غصنة شجرة أشبه الناس بعبد العزّى بن قطن**»(٢). وروى أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «**أما مسخ الضلالة، فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض المنخر فيه اندفاء**»، أي: انحناء ـ كما في نسخة ـ «**مثل عبد العزى بن قطن**»، فقال رجل: يا رسول الله يضرّني يا رسول الله شبهه؟ فقال: «**لا أنت مسلم، وهو كافر**»(٣). وخرَّج أبو داود الطيالسي أيضًا عن أبي هريرة قال: ذكر الدجال عند النبيّ ﷺ ـ أو قال: ذكر النبيّ ﷺ الدجّال ـ فقال: «**إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء، ونعوذ بالله من عذاب القبر**»(٤). وروى الترمذي عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الدجّال يخرج من أرضٍ بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام، كأنّ وجوههم المجان المطرّقة**»(٥) اهـ. وإسناده صحيح؛ كما قاله الإمام القرطبي.

وروى عبد الرزاق عن أبي سعيد الخدريّ أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجّال من أُمّتي سبعون ألفًا عليهم الطيالسة الخضر**»(٦)، وفي رواية: «**عليهم السيجان**» جمع ساج. قال الأزهري: وهو الطيلسان المقوّر يُنسج كذلك.

وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ ذكروا عنده الدجال، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قبل خروجه ثلاثة أعوام تُمسك السماء في العام الأوّل ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها. والعام الثاني تُمسك السماء ثلثي قطرها،**

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٢٧٣.
(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٧، وابن حجر في فتح الباري ١٣/ ١٠٠.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٩١.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٢٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٣٦٣.
(٥) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٠٧٢، وأحمد في المسند ١/ ٤، ٧.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢٠٨٢٥.

والأرض ثلثي نباتها. والعام الثالث تُمسك السماء قطرها ـ يعني كلّه ـ والأرض نباتها ـ يعني كلّه ـ حتى لا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف إلّا مات»[١]، وذكر الحديث وأخرجه أبو داود الطيالسي وابن ماجه أيضًا. وفي رواية: **«وفي العام الثالث يُمسك الله القطر وجميع النبات، فلا ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة، ولا نباتًا حتى تكون الأرض كالنحاس، والسماء كالزجاج، فيبقى الناس يموتون جوعًا وجهدًا، وتكثر الفتن والهرج ويقتل الناس بعضهم بعضًا، ويخرج الناس بأنفسهم ويستولي البلاء على أهل الأرض؛ فعند ذلك يخرج الملعون الدجّال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية، وهو راكب حمارًا أبتر يشبه البغل، ما بين أذني حماره أربعون ذراعًا. ومن صفة الدجال أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم جعد قطط أعور العين اليمنى، كأنها لم تُخلق، وعينه الأخرى ممزوجة بالدم، وبين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل مؤمن بالله عزّ وجلّ، فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات يسمع أهل المشرق والمغرب»**.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **«إنه لم يكن نبيّ قبلي إلّا وقد حذّر أُمّته المسيح الدجال، إنه أعور عينه اليمنى، بعينه اليسرى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر، معه واديان أحدهما جنّة والآخر نار، معه ملكان يشبهان نبيَّيْن من الأنبياء، لو شئت سمّيتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول الدجّال: ألست بربِّكم؟ ألست أُحيي وأُميت؟ فيقول أحد الملكين: كذبت، لا يسمعه أحد من الناس إلّا صاحبه، فيقول له: صدقت، فيسمعه الناس فيظنّون أنه صدّق الدجال؛ فذلك فتنته. ثم يسير الدجّال حتى يأتي المدينة، فلا يُؤذن له، ويقول: هذه قرية ذلك الرجل. ثم يسير حتى يأتي الشام، فيهلكه الله عزّ وجلّ عند عقبة قيق»**[٢].

وروى أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: **«إني كنت حدّثتكم عن المسيح الدجّال حتى خشيت أن لا تغفلوا، إن المسيح الدجّال**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥٥، ٤٥٦.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٨٧٨٨.

قصير أفحج جعدٌ أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربَّكم ليس بأعور»[(١)].

قال العلماء: قد جاء في بعض الأحاديث أن الدجّال أعور العين اليمنى، وجاء في بعضها أنه أعور العين الشمال، ويُجمع بين الروايتين بأن المراد بالعور النقص؛ فعينٌ مطموسة بالكلية وعينٌ عليها ظفرة قد أشرفت على العمى، فالمراد أن الإلـه من شرطه الكمال في ذاته، والدجّال ناقص الذات لا يقدر على زوال نقصه، وكفى بذلك عجزًا وتحقيرًا للدجّال عند كل من نورّ الله بصيرته. أمّا قوله ﷺ: «**وإن ربّكم ليس بأعور**»، المراد به وصفه تعالى بالكمال، وأنه لا يشبه الدجّال بوجهٍ من الوجوه، ولو كان على أكمل صورة وأجملها؛ لإجماع أهل السنّة والجماعة أنّ الله تعالى مُباين لجميع خلقه في سائر الذّوات والصّفات مباينة لا يصح فيها اتّحاد في حالٍ من الأحوال، والله تعالى أعلم.

باب ما يمنع الدجّال من دخوله من البلاد إذا خرج

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجّال، إلّا مكّة والمدينة**»[(٢)]. وفي روايةٍ أخرى: «**فلا يدع قرية إلّا هبطها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرّمتان على الدجّال كلتاهما**». وفي رواية أخرى: «**إلا الكعبة وبيت المقدس وجبل الطور**». وفي رواية للطحاوي: «**فلا يبقى موضع إلّا دخله غير مكّة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور، فإنّ الملائكة تطرده عن هذه المواضع**»، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب ما جاء أن الدجّال إذا خرج يزعم أنه الله، وذكر مَنْ يتبعه ومَنْ يكفر به

روى ابن أبي شيبة عن سمرة بن جندب عن النبيّ ﷺ: أنّ النبيّ ﷺ قال في حديث الدجّال: «**وإنه متى يخرج يزعم أنه الله، فمن آمن به واتّبعه وصدّقه، فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومَنْ كفر به وكذّبه فليس يعاتب بشيءٍ من**

---

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم باب ٢٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب ٩، ومسلم في الفتن حديث ١٢٣.

عمل سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلّها إلا الحرم وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس» الحديث، والله تعالى أعلم.

باب في عظم خلق الدجّال وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوه وكم يمكث في الأرض

روى مسلم(١) عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجّال**»، وفي رواية: «**أمر**» بدل «**خلق**». وفي حديث تميم الداريّ المشهور: «**فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدَّيْر، فإذا أعظم إنسان رأيناه قطّ خلقًا وأشدّه وثاقًا**» الحديث، وسيأتي.

وعن ابن عمر: أنه لقي ابن صياد في بعض طرق المدينة، فقال قولًا أغضبه، فانتفخ حتى سدّ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صيّاد؟ أمَا علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يخرج من غضبة يغضبها**»(٢)، انتهى. وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدلّ على أنه هو الدجّال.

وفي الحديث: «**يخرج الدجال في خفقة من الدِّين وإدبار من العلم، أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه، عرضُ ما بين أُذنيه أربعون ذراعًا، فيقول للناس: أنا ربّكم، وهو أعور، وإنّ ربكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يَرِد كل ماء ومنهل إلّا المدينة لقيام الملائكة بأبوابها**» الحديث، وفي بعض الروايات: «**وإن كل خطوة يخطوها حماره مقدار ميل، ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطؤه، ولا يبقى له موضع إلّا ويأخذه غير مكّة والمدينة**»(٣)، وسيأتي الكلام على ذكر آياته إن شاء الله تعالى.

---

(١) كتاب الفتن حديث ١٢٦، ١٢٧.
(٢) أخرجه مسلم في الفتن حديث ٩٨.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٦٧، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٣٠.

وفي الحديث: «**إن الدجّال يمكث في الأرض أربعين سنة، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كإضرام السعفة في النار**»[(١)]، والله أعلم.

باب ما يجيء به الدجال من الفتن والشبهات إذا خرج، وسرعة مسيره في الأرض وكم يمكث فيها، وفي نزول عيسى عليه الصّلاة والسّلام، ونعته، كم يكون في الأرض يومئذ من الصُّلحاء، وفي قتله الدجّال واليهود، وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم، وفي حجّ عيسى وتزويجه ومكثه في الأرض، وأين يدفن إذا مات عليه الصّلاة والسّلام

قد تقدَّم في حديث حذفة أنّ مع الدجّال جنّة ونارًا، وأن ناره جنّة وجنّته نار. وروى أبو داود[(٢)] عن عمران بن حصين أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يخرج الدجّال فيتوجّه قبله رجل من المؤمنين ممّ سمع بالدجال ينادي بأعلى صوته: ألَا مَنْ سمع بالدجال فليُنْبىء عنه؛ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يبعث به من الشبهات**». وروى مسلم[(٣)] عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يخرج الدجال فيتوجّه إليه رجل من المؤمنين، فيلقاه المسالح مسالح الدجال، فيقولون: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج، فيقولون له: أوَ ما تؤمن بربّنا؟ فيقول: ما بربّنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربّكم أن تقتلوا أحدًا دونه، قال: فينطلقون به إلى الدجّال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجّال الذي ذكره رسول الله ﷺ**، قال: فيأمر به الدجال فيشجّ، فيقول: خذوه وشجّوه، فيوسع ظهره ضربًا، قال: فيقول: أمَا تؤمن بي؟ قال: فيقول أنت المسيح الدجّال الكذّاب، قال: فيأمر به، فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرّق بين

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي في الفتن باب ٦٣.

(٢) كتاب الملاحم باب ١٤، وأحمد في المسند ٤/ ٤٤١.

(٣) كتاب الفتن حديث ١١٣.

رجليه، قال: ثمّ يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول: قم، فيستوي قائمًا فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: فيقول: يا أيُّها الناس إنّه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا، قال: فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنه إنما قذف به في النار، وإنما ألقى به في الجنّة»، قال رسول الله ﷺ: **«وهذا أعظم الناس شهادة عند ربّ العالمين»**. قال أبو إسحٰق السبيعي: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام. وقال الشيخ محي الدين بن العربي: ليس هو الخضر، وإنما هو شابّ ممتلىء شبابًا، ووافقه أهل الكشف على ذلك، ويأتي قريبًا في هذا الباب.

وفي رواية: **«إن الدجال يأتي المدينة فلا يقدر يدخلها، لأنها محرّمة عليه، فينتهي إلى بعض السياخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه حينئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجّال الذي حدّثنا به رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجّال: أرأيتم إن قتلت هذا، فتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قطّ أشدّ بصيرة مني الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلّط عليه»**، رواه البخاري.

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس من بلد إلّا وسيطؤه الدجال، إلّا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صفّين يحرسونها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج له كل كافر ومُنافق»**، وفي رواية: **«كل منافق ومنافقة»**، رواه البخاري أيضًا عن النوّاس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: **«ما غير الدجّال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنّه شاب قطط عينه طافية كأني شبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج حلّة بين الشام والعراث، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا»**، قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: **«أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر**

أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا أقدروا له قدره**»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ضروعًا وأكثر لبنًا، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخربة فيقول: أخرجي كنوزك، فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل يتهلّل وجهه يضحك؛ فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفّيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلّا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حيث يدركه بباب لدّ فيقتله، ثمّ يأتي عيسى عليه الصّلاة والسّلام قوم قد عصمهم الله تعالى منه، فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنّة؛ فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه الصّلاة والسّلام: إني قد أخرجت عبادًا لا يد لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرّة ماء، ويحصر نبيّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم، فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى النغف في رقابهم، فيُصبحون موتى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلّا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى، ثم يرسل الله تعالى مطرًا لا يكنّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة الواحدة ويستظلّون بقحفها ويبارك الله تعالى في الرسل ـ أي في اللبن ـ حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، وإن اللّقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس؛ فبينما**

هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحًا طيّبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»(١).

وفي رواية أخرى زيادة بعد قول يأجوج ومأجوج: «**لقد كان بهذه مرّة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الحمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: قد قتلنا مَنْ في الأرض، فهلمّ فلنقتل مَنْ في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبًا دمًا**»، أخرجه الترمذي في جامعه. وفي رواية لغير الترمذي: «**فتطرحهم في المهبل**»، والمهبل هو البحر الذي عند مطلع الشمس، أي تحمل الطير يأجوج ومأجوج لتطرحهم في البحر المذكور، ولعلّه المراد بقوله في الرواية السابقة: «**حيث شاء الله تعالى**».

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**يستوقد المسلمون من قسيّ يأجوج ومأجوج ونشابهم وأتراسهم سبع سنين**». وفي الحديث: «**إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله آدم عليه الصّلاة والسّلام أعظم من فتنة الدجّال، وإنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيًا إلا حذّر أُمّته الدجّال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأُمم، وهو خارج عليكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي، فكلٌّ حجيج نفسه، والله تعالى خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من حلّة بين الشام والعراق، فيعيث يمينًا ويعيث شمالاً. يا عباد الله، فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إيّاه نبيّ قبلي، إنه يبدو فيقول: أنا نبيّ، وإنّه لا نبيّ بعدي. ثم يثني فيقول: أنا ربّكم، ولا ترون ربّكم حتى تموتوا. وإنه أعور، وإنّ ربّكم ليس بأعور. وإنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب. وإن من فتنته أنّ معه جنّة ونارًا، فناره جنّة وجنّته نار، فمن ابْتُلي بناره فليستغِثْ بالله وليقرأ فواتح سورة الكهف، فتكون عليه بردًا وسلامًا، كما كانت النار على إبراهيم. وإنّ من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأُمّك أتشهد أنّي ربك؟ فيقول له: نعم، فيمثّل له شيطانان في صورة أبيه وأمّه، فيقولان: يا بنيّ اتّبعه، فإنّه ربّك. وإنّ**

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن حديث ١١٠، وأبو داود في الملاحم باب ١٤.

من فتنته أن يسلّط على نفسٍ واحدة، فيقتلها يأشرها بالمئشار حتى تلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أنّ له ربًّا غيري، فيبعثه الله فيقول له الخبيث: مَن ربّك؟ فيقول له: ربّي الله وأنت عدوّ الله الدجّال، والله ما كنت بعد أشدّ بصيرة بك منّي اليوم».

قال الإمام أبو الحسن الطنافسي: وروينا عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إنّ ذلك الرجل أرفع أُمّتي درجة في الجنّة**»، قال أبو سعيد الخدري: ما كنا نرى ذلك الرجل إلّا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى مضى لسبيله، انتهى.

ثم نرجع إلى الحديث، فنقول: قال رسول الله ﷺ: «**وإنّ من فتنته أيضًا أن يأمر السماء أن تُمطر فتُمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمرّ بالحيِّ فيدعوهم فيكذّبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم، فتتبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيصدّقونه، فيأمر السماء أن تُمطر فتُمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وإنّه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكّة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلّا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فيُنفى الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**»، فقالت أُمّ شريك: فأين العرب يومئذ؟ قال: «**هم قليل، ومحلّهم بيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدّم يصلّي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسّلام للصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدّم عيسى عليه الصّلاة والسّلام يصلّي بالناس، فيضع عيسى عليه الصّلاة والسّلام يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدَّم فصلِّ، فإنّها لك أُقيمت، فيصلّي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى عليه الصّلاة والسّلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهوديّ كلّهم ذو سيف محلّى وتاج، فإذا نظر إليه الدجّال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربًا، ويقول عيسى عليه الصّلاة والسّلام: إنّ لي فيك ضربة لن تسبقني فيها، فيدركه عند باب رملة لدّ الشرقي، فيقتله فيهزم الله تعالى اليهود ولا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهوديّ إلّا أنطق الله ذلك**

الشيء»، وفي رواية: «**ولا يبقى حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابّة إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم إلا قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي تعالى فاقتله»**، قال رسول الله ﷺ: «**وإن أيّامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يُمسي»**، فقيل: يا رسول الله، كيف نصلّي في تلك الأيام القصار؟ قال: «**تقدّرون فيها الصلاة كما تقدّرونها في هذه الأيام الطّوال، ثم صلّوا»**. قال رسول الله ﷺ: «**فيكون عيسى عليه الصّلاة والسّلام في أُمّتي حكمًا وعدلًا وإمامًا مقسطًا، يدقّ الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وتُرفع الشَّحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمّة، حتى يدخل الوليد يده في فم الحيّة فلا تضرّه، ويغمز الوليدة الأسد فلا يضرّها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السِّلم كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يُعبد إلّا الله، وتضع الحرب أوزارها وتُسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كأنّها فضة ينبت نباتها كما كانت في عهد آدم عليه الصّلاة والسّلام، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب، فيُشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتُشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات»**، قيل: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟ قال: «**لا يُركب لحرب أبدًا»**، فقيل له: وما يُغلي الثور؟ قال: «**تُحرث الأرض كلّها، وإنّ قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شِداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث قطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي قطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس ماءها كلّه، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ولا تبقي ذات ظلف ولا سنّ إلا هلكت ما شاء الله»**، فقيل: فبِمَ يعيش الناس في ذلك الزمان؟ فقال: «**بالتهليلَ والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجزي ذلك عنهم مجزأة الطعام»**، انتهى.

قال عبد الرحمٰن البخاري: ينبغي أن يرفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلّمه الصبيان في الكتاب، والله أعلم.

وفي الحديث أنّهم قالوا: «**يا رسول الله ذكرت الدجّال، فوالله إن أحدنا ليعجن عجينة، فما يختبز حتى يخشى أن يُفتتن، وأنت تقول الأطعمة تزوى إليه**»؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يكفي المؤمنين يومئذ ما يكفي الملائكة**»، قالوا: فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب، ولكنها تقدّس! فقال رسول الله ﷺ: «**طعام المؤمنين يومئذ التسبيح**».

وفي حديث مسلم [1] أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لينزلنّ عيسى ابن مريم حكمًا عدلًا، فليكسرنّ الصليب وليضعنّ الجزية وليتركنّ القلاص، فلا يسعى عليها ولتذهبنّ الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعونّ إلى المال فلا يقبله أحد**». وفي الحديث: «**كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم، فأمكم منكم**». قال ابن أبي ذئب: أتدرون ما أمّكم منكم يؤمكم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّكم ﷺ.

وفي الحديث أيضًا: «**والذي نفس محمّد بيده، ليهلنّ ابن مريم بفجّ الروحاء حاجًّا أو معتمراً أو بنيتهما**». وفي رواية؛ «**لينزلنّ عيسى ابن مريم على ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ، وكصلحاء من مضى**»، وفي رواية: «**أن عيسى ابن مريم إذا نزل يتزوّج ويولد فيه، فيمكث خمسًا وأربعين سنة ويُدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى من قبرٍ واحد بين أبي بكر وعمر**». وقيل: إنه يتزوّج امرأة من العرب بعد ما يقتل الدجّال، وتلد به بنتًا، فتموت ويموت هو بعد ما يعيش سنين، ذكره الإمام أبو اللّيث السمرقندي رحمه الله، وخالفه كعب في هذا، وأنّه يولد له ولدان وسيأتي ذلك.

وفي الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يمكث عيسى في الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة، ثم يموت ويصلّي عليه المسلمون ويدفنونه**»، ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة علات أُمّهات شتّى ودينهم واحد، وأنا أولى بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيّ، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين**

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٤٣.

مهرودتين»، أي ثوبين مصبوغين **«وإن رأسه تقطر ولم يُصِبه بلل، وإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويفيض المال حتى يهلك الله في زمانه مسيح الضّلالة الأعور الكذّاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذّئاب مع الغنم، وتلعب الصّبيان بالحيّات، فلا يضرّ بعضهم بعضًا، يبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يموت ويصلّي عليه المسلمون ويدفنونه»**، وفي بعض الروايات: **«أنه يمكث في الأرض أربعًا وعشرين سنة»**، وفي رواية: **«سبع سنين»**، قال: **«ولا يبقى بين أحدٍ عداوة»**. ورواية أربعين سنة أصحّ الروايات.

وكان كعب الأحبار يقول: يتّسع الرزق في زمن عيسى عليه الصّلاة والسّلام حتى إن الحيّ ليمرّ بالميت، فيقول: يا فلان قم فانظر ما أنزل الله تعالى من البركة في الأرض، قال: وإن عيسى ليتزوّج امرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين يسمّى أحدهما محمّدًا والآخر موسى عليهما الصّلاة والسّلام، ويكون الناس معه على خير زمان، وذلك أربعون سنة، ويقبض الله تعالى روح عيسى عليه الصّلاة والسّلام ويذوق الموت ويُدفن إلى جانب النبيّ ﷺ في الحجرة ويموت خيار الأُمّة ويبقى الأشرار في قلّة من المؤمنين؛ فذلك قوله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»**.

قال العلماء رضي الله عنهم: وإذا نزل عيسى عليه الصّلاة والسّلام في آخر الزمان يكون مقرّرًا لشريعة محمّد ﷺ ومجدّدًا لها؛ لأنه لا نبي بعد رسول الله يحكم بشريعة غير شريعة محمّد ﷺ؛ لأنها آخر الشرائع ونبيّها خاتم النبيّين، فيكون عيسى حكمًا مقسطًا؛ لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمامًا ولا قاضيًا ولا مفتيًا، قد قبض الله العلم وخلا الناس منه، فينزل، وقد علم بأمر الله تعالى في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من أمر هذه الشريعة ليحكم به بين الناس وليعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويُحكّمونه على أنفسهم، ولا أحد يصلح لذلك غيره؛ لأن تعطيل الحكم غير جائز، وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بالتكليف؛ فلا يزال التكليف قائمًا إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول: الله الله على ما يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده ليهلنّ ابن مريم بفجّ الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو بنيّتهما»**، وفي رواية:

«وليحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»، فهذا صريح بأنه يحجّ البيت إذا نزل آخر الزمان، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن حواريّ عيسى إذا نزل أهل الكهف وفي حجّهم معه

روى إسماعيل بن إسحٰق أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يمرّ عيسى ابن مريم بالروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليجمعنّ الله له بين الحجّ والعمرة، ويجعل الله تعالى حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرّون معه حجّاجًا، فإنّهم لم يحجّوا ولم يموتوا»**[١]، انتهى. والله تعالى أعلم.

بـاب منه

وإن عيسى إذا نزل يجد في أُمّة محمّد ﷺ خلقًا من حواريه، كما رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ولفظه: **«والذي نفسي بيده»** أو **«والذي بعثني بالحقّ ليجدنّ ابن مريم في أُمّتي خلقًا من حواريه»**، وفي رواية: **«ليدركنّ المسيح عليه الصّلاة والسّلام من هذه الأُمّة أقوامًا إنهم لمثلكم أو خيرٌ منكم ـ ثلاث مرات ـ ولن يخزي الله أمّة أنا أوّلها والمسيح آخرها»**، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن الدجّال لا يضرّ مسلمًا

روى البزار عن حذيفة أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: **«لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجّال، فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها، والله لا يضرّ مسلمًا مكتوب بين عينيه كافر»**[٢]، ومعنى: لا يضرّ مسلمًا، أي: لا يقدر على أن يفتنه في دينه، وإلّا فقد ورد أنه يقتل بعض الناس يأشره بالمئشار، والله تعالى أعلم.

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ١٨٩٧.

باب ما ذكر من أن ابن صياد هو الدجّال وأن اسمه صاف، وصفة خروجه وصفة أبويه وأنه على دين اليهود

روى مسلم وغيره عن محمّد بن المنكدر رضي الله عنه أنّه كان يقول: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجّال، فقال: أتحلف بالله؟ فقال: إنّي سمعت عمر بن الخطاب يحلف على ذلك عند النبيّ ﷺ، فلم ينكره النبيّ ﷺ. وكان عبد الله بن عمر يقول: والله ما أشكّ أن المسيح الدجّال ابن صياد. وروى مسلم[1]: أن رسول الله ﷺ انطلق هو وأُبيّ بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، فلما رأى النبيّ ﷺ طفق يتّقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئًا بل أن يراه ابن صياد، فرآه رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش من قطيفة له فيها زمزمة، فرأت أُمّ ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتّقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف ـ وهو اسم ابن صياد ـ هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: **«لو تركته بين»**، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له: **«إني خبّأت لك خبيئًا»**، فقال ابن صياد: هو الدخّ، فقال رسول الله ﷺ: **«اخسأ فلن تعدو قدرك»**، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فقال له رسول الله ﷺ: **«إن يكنه فلن تسلّط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله»**. وروى أبو داود عن جابر قال: فقدنا الدجّال يوم الحرّة، وكان أبو سعيد الخدريّ يقول: والله إنّي لأعرف الدجّال وأعرف مولده وأين هو الآن. وكان ابن عمر يقول: لقيت ابن صيّاد مرّتين. وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: **«يمكث أبو الدجال وأُمّه ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد، ثم يُولد لهما ولد أعور أضرّ شيء وأقلّه منفعة، تنام عينه ولا ينام قلبه»**، ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه، فقال: **«أبوه طوال ضرب اللّحم كأنّ أنفه منقار، وأُمّه امرأة فوضاحية طويلة اليدين»**. ورُوِيَ أن رجلًا أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله أخبرني عن الدجّال، أمِنْ ولد آدم هو؟ أم مِنْ ولد إبليس؟ قال: **«هو من ولد آدم وأُمّه من ولد إبليس، وهو على دينكم معشر اليهود»**. وقال بعضهم: إن الدجّال لم يُولد بعد، وسيُولد في آخر الزمان.

---

(١) كتاب الفتن حديث ٩٥.

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: والأوّل أصح، والله تعالى أعلم.
وقد اختلف الناس في أمر الدجّال اختلافًا كثيرًا لِمَا يقع على يديه من الخوارق التي تُنافي حال الكذّابين مع أنه كذّاب.

قال بعض العلماء: والذي عندي أنه فتنة امتحن الله به عباده المؤمنين، فيهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حيّ عن بيِّنه. وقد امتحن الله قوم موسى في زمانه بالعجل فافْتُتِنَ به قوم فهلكوا ونجاه مَنْ هداه الله وعصمه منهم، هذا كلّ بناء على أنّه كان موجودًا في حياة رسول الله ﷺ، لا على أنه سيُولد آخر الزّمان، والأول هو الصحيح، والله تعالى أعلم.

باب نقب يأجوج ومأجوج السدّ وخروجهم وصفتهم في لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ [الكهف: الآية ٩٨]

روى ابن ماجه[1] وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ يأجوج ومأجوج يحفرون السدّ كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله تعالى أشدّ ما كان، حتى إذا بلغت مدّتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذ كادوا يرون شعاع الشمس، قال: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى، فاستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس، فيستقون الماء ـ أي يشربونه ـ كلّه، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلَوْنا أهل السماء، فيبعث الله تعالى عليهم نغفًا في أعناقهم وأقفائهم فيقتلهم**». قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من كثرة ما تأكل من لحومهم**». وكان كعب الأحبار يقول: إن يأجوج ومأجوج ينقرون السدّ بمناقرهم حتى إذا كادوا أن يخرجوا، قالوا: نرجع إليه غدًا فنفرغ منه. قال: فيرجعون إليه وقد عاد كما كان، فإذا بلغ الأمر ألقى على بعض ألسنتهم أن يقول: نرجع

---

(١) حديث ٤٠٨٠، وأحمد في المسند ٢/ ٥١٠.

إن شاء الله تعالى غدًا، فنفرغ منه. قال؛ فيرجعون وهو كما تركوا فيخرقونه، فيأتي أوّلهم البحيرة فيشربون ما فيها من ماء، ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طينٍ، ويأتي آخرهم فيقولون: قد كان هنا ماء، ثم يرمون نشّابهم نحو السماء، فيقولون: قد قهرنا مَنْ في الأرض، وظهرنا على مَنْ في السماء، قال: فيصبّ الله عليهم دوابّ يقال لها النغف، فيأخذ في أقفائهم فيقتلهم النغف حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم يبعث الله تعالى طيرًا فتنقل أبدانهم إلى البحر، فيرسل الله السماء أربعين فتنبت الأرض، حتى إن الرمانة لتشبع السكن. قيل لكعب الأحبار: وما السكن؟ قال: أهل البيت. قال: ثم يسمعون ذا السويقتين الحبشيّ.

وخرّج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يُفتح سدّ يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال الله تعالى:** ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦]، **فيعمّون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقيّة المسلمين في مدائنهم وحصونهم ويضمّون إليهم مواشيهم حتى أنهم ليمرّون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا فيه شيئًا، فيمرّ أحدهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان ماء، ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لنتناول أهل السماء، حتى إن أحدهم ليهزّ حربته إلى نحو السماء، فترجع مخضوبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء؛ فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضًا، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسًّا، فيقولون: هل من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا، فينزل إليهم رجل فيوطن نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى فيناديهم: ألا أبشروا فقد هلك عدوّكم بأجمعهم، فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلّا لحومهم، فتجترّ عليهم كأحسن ما تجترّ من نبات أصابته قطّ**».

وخرّج ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن مسعود، قال: لما كان ليلة أُسْرِيَ برسول الله ﷺ لَقِي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصّلاة والسّلام فتذاكروا الساعة، فبدؤوا بإبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم؛ فردوا الحديث إلى عيسى ابن

مريم قال: قد عهد إليّ فيما دون وجبتها، فأما وجبتها فلا يعلمها إلّا الله عزّ وجلّ، فذكر في الحديث إلى خروج الدجّال، قال: فأنزل فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦]، فلا يمرّون بماء إلّا شربوه، ولا بشيءٍ إلّا أفسدوه، فيجأرون إلى الله تعالى بعد ويدعون الله، فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقليهم في البحر، ثم تُنسف الجبال وتُمدّ الأرض مدّ الأديم، وقد عهد إليّ إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها من ليلٍ أو نهار، انتهى. وتصديق ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦]، ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٧].

وكان عمرو بن العاص يقول: إن يأجوج ومأجوج ذرء جهنّم ليس فيهم صديق، وهم على ثلاثة أصناف: على طول الشّبر، وعلى طول الشبرين، وثلث منهم طوله وعرضه سواء، وهم من ولد يافث بن نوح عليه الصّلاة والسّلام. وكان عطية بن حسان رضي الله عنه يقول: إن يأجوج مأجوج أُمّتان كل أُمّة أربعمائة ألف: أُمّة ليس منها أُمّة يشبه بعضها بعضًا. وكان الإمام عبد الرحمٰن الأوزاعي رضي الله عنه يقول: الأرض سبعة أجزاء، فستّة منها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق. وكان قتادة رضي الله عنه يقول: الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ـ يعني الجزء الذي فيه سائر الخلق ـ غير يأجوج ومأجوج، فاثنا عشر ألفًا للهند والسِّند، وثمانية آلاف للصّين، وثلاثة آلاف للرّوم، وألف فرسخ للعرب، انتهى.

وكان أرطاة بن المنذر رضي الله عنه يقول: إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصّلاة والسّلام: إني قد أخرجت خلقًا من خلقي لا يُطيقهم أحدٌ غيري، فحرّز من معك إلى جبل الطور ومعه من الذي أرى اثنا عشر ألفًا، قال: ويأجوج ومأجوج ذرء جهنم، وهم على ثلاثة أصناف: ثلث على طول الأرز، وثلث مربّع طوله وعرضه واحد، وهم أشدّ؛ وثلث يفترش أحدهم أُذنه ويلتحف بالأخرى، وهم ولد يافث بن نوح عليه الصّلاة والسّلام.

ويُروى عن النبيّ ﷺ أنّ «**يأجوج ومأجوج كلّ منهما أُمّة لها أربعمائة أمير، لا يموت أحدهم حتى ينظر ألف فارس من ولده، صنفٌ منهم كالأرز طوله مائة وعشرون ذرعًا، وصنفٌ يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرّون بفيلٍ ولا خنزيرٍ إلا أكلوه، ويأكلون كل من مات منهم، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ويمنعهم الله من مكّة والمدينة وبيت المقدس**». وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف: صنفٌ أجسامهم كشجر الأرز، وصنف أربعة أذرع طولًا، وصنف أربعة أذرع عرضًا، وصنف يلتحفون آذانهم ويفترشون الأخرى.

ورُوِيَ عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف منهم في طول شبر، ولهم مخالب كالطير وأنياب كالسّباع، ويتسافدون كالبهائم، وعواء كالذئب، وشعور تقيهم الحرّ والبرد، وآذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيّفون فيها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الأرض ستّة أجزاء. فخمسة أجزاء فيها يأجوج ومأجوج، وجزء فيه سائر الخلق. وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: احتلم آدم، فاختلط ماؤه بالتراب، فأسف، فخلق الله منه يأجوج ومأجوج.

قال بعض العلماء: وفي هذا نظر، فإن الأنبياء لا يحتلمون، ويحتمل أنه وقع في مثل ذلك كما وقع في الأكل من الشجرة، والله تعالى أعلم.

وكان الضحّاك يقول: يأجوج ومأجوج من التُرك، وقال مقاتل: هم من ولد يافث بن نوح، وهو أشبه كما تقدم، والله أعلم.

باب صفة الدابّة ومتى تخرج ومن أين تخرج وما معها إذا خرجت وصفة خروجها وكم لها من خرجة، وحديث الجساسة وما فيه من ذكر الدجّال

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: الآية ٨٢] - يعني الغضب - ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: الآية ٨٢]، يعني تحدّثهم. وقال

بعض العارفين: يعني تَسِمُهم من السِّمة، وهي العلامة، فكما أن الكلام يؤثر في المتكلّم، فكذلك السِّمة تؤثر في الموسوم كالعلامة، فكأنّه تكلّمة ـ أي تجرحه ـ وكان عبد الله بن مسعود يقول: أكثروا من زيارة هذا البيت من قبل أن يُرفع، فقالوا: يا أبا عبد الرحمٰن، فهذه المصاحف تُرفع، فكيف بما في صدور الرّجال؟ قال: يصبحون فيقولون: قد كنّا نتكلم بكلام ونقول قولًا، فيرجعون إلى شعراء الجاهلية وأخبارها، وذلك حين يقع القول عليهم.

قال العلماء: أي يقع الوعيد عليهم لتماديهم في العصيان، يقال: وقع الأمر، أي وجب، فإذا صاروا لا يحبون موعظة ولا تؤثّر فيهم تذكرة ولا تنجع فيهم موعظة أخرج الله تعالى لهم دابّة من الأرض تكلّمهم، أي دابة تعقل وتنطق، وذلك ليقع لهم العلم بأنها آية من قبل الله عزّ وجلّ ضرورة، فإن الدوابّ في العادة لا كلام لها. وكان بريدة رضي الله عنه يقول: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكّة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: «**تخرج الدابّة من هذا الموضع**»، فإذا هو فتر في شبر، قال عبد الله بن بريدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصًا له فإذا هو بعصاي هذه كذا وكذا، والفتر ما بين السّبابة والإبهام إذا فتحتهما، قاله الجوهري.

وروى ابن ماجه والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**تخرج الدابّة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران، فتجلوا وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول أحدهم للمؤمن: يا مؤمن، ويقول أحدهم للكافر: يا كافر**»[١]. وروى أبو داود الطيالسي أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الدابّة، فقال: «**لها ثلاث خرجات من الدّهر، فتخرج من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعني مكة ـ ثم تكمن زمانًا طويلًا، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية**» ـ يعني مكّة ـ قال رسول الله ﷺ: «**فبينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها عليه المسجد الحرام لن يروعهم إلّا**

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة ٢٧، وابن ماجه في الفتن ٣١.

وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التّراب، فارفضّ الناس عنها شتّى، وتثبت لها عصابة من المؤمنين عُرِفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كالكوكب الدريّ، ثم ولّت في الأرض لا يُدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوّذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان الآن تصلّي فتقبل عليه فتَسِمَه في وجهه ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطلحون في الأمصار، ويُعرف المؤمن من الكافر، حتى إن المؤمن يقول: يا كافر اقضِ حقّي، والكافر يقول: يا مؤمن اقضِ حقّي». وقيل: إنها تَسِمُ وجوه الفريقين بالنفخ، فينتفش في وجه المؤمن مؤمن، وفي وجه الكافر كافر.

وكان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: تخرج الدابّة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها. وفي الحديث: «**إن دابة الأرض تخرج من أجياد، فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد، وهي دابّة ذات وبر وقوائم**». وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: تخرج الدابة من مكّة من شجرة، وذلك في أيّام الحجّ، فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من التراب. وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يقول: قد جمعت الدابة من خلق كل حيوان، فرأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعًا، ذكره الثعلبي والماوردي. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الدابّة هي الثعبان الملتفّ على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش أن تبني الكعبة، ورُوِيَ أنها دابّة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستّون ذراعًا، ويقال: إنها الجساسة كما في حديث مسلم الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ جمع أصحابه وقال: «**ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكني جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًا، فجاء فبايع وأسلم، وحدّثني حديثًا وافق الذي كنت أحدّثكم عن المسيح الدجّال، حدّثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام، فلعبت بهم الريح شهرًا في البحر، ثم أرموا إلى جزيرة في البحر حيث تغرب الشمس، فجلسوا**

في قرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابّة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر»، انتهى.

وقال الترمذي: إنّ ناسًا من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر، فجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابّة لبّاسة ناشرة شعرها، فقالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، زاد في رواية لمسلم بعد أن ذكروا نحو ما تقدم من ركوب السفينة وطلوعهم الجزيرة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيّها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فسمت لنا رجلًا، فخفنا أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدَّيْر، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قطّ خلقًا وأشدّه وثاقًا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين لحييه إلى كعبيه بالحديد. وقال الترمذي فيه: فإذا هو رجل موثق بسلسلة. وقال أبو داود: فإذا هو رجل يجرّ شعره مسلسل بالأغلال، فقلت له: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ فقالوا: نحن ناس من العرب ركبنا في سفينة بحريّة، فصادفنا البحر قد اغلتم، فلعب الموج بنا شهرًا ثم أرمتنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابّة أهلب كثير الشعر لا يُدرى ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك وما أنت؟ قالت: أن الجساسة، قلنا: وما الجسّاسة؟ قالت: أيّها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّيْر، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. قال: أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردن وفلسطين، قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له: نعم، قال: إنها ليوشك أن لا تُثْمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن النبيّ الأُمّي ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكّة ونزل بيثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه بأنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يُطيعوه، وإني مُخبركم عني أنا المسيح الدجّال، وإني أُوشك أن يُؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في

أربعين ليلة غير مكّة وطيبة، وهما محرّمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدّني عنها، وإن على نقب منها ملائكة يحرسونها.

قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «**هذه طيبة، هذه طيبة**» يعني المدينة «**ألا كنت حدّثكم ذلك**»؟ فقال الناس: نعم، قال: «**فإنه أعجبني حديث تميم الداري أنه وافق الذي كنت حدّثتكم عنه وعن المدينة ومكّة إلا أنه في بحر الشام**»، أو قال: «**بحر اليمين، لا بل من قِبل المشرق ما هو من قِبل المشرق ما هو**»، وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ. وقد قيل: إن الدابّة التي تخرج هو الفصيل الذي كان لناقة صالح عليه الصّلاة والسّلام، فلما قتلت هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه إلى وقت خروجه بإذن الله تعالى، ويدلّ على صحة هذا القول ما تقدّم في الحديث من ذكر الرّغاء بقوله: وهي ترغوا، فإن الرغاء إنما يكون للإبل.

وقوله في الحديث: «**إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن**» قصد به ﷺ الإبهام على السامعين أوّلًا، ثم إنه أضرب عن ذلك بالتحقيق، وقال: لا بل من قِبَل المشرق، قاله الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ورَضِيَ عنه، والله أعلم

باب طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة، وكم يمكث الناس في الأرض بعد ذلك

روى مسلم[1] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجّال، ودابّة الأرض**». وروى الترمذي وغيره عن صفوان بن عسال، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يُغلق حتى تطلع الشمس من**

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٤٩.

نحوه»[١]. وقال سفيان: إنه قبل الشام خلقه يوم خلق السمٰوات والأرض مفتوحًا ـ يعني للتوبة ـ لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها. وروى أبو إسحٰق الثعلبي وغيره من حديث طويل، ما معناه: إن الشمس تُحبس على الناس حين تكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف، فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا ينهي عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت، واستأذنت لربّها سبحانه وتعالى من أين تطلع لم يردّ عليها جوابًا حتى يوافيها القمر فيسجد معها، ويستأذنان من أين يطلعان، فلا يردّ عليهما جوابًا حتى يُحبسا مقدار ثلاث ليالٍ للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلّا المتهجّدون في الأرض، وهم يومئذٍ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين، فإذا تمّ لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليهما جبريل عليه الصّلاة والسّلام، فيقول: إنّ الربّ سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكم، فتطلعا منه وإنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القِيَامَة: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: الآية ١]، فيرتفعان كذلك مثل البعيرين أو القرنين، فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرّة السماء، وهي منتصفها جاءهما جبريل، فأخذ بقرونهما وردَّهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما، ولكن يغربهما من باب التوبة، ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما، فيصير كأنّه لم يكن بينهما صدع، فإذا غلق باب التوبة لم يُقبل لعبدٍ بعد ذلك توبة، ولم تنفعه حسنة يعملها إلا مَنْ كان قبل ذلك مُحسنًا، فإنه يجري عليه ما كان قبل ذلك اليوم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعَام: الآية ١٥٨]. ثم إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضّياء والنور، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك ويطلعان ويغربان. قال عبد الله بن عمرو عن النبيّ ﷺ: «**وتبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة**».

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٤٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٩.

قال العلماء: ويكون خروج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها، كما هو ظاهر الأحاديث. قالوا: ولو أن طلوع الشمس من مغربها كان قبل خروج الدجّال لم ينفع اليهود إيمانهم، وإذا لم ينعهم فلا يصير الدِّين واحدًا، والله أعلم.

وفي الحديث ما معناه: إنّ أوّل الآيات الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه الصّلاة والسّلام وقتل الدجّال خرج حاجًّا إلى مكّة، فإذا قضى حجّه انصرف إلى زيارة سيّدنا محمّد ﷺ، فإذا وصل إلى قبر الرّسول ﷺ، أرسل الله عزّ وجلّ عند ذلك ريحًا عترية، فتقبض روح عيسى عليه الصّلاة والسّلام ومن معه من المؤمنين، ويُدفن عيسى عليه الصّلاة والسّلام مع النبيّ ﷺ في روضته، ثم تبقى الناس حيارى سكارى، فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضّلالة، ويستولي أهل الكفر على من بقي من أهل الإسلام؛ فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يُرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله تعالى فينقضونه حجرًا حجرًا ويرمون بالحجارة في البحر، ثم تخرج دابّة الأرض تكلّمهم، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض؛ فأمّا المؤمن فيصيبه مثل الزكام. وأمّا الكافر والفاجر، فيدخل من أنوفهم فيثقب مسامعهم وتضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحًا من الجنوب من قِبَل اليمن مسّها مسّ الحرير وريحها ريح المسك، فتقبض روح المؤمن والمؤمن وتبقى شِرار الناس، ويكون الرجال لا يشبعون من النساء، والنساء لا يشبعون من الرجال؛ ثم يبعث الله الرّياح فتُلقيهم في البحر، هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراط.
وقيل: إذا أراد الله تعالى انقراض الدّنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم حتى يجتمع الخلق كلّهم بالمحشر الإنس والجنّ، والدوابّ والوحوش والسّباع والطير والهوامّ وخشاش الأرض، وكلّ من له روح؛ فبينما هم في أسواقهم يتبايعون والناس مشتغلون بالبيع والشّراء إذا هدّة عظيمة من السماء، فصُعِقَ منها نصف الخلق، فلا يقومون من صعقتهم منذ ثلاثة أيام، والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم، فيبقون مدهوشين قيامًا على أرجلهم؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ [صَ: الآية ١٥]، فبينما هم

كذلك إذا هدّة أخرى أعظم من الأُولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلّا مات منها؛ كما قال ربّنا عزّ وجلّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨]، فتبقى الدنيا بلا إنس ولا جنّ ولا شيطان، ويموت جميع مَنْ في الأرض من الهوامّ والوحوش والدوابّ وكلّ شيء له روح، وهو الوقت المعلوم الذي كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون، انتهى. فنسأل الله تعالى من فضله أن يُميتنا وجميع إخواننا على الإسلام، ويدبرنا فيما بين أيدينا من الأهوال بحسن التدبير، آمين.

باب ما جاء في خراب الأرض من البلاد قبل الشام ومدّة بقاء المدينة خراباً قبل يوم القيامة

رُوِيَ من حديث حذيفة بن اليمان عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**يبدأ الخراب في أطراف الأرض حتى تُخرب مصر، ومصر آمنة من الخراب حتى تُخرب البصرة، وخراب البصرة من العراق، وخراب مصر من جفاف النيل، وخراب مكّة من الحبشة، وخراب المدينة من الجوع، وخراب اليمن من الجراد، وخراب أيلة من الحصار، وخراب فارس من الصّعاليك، وخراب الصّعاليك من الديلم، وخراب الديلم من الأرمن، وخراب الأرمن من الخزر، وخراب الخزر من الترك، وخراب الترك من الصواعق، وخراب السِّند من الهند، وخراب الهند من الصين، وخراب الصين من الدحل، وخراب الحبشة من الرّجفة، وخراب الزوراء من السفياني، وخراب الروحاء من الخسف، وخراب العراق من القحط**»، ذكره الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله.

قال الإمام القرطبي: وسمعت أن خراب الأندلس بالرِّيح العقيم، والله أعلم. وكان نوف البكالي رضي الله تعالى عنه يقول: الدنيا كالطير، فإذا أخذ جناحه سقط، وجناحا الأرض مصر والبصرة، فإذا خربتا ذهبت، انتهى.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ، قال: «**أما والله يا أهل المدينة لتتركنّها قبل يوم القيامة بأربعين**». وكان كعب رضي الله تعالى عنه يقول: ستخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة، وليهاجرنّ الرعد والبرق قبل الشام حتى لا تكون رعدة ولا برقة، إلّا ما بين العريش والفرات، والله أعلم.

باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله

روى مسلم[(١)] عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»، وفي رواية أخرى: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله**»، انتهى.

قال العلماء رحمهم الله: وقد ضبطوا لفظ الجلالة برفع الهاء ونصبها، فمعناه ذهاب التوحيد. ومَنْ نصب، فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي لا تقوم الساعة على أحد يقول: اتّق الله. وقال بعضهم: معناه أن الله تعالى أجرى هذا الاسم العظيم على ألسنة جميع العباد من قوم نوح إلى قيام الساعة، فقال قوم نوح: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: الآية ٢٤] الآية، وقال قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: الآية ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف: الآية ٨٧] إلى غير ذلك، فإذا أراد الله تعالى زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين. قال: وهو معنى قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله**»، وفي الحديث: «**إنّ الله عزّ وجلّ يقول لإسرافيل: إذا سمعت قائلًا يقول: الله الله، فأخّر النفخة أربعين سنة إكرامًا لقائلها**»، والله تعالى أعلم.

باب على مَنْ تقوم الساعة

روى مسلم[(٢)] أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لا تقوم الساعة إلّا على شِرار الخلق، وهم شرّ من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلّا ردَّه عليهم، فدخل عقبة بن عامر فقيل له: ألا تسمع ما يقول عبد الله؟ فقال عقبة: هو أعلم. وأمّا أنا، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أُمّتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين بعدوّهم لا يضرّهم مَنْ خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله تعالى ريحًا كريح المسك مسّها كمسّ الحرير، لا تترك أحدًا في قلبه مثقال حبة خردل من**

---

(١) كتاب الإيمان حديث ٢٣٤.

(٢) كتاب الإيمان حديث ٢٤٧.

إيمان إلّا قبضت روحه، ثم تبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة». وفي حديث عبد الله بن مسعود: «**لا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس مَنْ لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا يتهارجون تهارج الحمر**»[(١)] الحديث، ومعنى يتهارجون تهارج الحمر، أي: يتسافدون، يقال: بات فلان يهرجها، أي: يجامعها، قاله الأصمعي قال: والهرج في غير هذا هو الاختلاط والقتل كما ورد في حديث آخر.

وروى مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة**»، وفي رواية: «**لا تذهب الليالي والأيام حتى تُعبد اللات والعزّى**»[(٢)]، فقلت: يا رسول الله كنت لا أظنّ حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: الآية ٣٣]؛ إلّا أن ذلك عامّ. قال: سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيّبة فتتوفّى كل من في قلبه مثقال حبّة من إيمان، فيبقى مَنْ لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم. وفي البخاري[(٣)] أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» الحديث.

قال أبو الحسن بن القطان رحمه الله: هذه الأحاديث وما جاء في معناها ليس المراد بها أنّ الدين ينقطع كلّه في جميع أقطار الأرض، حتى لا يبقى منه شيء؛ لأنه قد ثبت عن النبيّ ﷺ أنّ الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إنّما المراد أنه يضعف ويعود غريبًا كما بدا.

وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أُمّتي يُقاتلون على الحقّ حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجّال**»[(٤)].

وكان مطرّف رضي الله عنه يقول: هم أهل الشام. وفي الحديث أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا نزل عيسى عليه الصّلاة والسّلام قتل المسيح الدجال، ويخرج يأجوج ومأجوج ويموتون ويبقى عيسى عليه الصّلاة والسّلام، ودين**

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن حديث ١٣١.
(٢) أخرجه ابن حجر في فتح الباري ١٣/٧٦.
(٣) كتاب الفتن باب ٢٣، ومسلم في الفتن حديث ٥١.
(٤) تقدّم الحديث مع تخريجه.

الإسلام لا يُعبد في الأرض غير الله، وأنه يحجّ ويحجّ أصحاب الكهف معه»، والمراد بقيام الساعة في الأحاديث قرب قيامها، والله أعلم.

وروى الحافظ أبو نعيم عن كعب الأحبار، قال: يمكث الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج، ومأجوج في الراحة الشديدة والخصب عشر سنين، وإن الرمانة الواحدة ليحملها الرجلان، وإن العنقود الواحد من العنب ليحمله الرجلان ويمكثون على ذلك عشر سنين. ثم يبعث الله تعالى ريحًا طيبة، فلا تدع مؤمنًا إلا قبضته. ثم تبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر في المروج حتى يأتيهم أمر الله والساعة وهم على ذلك، انتهى.

وليكن ذلك آخر ما اختصرناه من كتاب التذكرة للإمام القرطبي رحمه الله تعالى. ونسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يتوفّانا مسلمين على الكتاب والسنّة لا مغيّرين ولا مبدّلين، وأن يجعلنا ممن يصبر على البلاء الذي لا مردّ له ويرى جميع ما يصيبه من الشدائد والأهوال من بعض ما يستحقّه من العقوبات، آمين اللّهمّ آمين.

قال مؤلّفه الشيخ الإمام العالم العلّامة العمدة الفهّامة مربّي المريدين القطب الربّاني والعارف الصمداني عبد الوهاب الشعراني، أفاض الله علينا وعلى المسلمين من بركاته، وأعاد علينا من أسراره ونفحاته في الدين والدنيا والآخرة يا ربّ العالمين آمين، والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وكان الفراغ من تأليفه يوم السبت سابع عشر ربيع الأوّل سنة ثمان وتسعمائة بمصر المحروسة، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات

أبواب الميزان

أبواب جهنم وما جاء في أهوالها وأسمائها

أبواب الجنّة وما جاء فيها وفي صفتها وصفة نعيمها

كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة

أبواب الملاحم

أبواب أشراط الساعة وعلاماتها

هذا الكتاب

مختصر تذكرة القرطبي المسمّاة التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة

- يقول الإمام الشعراني في مقدمة هذا الكتاب:

- « وبعد، فهذا كتاب اختصرت فيه كتاب التذكرة: للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي رضي الله تعالى عنه، بمعنى أني أحذف منه ما لا يُذكِّر بالموت والحساب من غريب ألفاظ وإعراب، مما هو مذكور في كتب اللغة والنحو فإن كتب الرقائق لا ينبغي أن يكون فيها شيء من ذلك، وكثيرًا ما يكون القارئ يقرأ في كتب الرقائق والحاضِرون يبكون، فيحضر نحويٌّ فيقول هذه الكلمة معطوفة على أيّ شيء فيحصل اللغط فيزول ذلك الخشوع والحزن لوقته ويذهب بالاعتبار، فهذا كان سبب اختصاري لهذا الكتاب، ولحذف ما كان فيه خارجًا عن ذِكر الموت وأهواله كما يدلّ على ذلك تسمية الكتاب بـ: (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة).

- فرحم الله تعالى مَن اعتبر بما سمعه منه وتذكَّر أُمور الموت وما بعده وأحدَثَ التوبة النَّصوح فلعله يموت على ذلك والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » انتهى.


ISBN 978-2-7451-5508-5



Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Etablie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban
هاتف 12/ 11/ 804810 5 961+ ص.ب 9424 - 11 بيروت - لبنان
فاكس 804813 5 961+ رياض الصلح - بيروت 1107 2290
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com

Designed in Printed By Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah